UNIVERSAL
LIBRARY

0U_232478

UNIVERSAL
LIBRARY

كتاب عجائب المقدور في نوائب تيمور للفاضل الأديب

الأريب وحيد عصره وفريد دهره اقضى القضاة شهاب الدين

احمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي الانصاري المعروف بابن عرب

شاه طيب الله ثراه

اعتنى بطبعه الحقير الفقير احمد تيمور متشالا لامر كميتي مرة بعد

اخرى باعانة مولاء العظام المولوي محمد وجيه والمولوي

محمد بشير الدين والمولوي نور الحق والمولوي حافظ

محمد مرتضى والمولوي محمد مظهر والمولوي

عجيب احمد والمولوي يار علي بردتوي

ثم الدهلوي والمولوي غلام حسين

والوي بارجيندالوي غفر الله لهم

ولوالديهم ولمشايخهم

سنة ١٢٥٧

بمصر

٣٠٦٨ ه
ع د

الحمد لله الذي على منوال ارادته تدور تدبيره تنسج مقاطع الامور
ومن ينبوع قضائه الى لجج قدره يجري تيار الاعاصير والدهور اذاق
بعض بني آدم بأس بعض ليبلوهم ايهم احسن عملا وهو العزيز الغفور
وارسل عليهم في القرن الثامن من الهجرة بحار فتن اقبلت كقطع من
الليل المظلم لم يدر احد ما هي فاذا هي تمور احمده حمد من كان
على شفا حفرة من نارها فانقذه منها وانشكر من ورطه فيها
عدله فانجته ايادي فضله منا واشهد ان لا اله الا الله الحكم
العدل الذي يقتص للمظلوم من الظالم يوم الفصل واشهد ان
سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي ارسله رحمة للعالمين وجعله رسول

الله وخاتم النبيين * فاخبر صلى الله عليه وسلم عن السر المصون *
ونبأ بما كان في الازل وبما يكون الى يوم يبعثون * واستعاذ من غلبة
الدين وقهر الرجال * ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح
الدجال صلى الله عليه صلوة تذكي المسك الاذفر في صدور
الكتب والتواريخ * وتدني لقائلها في دار الجزاء ثمرات الحسنات
من اعلى الشمار يخ * وعلى آله واصحابه الذين افاضوا سيول
الفتح في الاقاليم فعمروها * وشيدوا اركان الاسلام واثاروا الارض
بالايمان وعمروها بالعدل والاحسان اكثر مما عمروها * وسلم
تسليما عزيزا * دائما ابدا كثيرا * اما بعد فلما كان في التواريخ
عبرة لمن اعتبر * وتنبيه لمن افتكر * واعلام بان قاطن الدنيا على
سفر * واحضار لصورة من مضى وغبر * كيف قدر واقتدر * ونهى
وامر * وبنى وعمر * وختل وختر * وغلب وقهر * وكسر وجبر *
وجمع وادخر * وتكبر وفخر * وكيف همد بشر * وضحك واستبشر
* وتقلب في اطواره من الطفولية الى الكبر * الى ان قلبته ايدي
الغير * واختطفته وحوآمن مما يكون مخالب القضاء والقدر * فخالط

ماضيها من عيشه الكدر * وتنغص حتى ذهب عنه ما حلا ومر * ان في
ذلك لعبرة لمن اعتبر * وتذكرة لمن ادكر * وثبصرة لمن ابتصر * وكان
من اعجب القضايا * بل من اعظم البلايا * الفتنة التي حار فيها
اللبيب * وزل فيها الاريب * وجمح فيها الجلد الاريب * وبعد فيها
الحليم * وذل فيها العزيز وهان الكريم * فتنة تهدر رأس الفساق
* الاعرج الدجال الذي اقام الفتنة شرقا وغربا على عاتق * اقبلت
الدنيا الدنية عليه تتولى وتمخر في الارض ماخر فيها واعلك الحرث
والنسل * وتيمم جنى عمته الكعباء صعيد الارض فنفل نصيب
لطغيان مجلل غير محجل * فتحققت نجاسته بهذا الفعل * اريد ان
اذكر منها ما رأيته * واتقى في ذلك ما رويته * اذ كانت احدى
الكبر * وام الغير * والداهية التي لا يرضى القضاء فيها بالقدر *
والله اسأله الهام الصدق * وسلوك طريق الحق * انه ولي الاجابة
* ومنيل بغيتي المرام الى غير ما بة * وهو حسبي ونعم الوكيل *

* فصل في ذكر نسبه وتدريج استيلائه على الممالك وصفة *

نسبه تمور يتاء مكمور ة مغلا موقا ويا وما كنة مغلا فتحتا وواوا

عالكنية بين ميم مضمومة وراء مهملة مدة طريقة املائه وفي التصريف
زنة بنائه لكن كرة الالفاظ الاعجمية * اذا اتت اراها صولجان اللغة
العربية * خرطها في الدورين على بناء اوزانها * ورد خرجها كيف
شاء في مبدائين لسانها * فقالوا في هذا اذا قرأ تسوروا اخرط قمرلقك *
ولم تجر عليهم في ذلك حرج ولا ضنك * وهو بالتركي الحديد من
قرطاي بن ابغاي وسيقطر من ذلك الفتار * قرية تسمى خواجة ابلغار *
وهذه من اعمال البلكس * فابعد ما الله من الحس * والبلكس مدينة
من مدن ماوراء النهر * من سمرقند نحو من ثلثمائة عشر شهر * قبل رئي
ليلة ولد كان شيأ شبيه الخوذة تراءى طائرا في عنان الجو * ثم سقط الى
فضاء الدار * ثم انبسط على الارض وانتشر * وتطاير منه مثل
الجبر والشور * وتراكم حتى ملأ الدار والحضر * ثم قبل لنا
سقط الى الارض فالذي يشبه * كانه كفاه مطوقتين من الدم
المبيط * فسألوا عن احواليه الزواجر والعافه * وبحثوا
عن تاويل ذلك من الكهنة واهل العيافه * فقال بعضهم يكون
فزعيا * وقال بعض منهم يصاحر اميا * وقال قوم بل قتلا سيكا *

وقال آخرون بل يصير جلادا بتاكا * وتظافرت هذه الاقوال *
الى ان آل امره الى ما آل * وكان ابوه من الغدارين *
ومن طائفة اوشاب لا عقل لهم ولا دين * وقيل كانا من الحشم
الرجاله * والاوباش البطاله * وكانت ماوراء النهر مأواهم *
وتلك الضواحي مشتاهم * وقيل كان ابوه اسكافا فقيرا جدا * وكان
هو شابا جلدا جلدا * ولكنه لما كان به من العلة يتحرم *
وبسبب تلك الاجرام يتضرر ويتضرم * فمضى بعض الليالي سرق
غنمة واحتملها * فضربه الراعي في كتفه بسهم فابطلها * وثنى عليه
بآخر في فخذه فاخطلها * فازداد كسرا على فقره * ولؤما على شره *
ورغبة في الفساد * وحنقا على العباد والبلاد * وطلب له في ذلك
الاضراب والنظراء * وعشي عن ذكر الرحمن فقيض له من الشياطين
القرناء * مثل عمامر وجهان شاه * وسنجار وسليمان شاه *
وايد كوتيمور وجاكو وسيف الدين سبعة رهين * فنالهم ولا
دين * وكان مع ضيق يده * وقلة عدده وعدده * وضعف بدنه
وحاله * وعدم ماله ورجاله * يذكر لهم انه طالب الملك * ومورد

ملوك الدنيا مواردة الهلك * وهم فى ذلك يتناقلون عنه هذا النقل *
ويسمونه الى كثرة الحماقة وقلة العقل * ويدونونه منهم ويتهلون
اليه * ليتضحكوا منه ويتضحكوا عليه

* شعر *

ان المقادير اذا اصعدت * احقت العاجز بالحازم
فشمر فيما يقصل ولا * والقضاء يرشد والقدر ينشد

* شعر *

لا يوئسنك من مجد تباعد * فان للمجد تدريجا وترتيبا
ان القناة التي شاهدت رفعتها * تنمو فتنبت انبوبا فانبوبا

وكان فى بلد الكبش شيخ يسمى شمس الدين الفاخوري وهو معتقد البلد * وعليه لكل من قصد شيأ من امور الدين والدنيا الاعتماد * فذكر ان تيمور وهو يقصد حاجة * بين عزم وعدم وذل وحاجة * لم يكن له سوى ثوب قطني وانه باعه واشترى بثمنه رأس ماعز * وقصد الشيخ المشار اليه * وعول فيما قصده عليه * وقد ربط بطرف حبل منبق ذلك العناق * وربط عنق نفسه بالطرف الآخر من ذلك الرباق *

لا يحل التفاط شيء منها من جرد شيء ثم دخل على ذلك الشيخ
المشيخة * فصادفه وهو والنفر المشغولون بالفكر مستغرقون فيما هم
فيه من الوجد والفكر * فلا زال قائما حتى انصرفوا من حالهم * وسكنوا
عن قالهم * فلما وقع نظر الشيخ عليه * سارع الى تقبيل يديه * وأكب
على رجليه * فتفكر الشيخ ما عنده * ثم رفع رأسه الى السماء * وقال
كأن هذا الرجل نزل عرفه وعروفه * واستدنا في طلب مالا
يساوي عند الله تعالى جناح بعوضة * فنزه أن نمده ولا نحرمه
ولا نرده * فأمدوه بالدعاء اسعافا لطلبه * فاشتهت قضيته قضية
ثعلبه * ورجع من عند الشيخ وخرج * وعرج بعد ما عرج الى
ما عرج * وقيل انه كان في بعض تحراماته فضل الطريق صورة *
كما ضل معنى وسيرة * وكاد يهلك عطشا وجوعا * وما زعم ذلك
أمنيوما * فوقع في اثناء ذلك على عين السلطان * فتلقاه البشاشة
بالطف والاحسان * وكان يحبه ومن يعرف خصائص الخيل بحثها *
ويفرق بين محاسنها ومعايبها بمجرد النظر الى هيأتها * فاطلع البشاشة
على ذلك منه * واخذ علم ذلك عنه * وزاد به رغبة * وطلبه حبة

وأتم الحيلة * وعاد الى السلطان مع اقرانه طلبها منه * واخبره بفضيلته وما شاهد منه * فانعم السلطان عليه * ورضي به الجشار وعهد اليه * فلم ينشب الجشار ان مات فتولى تيمور وظيفته * ولا يزال يترقى عند السلطان حتى تزوج شقيقته * ثم انه خاصمها في بعض المكاتيب مقاله * فغيرته بما كان عليه من اول امره وحاله * فسل السيف وتحاماها على انها تفر من بين يديه * فلم تكترث به ولم تلتفت اليه * فضربها ضربة ازهق بها نفسها * واسكنها رمسها * ثم لم يسعه الا الخروج والعصيان * والتمرد والطغيان * الى ان كان من امره ما كان * وكان السلطان اسمه حسين * وهو من بيت الملك والقدر الكريمين * وتخت ملكه مدينة بلخ وهي من اقصى بلاد خراسان * ولكن كانت بحارا وامرو جارية في ممالك ماوراء النهر الى اطراف تركستان * وقيل كان ابوه امير مائة عند السلطان المذكور * وهو بالجلادة والشهامة بين اقرانه مشهور * ويمكن الجمع بين هذه الاقاويل باعتبار اختلاف الزمان * وتنقل الاحوال والاحيان * والاصح ان اباه زعاي التركمان

أحد أركان دولة السلطان * ورأيت في ذيل تاريخ فارسي يدعى المنتخب * وهو من بدو الدنيا الى زمان تيمور وهو شيء عجب * نسبا يتصل منه تيمور الى جنكيزخان * من جهة النساء حبائل الشيطان * ولما استولى تيمور على ماوراء النهر وقاق الاقران * تزوج ببنات الملوك فزاد وه في ألقابه كوركان * وهو بلغة المغول الختن * لكونه صاهر الملوك وصار له في بيتهم حرمة وسكن * وكان للسلطان المذكور من الوزراء اربعة * عليهم مدار المضرة والمنفعة * هم اعيان الممالك * وبرأيهم يقتدى المسالك * والترك لهم قبائل وشعب * تكاد تواري قبائل العرب * وكل واحد من هؤلاء الوزراء كان من قبيلة * لصراح آرائه في بيوت تعميرها قبيلة عاوله * قبيلة احد هم تسمى ارلات * وقبيلة الثاني تدعى جلابر * وقبيلة الثالث يقال لها قاوجين * وقبيلة الرابع اسمها برلاس * وكان تيمور ابن رابعهم في الناس * ونشأ شابا لبيبا * مصراع * مما ماحاز ماجلد اريبا * وكان يصاحب نظراءه من اولاد الوزراء * ويعاشر اقرانه من فتيان الامراء * الى ان قال لهم في بعض الليالي * وقد اجتمعوا

فى مكان خالٍ * واخذت منهم البشرة والنشاط * وارتفعت استار الامراء وامتد للبسيط بساط * ان جدتي فلانة * وكانت من ذوي العيافة والكهانة * رأت منامًا * ماذا قمت منه احلامًا * وعبرته بانه يظهر لها من الاولاد والاحفاد * من يدوخ البلاد * ويملك العباد * ويكون صاحب القران * وتذل له ملوك الزمان * وذلك وقد قربت الوقت ودنا * فعاهدوني ان تكونوا لي ظهرا وعضدا * وجناحا ويدا * وان لا تستحيلوا عني ابدا * فاجابوه الى ما دعاهم اليه * وتقاسموا ان يكونوا في السراء والضراء معه لا عليه * ولم يزالوا يتجاذبون اطراف هذا الكلام في كل مقام * ويتفاوضون فيض غديره هذا الغدير من غير احتشام واكتتام * حتى آنس برقه قاطن كل مصر وشام * وخاض في حديثه كل قديم هجرة من خاص وعام * وشعر به السلطان * وعلم ان خلافه في روح المملكة بان * فاراد ان يرد كيده في نحره * ويريح الدنيا من شره والعباد والبلاد من ضره * وعمل بموجب ما قيل * شعر *

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم *

فاخبره بذلك بعض الناصحين فخرج * وهو الى خميص العصيان
وهو ما لم فعرج * ويمكن انه في بعض هذه الاوقات * واثناء هذه
الحالات * توجه الى الشيخ شمس الدين المشار اليه * واستمد كما
ذكر فيما عول عليه * فانه كان يقول جميع ما نلته من السلطنه * وفتحته
من مستغلقات الامكنه * انما كان ببركة الشيخ شمس الدين الفاخوري
وهمة الشيخ زين الدين الخوافي * وما لقيت بركة الا بالسيد بركة *
وسيأتي ذكر زين الدين وبركه * ثم قال تيمور ما فتحت ابواب
السعادة والدولة على * ولا ضحكت عروس فتوحات الدنيا الي *
الا من بهائم سجستان * ومن هنا يأتي ذلك النقصان انا في ازدياد
الى هذا الاوان * والظاهر ان بدو امره وخروجه في تلك الفتنه *
كان فيما بين الستين والسبعين والسمع مائه * وقال لي شيخي الامام
العالم العامل الكامل المكمل الفاضل * فريد الدهر * وحيد العصر *
علامة الورى استاذ الدنيا علاء الدين * شيخ المحققين والمدققين *
قطب الزمان * مرشد الدوران * ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد البخاري
نزيل دمشق ادام الله تعالى ايام حيوته * وادام الاسلام والمسلمين

ميا من بركاته * فى شهور سنة ست وثلثين وثمانمائة ان يقوم وقتل
السلطان حسين المذكور * فى شعبان سنة احدى وسبعين وسبع مائة *
ومن ذلك الوقت استقل بالملك وكانت وفاته فى شعبان سنة سبع وثمانمائة
على ما سيأتى * فمدة استيلائه مستقلا ستة وثلثون سنة وذلك
خارج عن مدة خروجه وتحرمه الى حين استيلائه ولما خرج صار هو
ورفقاوه يتحرمون فى بلاد ماوراء النهر * ويعاملون الناس بالغدر
والقهر * فتحرك لذلك فيهم كل ظاعن وساكن * وضيقوا عليهم تلك
المغانى والاماكن * فقطعوا جيحون وصار منهم ذلك المكان * فاشتغلوا
بالحرم فى بلاد خراسان * خصوصا فى نواحى سجستان * ولا تسأل
عما افعل فى مفاوز بلوردوما خان * فذهب بعض الليالى وقد اضرب بهم
السغب * واشتعل فيهم من الجوع اللهب * فدخل حائطا من حوائط
سجستان * قد اوى اليه بعض رعاع الضأن * فاحتمل منها رأسا وادبر *
فشعر به الراعى وابصر * فاتبعه للحين * وضربه بمهمين * اصاب
باحدهما فخذه * وبالاخر كتفه * فلله دره ساعدا اذ ابطل بهذا الضرب
الموزون نصفه * ثم ادركه واحتمله * والى سلطان هراة المسمى بملك

حُسين اَوْصلَه * فبعد ضربه اَمر بصلبه * وكان للسلطان ابن رأيه
غير متين * يدّعي ملك غياث الدّين * فشفع فيه * واستوهبه من
اَبيه * فقال له ابوه انه لم يصدر عنك ما يدلّ على صلاحك * ويسفر عن
نجابتك وفلاحك * وهذا جغتائي حرامي مادّة الفساد * لئن ابقى
ليهلكن العباد والبلاد * فقال ابنه وما عسى ان يصدر من نصف
آدمي * وقد اُصيب بالدّواهي ورمي * ولا شكّ انّ اجله قد اقترب *
فلا تكوننّ في موته السّبب * فوهبه اياه * فوكّل به من داواه *
الى ان اندمل جرحه * وبرئ قرحه * فكان في خدمة ابن سلطان
مراه * من اَهل الخدم واضبط الكماة * فتوفّرت عنده حرمته *
وارتفعت درجته وسمع كلمته * فعصى من نوّاب السّلطان * نائبه
المتولّي على سجستان * فاشتدّ عليه تجوره ان يتوجّه اليه * فاجابه الى
ذلك وعوّل عليه * وانضاف اليه طائفة من الاعوان * فوصل الى
سجستان * وقبض على نائبها المتمادي في العصيان * واستخلص
اَموال تلك البلاد * واخذ من اطاعه من الاجناد * وتلا آية
العصيان بالجهر * وارتحل بمن معه الى ما وراء النهر * وقيل

بل كان * فى خدمة ابن السلطان * الى أن ودّع هو الحيوة
وانتقل * واستقر ولده واستقل * فعند ذلك هرب تيمور الى
ما وراء النهر * وقد قوى منه الرأس والظهر * وكان إذ ذاك
قد اجتمع عليه رفقاؤه * وانحاز اليه اصحابه المتخربون وعشراؤه *
فاستل عياث الدين الطلب وراءهم * وقصد ان يكفي المسلمين
شرهم وعناءهم * وهيهات فقد كان سبق السيف
السيف * وضيع اللبن فى الصيف *

ذكر عبور جيحون على فترة وما جرى من عبرات بهذه العبرة *
فوصل تيمور وجماعته الى جيحون وكان إذ ذاك متلهبا طاغيا *
ولم يمكنهم التواني لأن الطلب كان عقبهم بلهيبه * فقال تيمور
لاصحابه النجاء النجاء * ليتعلق كل منكم بعنان فرسه ومعرفته ولياقم
نفسه فى الماء * وتواعدوا الى مكان * وقال توجهوا من حيث ثوان *
فمن لم يأت الموعد * يعلم انه قد فقد * فتهافتوا وخيولهم فى ذلك
الماء العجاج * وتلتيا الزحار والامواج * تهافت الفراش على السراج *
ولم يعلم واحد منهم حال الآخر * ولا اطلع من تقدم منهم على امر

من قاخر * وكابدوا اهوال الموت * وشاهدوا اهوال الموت *
فنجوا ولم ينقص منهم واحد * واجتمعوا الى ذلك الموعد * وذلك
بعد ان امنت منهم البلاد * واطمأن فيها كل رائح وغاد *
فجعلوا يتجسسون الاخبار * ويتتبعون الآثار * ويحاربون الله و
رسوله * ويؤذون عباده ويقطعون سبيله * ولم يزل على ذلك يجري
ويمشي * الى ان وصل مدينة قرشي *

ذكر ما جرى له من خبطه * في دخوله الى قرشي وخلاصه من تلك الورطة *

فقال يوما لاصحابه * وقد اضربه الهم واضرابه * واخصب
منهم ربع الفساد واخشوشب * ان بالقرب منا مدينة يخشب * مدينة
ابي تراب النخشبي رحمة الله عليه مدينة مصونه * مسورة مكنونه *
لين ظعنا بها لتكونن لنا ظهرا وملاذا * وملجأ ومعاذا * وان ساكنها
موسى لو حصلنا * واخذنا ماله وقتلنا * لتقوينا بما له من خيول
وعدد * ولحصل لنا فرج بعد شدة * وانا اعلم لها من معدن الماء
دربا * بين الهضول واسعارها * فشمروا اذيالهم * وتركوا
في مكان خيلهم * واستعملوا في نيل مرادهم ليلهم * ودخلوا حبس

المدينة وقصدوا بيت الأمير * ورفعوا يدهم فصادفوا يدهم والحصير *
وكان الأمير في البستان خارج البلد * فأخذوا ما وجدوا له من
أسلحة وعدد * وركبوا خيله * وقتلوا من وجدوا من الأكابر غيله *
فاجتمع عليهم أهل البلد * وأرسلوا إلى الأمير فأدركهم بالمدد *
فتراكم عليهم البلاء باطنا وظاهرا * فلم يجدوا لهم سبيلا إلا استسلاما
ناصرا * وقال له أصحابه لقد ألقينا بأنفسنا إلى حقيقة الهلاك
من هذا العجاز * فقال لا عليكم فغير مثل هذه المواطن يمتحن الرجل
ويبرز * فاجمعوا أيديكم ثم انتوا صفا * واندفعوا نحو باب المدينة
يدا واحدة زحفا * حاطمين على العدو * من غير توان ولا مدد *
فإني أظن أنه لا يثبت لكم شيء * ولا يقف أمامكم حي * فامتثلوا أمره
ورفعوا الصوت * وقصدوا الباب صارخين صياح الموت * وهجموا
على العساكر هجوم الليث * واندفعوا ولا إلى فاق الغيث * ففتح
لهم عند فتح الباب * لا مريرة مسبب * لا سباب * فلم يلو
أمامهم أحد على أحد * ولا نفعه ما هو فيه من العدد والعدد *
ثم انثنوا إلى مكانهم سالمين * ولم يزالوا على ذلك سالمين غانمين *

واجتمع عليهم اصحابهم * وانحاز اليهم في القلاد اقرابهم *
فصاروا نحواً من ثلثمائة * وبمن يتحيز اليهم من اهل الشرفة *
فارسل السلطان اليهم عسكراً غير مكترث بهم فكسروه * واستولوا
على حصن من الحصون فجعلوه معقلاً لكل ما ادخروه * قلت *

* شعر *

لا تحقرن شأن العدو وكيده * فلربما صرع الاسود الثعلب * وقيل *
ان المعوضة تدمي مقلة الاسد * وقيل * فربما تمرت بالبندق الشاة *

ذكر من اسر في فتنة ذلك الجاف * واستعمدة من احرار ملوك الاطراف *

ارسل تيمور الى ولاة بلخشان * وكانت الولاية بها لاخوين وهما
بها مستقلان * تناقيا ذلك من ابيهما * وكان السلطان فزعها من
يديهما * ثم اقرهما فيها على ان يكونا من تحت امره * واستوزر من
اولاد هما عنده فصارا اسيري قهره * فلما راسلهما تيمور على طاعته *

اجابا وادخلا تحت كلمته *

ذكر توهين الخلل على السلطان * وكيف تضعضع منه الاركان *

وان الخلل نهضت من جهة الشرق على السلطان حسين * فاستعد لهم

وقطع جيحون ووقع الحرب بين الجهتين * فانكسر السلطان *
وأسلموا أيضا ذلك الجان * واسم حاكميهم قمر الدين خان *
فاجابوا مرادة * واقتفوا ارادة * وسلطوه على السلطان ليستخلص
من يده بلاده * ووعدوه بمصادرتهم * وامنوه بمطارحتهم *
ورجعوا الى بلادهم * وقد سلموه زمام قيادهم * فقويت بذلك
شوكته * وسكنت القلوب هيبته فلم يسع السلطان * الا بذل الجهد
والامكان * في اطفاء نائرته * وقطع دابرته * فجعله نصب عينيه *
وتوجه بنفسه اليه * بعسكر جرار * كالبحر الزخار * حتى انتهى الى
مكان يسمى قاغلغار * وهو صدد بين بينهما مضيق * هو الجادة العظمى
والطريق * يسيرا لما رفي ذلك مقدار ساعه * وفي وسط الدرب باب
اذا اغلق زاحمي فلا شئ مثله في المناعه * وحواليه جبال كل منها
دونه قد شمخ * وقد مقت غاص ثبوتا ورسخ * فصح ان يقال فيه انف
في السماء * واست في الماء * فاخذ العسكر فم ذلك الدربند * من جهة
سمرقند * وتمور على الجانب الاخر *
رموكا للضايق والمحاصر *

ذكر الحيلة التي صنعها * والخديعة التي ابتدعها *

فقال تيمور لاصحابه اني اعرف هنا جادة خفيه * مسالكها ابيه * لا تطأها الخطا * ولا يهتدي اليها القطا * فهلم نسري ليلنا * ونقود في المسرى خيلنا * فنصبحهم من ورائهم وهم آمنون * فان ادركناهم ليلا فنحن الفائزون * فاجابوه الى ذلك * وشرعوا في قطع تلك الوعور والمسالك * وساروا ليلهم اجمع * وبلغ الفجر المطلع * فادركهم الصباح ولم يدركوا الجيش * فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتنكد لهم العيش * ولم يمكنهم الرجوع * واذ بنت الشمس بالطلوع * فوصلوا الى العسكر وقد اخذ في التحميل * وعزم على الرحيل * فقال اصحابه بئس الرأي فعلنا * في قبضة العدو وصلنا * وقد رمينا في الاشراك * والقيتنا بايدينا انفسنا الى الهلاك * فقال تيمور لا ضرر * توجهوا نحو العسكر * وانزلوا بمرأى منهم عن خيلكم * واتركوها ترعى واقضوا من ورد النوم والراحة ما فاتكم في ليلكم * فتراموا عن خيلهم كأنهم صرعى * وتركوا خيولهم ترعى * شعر *

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن امان *

واصطدم بها العنقاء فهي حبائل * واقتد بها الجوزاء فهي عنان *
حتى العساكر يمزقهم * ويحال انهم من حزبهم * حتى اذا استراحوا *
حركهم الخيول بهم وصاحوا * واوضعوا السيوف في اعدائهم * راكبين
اكتافهم من ورائهم * فقتلوا قتلا ذريعا * وغادروهم جريحا وصريعا *
وهم الخطب الذليل * ولم يعلم احد البلاء كيف دهم * واتصل
الخبر بالسلطان * وقد خرج التلا في عن حيز الامكان * فهرب الى
بلخ * وقد سلخ من المملكة اي سلخ * وشرع تيمور في النهب * والغارات
والسلب * ثم ضبط الاثقال * وجمع الاموال * ولم رعاع الناس
والمدادة * واطاعوه وهم مابين راض وكاره * فاستولى على ممالك
ماوراء النهر * وتسلط على العباد بالغلبة والقهر * واخذ في ترتيب
الجنود والعساكر * واشتغل بالحصون والذخاير * وكان نائب
سمرقند واحد الاركان * شخصا يدعى علي شير من جهة السلطان
وكاتبه تيمور على ان تكون الممالك بينهما نصفين * ويكون معه
على السلطان حسين * فرضي علي شير بذلك * وقاسمه الولايات
والممالك * وتوجه اليه * وتمثل بين يديه * فزاد في اكرامه *

وبالغ في احترامه *

ذكر توجهه الى بلخشان * واستنصاره بمن فيها على السلطان

ثم انه ترك على شير بعد مارکن الدين * وسار حتى بلخشان فاستقبله ملكها

وتمثلا بين يديه * واتحفاه بالهدايا والخدم * وامداه

بالجيوش والحشم * فسار وهما معه من بلخشان * قاصدين

بلخ لمحاصرة السلطان * فتحصن منهم فاحاطوا به من كل مكان *

فاخرج اولاده الذين كانوا عنده في الرهان * فضرب اعناقهم

بمرأى من ابويهم * ولم يرق لهم ولا من عليهم * ثم انه ضعف

حاله * وقل عنه خيله ورجاله * فنزل مستسلما للقضاء والقدر *

راضيا بما ذهب في قضاء الله مما حلا ومر * فقبض عليه تيمور * وضبط

الامور * ثم رد الامير بلخشان اليها مكرمين * وتوجه الى سمرقند

ومعه السلطان حسين * وذلك في شعبان سنة احدى وسبعين * بعد

ما خلا من الهجرة سبع مائة سنين * ووصل الى سمرقند واتخذها

دار ملكه * وشرع في تمهيد قواعد الملك ونظمها في نظام سياسته و

ملكه * ثم انه قتل السلطان * واقام من جهته شخصا يدعى سيورغاتمش من

رية جنكيزخان * وقبيلة جنكيزخان * هم المتفردون باسم الخان
السلطان * لانهم قريش الترك لا يقدر احد ان يتقدم عليهم *
لا تمكن احد من انتزاع ذلك الشرف من ايديهم * ولو قدر احد
على ذلك * لكان تيمور الذي استخلص الممالك وسلك المسالك * فرفع
صيورغاتمش دفعا للمطاعن * وقطعا لالسنة كل طاعن * وانما
لقب تيمور الامير الكبير * وان كان في امرة كل مأمور منهم وامير *
والخان في اسيره كالحمار في الطين * وشبيه الخلفاء بالنسبة في هذا
الزمان الى السلاطين * واستمر بعلي شيرنائبا في سمرقند وكان
يكرمه * ويستشيره في اموره ويقدمه *

ذكر وثوب توقتامش خان * سلطان الدشت وتركستان *

ثم ان توقتامش خان سلطان الدشت والتتار * لما رأى ما جرى
بين تيمور والسلطان فاردم قلبه وغار * وذلك لعلة النسب والجوار *
وهيأ العسكر الجرار * والجيش الزخار * وتوجه الى مصاف تيمور
من جهة سغناق وانزار * فخرج اليه تيمور من سمرقند * وتلاقيا
باطراف تركستان قريبا من نهر خجند * وهو نهر سيحون * وسمرقند

بين نهري سيحون وجيحون * فقامت بين العسكرين سوق الحرب *
ولم ينفق بينهم فيها سوى معاملات المضاربة * ولا زالت رحا الحرب
تدور * الى ان انطحن عسكر تيمور * بينما عسكره قد انفل * وعقد
جنوده انحل * اذ ابرجل يقال له السيد بركة قد اقبل * فقال
له تيمور وهو في غاية الضرر * يا سيدي السيد جيشي انكسر * فقال له
السيد لا تخف * ثم نزل السيد عن فرسه ووقف * واخذ كفا من التراب *
وركب فرسه الشهباء * ونفخها في وجه فلول القوم المردي * وصرخ
بقوله ياغي تاجدي * فصرخ بها ايضا تيمور تابعا ذلك الشيخ المبدي *
وكان عباسي الصوت * فكانه دعا الابل الظماء بجوت جوت * فعطفت
عساكره عطفة البقر على اولادها * واخذت في المجالدة مع اضداد ها و
الداد ها * ولم يبق في عسكره من جلع ولا نازع * الا وهو يقول ياغي
تاجدي صانع * ثم انهم كروا كرة واحدة * بهيئة متعاقدة ونهضة متعاضدة *
فرجع جيش توقتبا ميش منهزمين * وولوا على اعقابهم مدبرين *
فوضع عسكر تيمور فيهم السيوف * وسقوهم بهذا الفتوح كاسات الحتوف *
وغنموا الاموال والمواشي * واسروا اوساط الرؤس والنواصي *

رجع تيمور الى سمرقند * وقد ضبط امور تركستان وبلاد نهر خجند *
لم لذ به السيد بركه * وحكمه فى جميع ما استولى عليه وملكه *
هذا السيد اختلف القول فيه فمن قائل انه كان مغربيا بمصر حجاما *
فذهب الى سمرقند وتسيد بها وعلا قدره وتسامى * ومن قائل
انه كان من اهل المدينة الشريفه * ومنهم من يقول انه من اهل مكة
المنيفه * وعلى كل حال فانه كان من اكابر الاعيان * فى بلاد ما وراء
النهر وخراسان * لاسيما وقد امد تيمور بهذه النجده * وخلصه بهذه
الطريفة المصادفة للقضاء والقدر من هذه الشده * وقال له تيمور
تمن علي * واحتكم لدي * فقال له يا مولانا الامير * ان اوقاف
الحرمين الشريفين فى الاقاليم كثير * ومن جملة ذلك اندخوي
فى ممالك خراسان * واناواولادى من جملة مستحقي ذلك الاحسان *
واذا اقتضى اصل ذلك وخصمه * وعلم قضه وخصمه * وضبطت اوقافه *
ومصارف ذلك وصوافه * ما كانت حصتي وحصة اولادى * اقل من
هذه القصبة فى هذا الوادى * فاقطعني اياها فاقطعه اياها * مع
مضافاتها واعمالها وقراها * وهي الى الآن فى يد بنى اولاده *

وأسباطه وأحفاده *

ذكر علي شير مع تيمور * وما وقع بينهما من المخالفة والشرور *

ثم إن تيمور وقع بينه وبين علي شير مخالفة * وانحاز الى كل منهما طائفة * فاغتاله تيمور وقتله * ثم قبض عليه وقتله * فصفت الممالك والولايات لتيمور بعض الصفا * ومزول الى طاعته من الناس كل وجه ورأس كان في التأبي وقفا *

ذكر ما جرى لملك ما وراء سمرقند والشطار * مع تيمور وكيف اخلهم دار البوار *

وكان في سمرقند طائفة من الدعارة كثيرون * وهم أنواع فمنهم مصارعون ومناقفون وملاكمون ومعالجون * وهم فيما بينهم فرقتان كالقيس واليمن * والعداوة والمقاتلة بينهم قائمة على مر الزمن * ولكل طائفة منهما رؤس * وظهور وأعضاد وضروس * وكان تيمور مع أبهته يخافهم * لما كان يظهر له عنادهم وخلافهم * فكان اذا قصد جانبا * اقام له في سمرقند نائبا * فاذا بعد عن المدينة خرج من تلك الجماعة طائفة * فخلعوا النائب وخرجوا مع الثائب واظهروا المخالفة * فما يرجع تيمور الا وقد انفرط نظامه *

وتخبطت أمورهُ وتشوش مقامهُ * فيحتاج الى تجديد وتمهيد *
وتخريب وتشييد * فيقتل ويعزل * ويعطى ويجزل * ثم يتوجه لتمهيد
مسالكه * وتوطيد مسالكه * فيعودون الى مكرهم * ويؤبون
الى حتلهم ومكرهم * وتكررت هذه القضية نحوا من تسع مرار * فضاق
تيمور ذرعا بالاشرار والدعار * فاعمل الحيلة فى اعتيالهم * وكف
اذاهم واستيصالهم * فصنع سورا * ودعا اليه الخلائق كبيرا
وصغيرا * وصنف الناس اصنافا * وجعل كل ذى عمل الى عامله
مضافا * وميز اولئك الدعار مع رؤسائهم على حدة * وفعل معهم ما فعله
انوشروان بن كيقباد بالملاحدة * وارصد له فى اخذ الاطراف
انصارا * وقرر معهم ان كل من ارسله اليهم يولونه دمارا * ويكون
ارساله اليهم على قتله شعارا * ثم انه جعل يدعو رؤس الناس *
ويستميلهم بيده الكاس * ويخلع عليهم افخر اللباس * واذا انقضت
النوبة من اولئك الدعار الى احد * سقاه كأسه وخلع عليه واشار
ان يتوجه به الى نحو الرصد * فاذا وصل اليهم خلعوا عنه خلعته بل
وثوب الحيوة فهتكوه * وسكبوا عجيدة قلبه فى بوطة الفناء فسبكوه *

الى أن أتى على آخرهم * واستولى بذلك قطع دابرهم * ومحا آثارهم وأطفأ نارهم * فصفت له المشارع * وخلا ملكه من مجاذب ومنازع * ولم يبق له في ما وراء النهر مانع ولا مدافع *

فصل في تفصيل ممالك سمرقند * وما بين نهري بلخان وخجند *

فمن ذلك سمرقند وولاياتها * وهي سبعة توماناة واندكان وجهاتها * وهي تسعة توماناة والتومان عبارة عما يخرج عشرة آلاف مقاتل * وفي ما وراء النهر من المدن المشهورة * والاماكن المعتبرة المذكورة * سمرقند وسورها قديما على ما زعموا اثنا عشر فرسخا * وكان ذلك على عهد السلطان * جلال الدين قبل جنكيز خان * ورأيت حد سورها من جهة الغرب قصبة بناها تيمور * وسماها دمشق ومسافتها عن سمرقند نحو من نصف يوم * والناس الى الآن يحفرون سمرقند العتيقة * ويخرجون دراهم وفلوسا سكتها بالخط الكوفي يسبكون الفلوس ويخرجون منها فضة * ومن مدن ما وراء النهر مرغينان * وهي كانت التخت قديما وبها كان ايلك خان * ومنها خرج الشيخ الجليل العلامة برهان الدين المرغيناني

فاجب الهداية رحمه الله تعالى * وخجند وهي على شاطئ سيحون *
وترمذ وهي على شاطئ جيحون * وخجب وهي قرب المذكورة *
والكش وبخارا وانذكان وهي اماكن مشهورة * وغير ذلك ومن الولايات
بخشان * وممالك خوارزم واقليم صغانيان * الى غير ذلك من
الاطراف الواسعة * والاكناف الشاسعة * وفي عرفهم ما وراء
جيحون الى جهة الشرق توران * وما كان في هذا الطرف الى جهة
الغرب ايران * ولما اقتسم كيكاوس وافراسياب البلاد * كانت توران
لافراسياب وايران لكيكاوس بن كيقباد * وعراق هو مغرب ايران *

ذكر ابتداء ما فعله من التسلط بالقهر * بعد استقصائه ممالك ماوراء النهر *

ولما صفت له ممالك ماوراء النهر * وذلت لاوامره جوامح الدهر *
شرع في استخلاص البلاد * واسترقاق العباد * وجعل ينسج بانامل
الحيل الاشراك والاوهاق * ليصطاد بذلك ملوك الاقاليم وسلاطين
الآفاق * فاول ما صاهر المغول وصافاهم * وزاد نهم وهاداهم *
وتزوج ببنت قمر الدين ملكهم * وصار آمنا من تبعتهم ودركهم *
وهم جيرانه من جهة الشرق * ولا تباين بينه وبينهم ولا فرق *

اذ العلة وهي الجنسية والمصاهرة والمجاورة حاصلة للجهتين * والملة وهي التورية الجنكيزخانية منشأة في كلتا الدولتين * فامن شرهم * وكفى كيدهم وضرهم *

ذكر تصميمه العزم * وقصده الاطراف والاممالك خوارزم *

فحين امن مكرهم * وسد بالمصالحة ثغرهم * صمم العزم * على التوجه الى ممالك خوارزم * وهم مجاورة غربا بالشام * ومباينوه بتمشية قواعد الاسلام * وتختهم مدينة جرجان * وهي من اعظم البلدان * وهذه المملكة ذات مدن عظيمه * وولايات جسيمه * تختها مجمع الفضلاء * ومحط رحال العلماء * ومقر الظرفاء والشعراء * ومورد الادباء والكبراء * ومعدن جبال الاعتزال * وينبوع بحار اهل التحقيق من ارباب الهدى والضلال * نعمها كثيرة * وخيراتها غزيرة * ووجوه فضائلها مستنيرة * واسم سلطانها حسين صوفي * وهو من الاعتقادات الباطلة عوفي * ومدن ماوراء النهر وضع بعضها قريب من بعض * لانها كلها مبنية باللبن والآجر على الارض * واهل خوارزم كاهل سمرقند في اللطافه * وافضل من اهل سمرقند

فى الحشمة والظرافة * يتعاطون المشاعرة والادب * ولهم
فى فنون الفضل والمحاسن اشياء عجب * خصوصا فى معرفة الموسيقا
والالحان * ويشترك فى ذلك الخاص منهم والعام * ومما هو مشهور
منهم * ان الطفل فى المهد منهم * اذا بكى او قال آه * فان ذلك
يكون فى شعبة دوكاه * فلما وصل تيمور الى خوارزم كان حسين
صوفي غائبا عنها * فذهب حواليها وما وصلت يده اليه منها * ولم يقدر
عليها * فلم يكترث بها ولا التفت اليها * ثم لم اطراف حاشيته *
وعاد الى مملكته *

ذكر عوده ثانيا الى خوارزم

ثم انه شد حزام العزم * وكر ثانيا الى خوارزم * باستعداد تام *
وجيش طام * وكان سلطانها ايضا غائبا * واقام لجميلة بكرها خاطبا *
فحاصرها * وضاجرها * وشد على اعناق مسالكها التلابيب *
وكاد ان يتشبث باذيالها منه المخالب * فخرج اليه رجل من
اعيانها * وكان تاجرا وله قدم صدق عند سلطانها * يقال له حسن
بوريج * والتمس ان يرفع عنهم ذلك الامر المريج * وان يبذل له

ماطلب * في مقابلة ما يزيد من اسير وسلب * فطلب منه حمل مائتي بغل
فضه * ترفع الى خزائنه نضه * فلم يزل يراجعه * ويلاطفه ويمانعه *
حتى صالحه على ربع سؤاله * وقام المصالح بذلك من ماله وصلب حاله *
ووزن له ذلك في الحال * واخذ يجور في الترحال * وكف عن الاذاه
شيا طين جنده * وعزم على التوجه الى سمرقنده

ذكر مراسلته ملك غياث الدين سلطان هراه * الذي خلصه من الصلب وراود فيه اباه *

ثم انه راسل سلطان هراة ملك غياث الدين الذي كان مغيثه * عملا
بقوله كتب الله على كل نفس خبيثه * وطلب منه الدخول في ربقة الطاعه *
وحمل الخدم والتقادم اليه بحسب الاستطاعه * الا قصد دياره *
وبلغه داره * فارسل ملك غياث الدين يقول * صحبة الرسول *
اما كنت خادما لي واحسنت اليك * واسبلت ذيل احساني ونعمتي
عليك * فختلت وقتلت * وفتكت وقلبت * وفعلت فعلتك التي فعلت *
وذلك بعد ان نجيتك من الضرب والصلب * فان لم تكن انسانا يعرف
الاحسان فكن كالكلب * فعبر جيحون وتوجه اليه * فلم يكن لغياث

الدين قرة العرقوف بين يديه * فارسل الى حشمه وسكان قراه *
فاستقدمهم ومواشيهم حول مراه * وحفر خندقا حول البساتين *
محيطا بالرعاع وضعفة المساكين * واحصر نفسه في القلعة * وحسب
ان يكون له بذلك منعه * وذلك لركاكة رأيه اولا وآخرا وجمود
قريحته * وقلة عقله وانحكامن فكره وذهوله * قلت * شعر *

من لم يصادف سعده تقديره * يخطئه في تدبيره تدميره *

فلم يكترث تيمور له بقتال وحصار * ولكن احاطت به العساكر دارا
مادار * ومكث تيمور في الامن والدعة * وعدوه في الضيق بعد السعة *
واضطربت الروس والحواشي * وبارت الانعام والمواشي * وعض
البلد بالزحام * وهلكت الخواص والعوام * واضناهم السغب *
وعلاهم الصراخ والصخب * فارسل اليه السلطان * يطلب منه الامان *
ويعلم انه اختنق بسببه * وانه اعانه اولا فبلي به * فذكره سابقة
العرفان * وما اسداه اليه من الاحسان * وطلب منه تاكيد الامان
بالايمان * فحلف له تيمور انه يحفظ له الذمام القديم * وان لا يراق
له دم ولا يمزق له اديم * فخرج اليه * ودخل عليه * وتمثل بين

بلده * فدخل تيمور الى المدينة * وصعد الى قلعتها الحصينة *
وصحبته السلطان وقد احاطت به جنود مراة والاهوان * فاشار
واحد من ابطال صاحب مراة على السلطان * ان يقتل تيمور ويجعل
نفسه فداه * وقال له ما معناه * ان اقدام المسلمين بغيبتي وما لي *
واقتل هذا الاعرج ولا ابالي * فلم يجبه الى اشارته * واستسلم لقضاء
الله تعالى وارادته * وقال ان لله تعالى تصريفا في عباده * ولا بد ان ينفذ
فيهم سهم مراده * ولا مفر من القضا * ولا مجير عما قدر الله تعالى وقضى

* شعر *

واذا اتاك من الامور مقدر * وفررت منه فنحوه تتوجه * وهذا امر
لا بد من ظهوره * فلا تبحث عن حقيقة امره * امن غالب القضاء
غلب * ومن ناهب الزمان سلب * ومن قاوم تيار المقدور غرق
ومن استلذ بالغفلة في مشارب الهوى شرق * وذكر في ذلك الوقت
مقالة ابيه لهو اطلع على تحقيقه * ولكن السهم خرج فما امكن رده الى فوقه *

ذكر اجتماع ذلك الجاني * بالشيخ زين الدين ابي بكر الخوافي *

وكان في بعض غزواته خرج اسان سمع ان في قصبة خواف * رجلا قد

رحمه الله تعالى الالطاف * عالياً عاملاً * كبيراً فاضلاً * ذا كرامات
ظاهرة * وآيات باهرة * وكلمات زاهرة * ومقامات طاهرة *
ومكاشفات صادقة * ومعاملات مع الله تعالى بالصدق ناطقة *
فسعى الشيخ زين الدين ابا بكر * لطائر اجتهاده في حظيرة القدس
اعلى وكر * فقصد تيمور زيارته * وتوجه اليه وجماعته * فقالوا
للشيخ ان تيمور قادم عليك * وواصل اليك * يقصد زيارتك *
ويرجو بركاتك * فلم يفه الشيخ بلفظه * ولا رفع لذلك لحظه *
فوصل تيمور اليه * ونزل عن فرسه ودخل عليه * والشيخ مشغول
بحاله على عادته * جالس في فكرة على سجادته * فلما انتهى اليه *
قام الشيخ فاخذ ركاب تيمور منكباً على رجليه * فوضع الشيخ على ظهره
يديه * وقال تيمور لولا ان الشيخ رفع يديه عن ظهري بسرعة
لخلته الارض * ولقد تصورت ان السماء وقعت على الارض * وانا
بينهما رضخت اشد رض * ثم انه جلس بين يدي ذلك المنتخب * على ركبتي
الادب * وقال له بالملاطفة في المحاورة * على سبيل الاستفهام لا الملاظة *
يا سيدي الشيخ لم لا تأمرون ملوككم بالعدل والانصاف * وان لا يميلوا

الى الجزيرة الاعتياف * فقال له الشيخ امرنامهم وتقدمنا بذلك
اليهم * فلما تميروا سلطناك عليهم * فخرج من فوره من عند الشيخ
وقد قامت منه الحدبة * وقال ملكت الدنيا ورب الكعبة * وهذا
الشيخ هو الموعود بذكره ثم ان تيمور قبض على ملك ماوراء * واحتاط
على ما ملكت يداه * وضبط ولاياتها جانبا جانبا * وقرر لكل جانب
نائبا * وتوجه الى سمرقند قافلا ما امكنه * وحبس السلطان في المدينة *
واوصد عليه بابها * ووكل بحفظها صحابها * واضاف اليهم اسد الحفاظ *
الزبانية الشداد الغلاظ * وذلك لحلفه ان لا يريق دمه * وان
يحفظ له ذمه * فلم يرق له دما * ولكنه قتله في الحبس جوعا وظما *

ذكر عوده الى خراسان * وتخريبه ولاياتها سجستان *

ثم عاد الى خراسان * وقد عزم على الانتقام من سجستان * فخرج
اليه اهلها طالبين الصلح والصلاح * فاجابهم الى ذلك على ان يمدوه
بالسلاح * واخرجوا اليه ما عندهم من عدة * ورجوا بذلك الفرج
من تلك الشدة * فحلفهم وكتب عليهم قسامات بالغة * ان هدموا سورهم
وخلعوا من السلاح فارغه * فلما تحقق ذلك منهم وضع السيف فيهم *

فخافت بهم جنود المنايا من بكرة بيهم ثم خربت المدينة فلم يبق بها
شجر ولا مدر * ومحاها فلم يبن لها عين ولا اثر * ورحل عنها
وليس بها داع ولا مجيب * وما فعل ذلك بهم الا لانهم اولا منهم
اصيب * وذكر لي الشيخ الفقيه زين الدين عبد اللطيف بن محمد بن
ابي الفتح الكرماني الحنفي نزيل دمشق بالمدرسة الجقمقية * في سنة
ثلث وثلثين وثمان مائة * ان الذين تخلصوا من القتل من اهل
سجستان * بهزيمة او غيبة او بنوع لطيفة من الله تعالى المنان * لما
تراجعوا اليها * بعد رجوع تيمور عنها * ارادوا ان يجمعوا بها ما ضلوا
يوم الجمعة وما امتدوا اليه * حتى ارسلوا الى كرمان من دلهم عليه *

ذكر قصد ذلك الغدار * ممالك سبزوار * وانقيادها اليه * وقدومها اليها عليه *

ثم لما اثار بسجستان ما اثار * قصد بعساكره مدينة سبزوار * وكان
واليها يومئذ على حسن الجويري مستقلا بالامارة وهو راض * فما
امكنه الا الاطاعة * واستقباله من الهدايا والمخدم بما استطاعة *
فاقره على ولايته * وزاد في رعايته * فصل * وكان من عادة تيمور
ومكره * انه كان في اول امره * اذا نزل باحد مستضيفا استنسه * وحفظ

اسمه ونسبه * وقال له اذا بلغك اني استوليت * وعلى الممالك استقليت *
فأتني بعلامة كذا * فاني اكافيك اذا * فلما انتشر ذكره * وشاع امره *
وفشا في الدنيا خبره وخبره * هرعت الناس بالعلائم اليه * وودت
من كل فج عميق عليه * وكان ينزل كل احد منزلته * ويحله مرتبته *

ذكر ما جرى لك الداعي في سبزوار * مع الشريف محمد رأس طائفة الدعار *

وكان في مدينة سبزوار * رجل شريف من الشطار * يدعى السيد
محمد السربدال معه جماعة من الرجال كلهم دعار * يسمون السربدالية
يعني الشطار * وكان هذا السيد رجلا مشهورا * بالمآثر والفضائل
مذكورا * فقال تيمورغلي به * فاني ما جئت الا بسببه * وقد كنت
متشوقا اليه * ومتشوفا لعلم ما لديه * فدعوه له فدخل عليه
فقام اليه واعتنقه * وقابله ببشرة منطلقه * وارحبه وادناه *
وقال في جملة فحواه * ياسيدي السيد قل لي كيف استخلص ممالك
خراسان واحويها * واني احوزها ادانيها واقاصيها * وماذا افعل
حتى يتم لي هذا الامر * وارتقي هذا المسلك الصعب الوعر * فقال
له السيد يا مولانا الامير * انا رجل فقير وقير * من آل الرسول *

من اين انا ومن اين الفضول * وانى وان قيل لى شريف * رجل عاجز
ضعيف * لا طاقة لى بموارد الهلك * ومن انا حتى اتشارف لمصالح
الملك * ومن داخل الملوك او خارجهم * او عارضهم في امورهم
او مازجهم * كان كالعائم في مجمع البحرين * وكالجائم في منتطح
الكبشين * والخارج عن لغة لحان * وشتان ما بين المأمون
والطحان * فقال له لا بد ان تدلني على هذه الطريقة * وتخبرني
عن المجاز الى هذه الحقيقة * ولولا انني تفرست فيك ذلك * وتكهنت
ان برأيك تقتنص المسالك * ولولا انك اهل لهذه المعرفة * ما فهت
لك بمنتهى شفة * ولا استغنيت عنك استغناء اللغة عن الرفة * فان
فراستي ايا سيه * وقضايا كلها قياسيه * فقال ذلك المشير * ايها
الامير * اوتسمع في هذه المقالتي * وتتبع اشارتي * فقال ما استشرتك
الا لاتبعك * ولا جاريتك الا لامشي معك * فقال ان اردت ان
يصفو لك المشرب * وتنال المالك من غير ان تتعب * فعليك
بنحو اجه علي * ابن المؤيد الطوسي * فطب نفسك هذه المالك *
ومركز دائرة هذه المسالك * فان اقبل عليك بظاهره لم يكن بباطنه

نفسه ونعمه * وقال له اذا بلغك اني استوليت * وملكت الممالك استقبلني * فاتني بعلامة كذا * فاني اكافيك اني * فلما انتشر ذكره * وشاع امره * وفشا في الدنيا خبره وشهره * هرعت الناس بالعلائم اليه * وتقدن من كل فج عميق عليه * وكان ينزل كل احد منزلته * ويحله مرتبته *

ذكر ما جرى ان لك الدا مرفي سبزوار * مع الشريف محمد رأس طائفة اللصوص

وكان في مدينة سبزوار * رجل شريف من المشطار * يدعى السيد محمد السربدال معه جماعة من الرجال كلهم دعار * يسمون السربدالية يعني الشطار * وكان هذا السيد رجلا مشهورا * بالمآثر والفضائل مذكورا * فقال لتيمور عني به * فاني ما جئت الا بسببه * وقد كنت متشوقا اليه * ومتشوقا لعلم ما لديه * فذهوة له فدخل عليه فقام اليه واعتنقه * وقابله ببشرة منطلقه * واكرمه واداناه * وقال في جملة فحواه * ياسيدي السيد قل لي كيف استخلص مالك خراسان واحويها * وانى احوز ما اد انيها واقاصيها * وماذا افعل حتى يتم لي هذا الامر * وارتقي هذا المسلك الصعب الوعر * فقال له السيد يا مولانا الامير * انا رجل فقير وغير * من آل الرسول *

من ابن انا ومن اين الفضول * واني وان قبل لي شريف * وجل ما جز
ضعيف * لا طاقة لي بموارد الملك * ومن ما انا حتى اتشاوب لمطالع
الملك * ومن داخل الملوك او خارجهم * او عارضهم في امورهم
او مازجهم * كان كالعائم في مجمع المحرين * وكالجائم في منتطح
الكبشين * والخارج من لغته لحان * وشتان ما بين الماهرين
والطحان * فقال له لا بد ان تدلني على هذه الطريقة * وتخبرني
عن المجاز الى هذه الحقيقة * ولولا انني تفرست فيك ذلك * لكلفت
ان يراك تغتلي المسالك * ولولا انك اهل لهذه المعرفة * ما نهضت
لك بهذه شفة * ولا استغنيت عنك استغناء النفه عن الرفه * فان
ذرا ساتي ايا سيه * وقضايا ي كلها قياسيه * فقال ذلك المشير * ايها
الامير * اوتسمع في هذه مقالتي * وتتبع اشارتي * فقال ما استشرتك
الا لاتبعك * ولا جاريتك الا لامشي معك * فقال ان اردت ان
يصفو لك المشرب * وتنال المطالب من غير ان تتعب * فعليك
بتوجه علي * ابن المرزبان الطوسي * تطب فلك هذه المسالك *
وتركز ابرة هذه المعالك * فاني اميل عليك بظاهري * لم يكن بباطني

الجمعة * وان ولي عنك بوجهه فلن يفيدك خيرا ولن ينفعك * فكن
على اتجلاد به خاطرا وحضورا اليك ابلغ جاعد * فانه رجل صلب
ظاهره وباطنه واحد * وان طاعة الناس منوطة بطاعته * وافعال الكل
مربوطة باشارته * فما فعل فعلوا * فان حط حطوا وان رحل رحلوا *
وكان من الرجل اعني خواجه علي المذكور رجلا شيعيا * موليا
عليا * يضرب السكة باسمه الاثني عشر امام * ويخطب باسمائهم
وكان شهما ما * ثم قال السيد يا امير ادع خواجه علي فان لبي
دعوتك * وحضر حضرتك * فلا تترك من انواع الاحترام والتوقير *
والاكرام والتكبير * شيأ الا واوصله اياه * فانه يحفظ لك ذلك ويرعاه *
وانزله منزلة الملوك العظام * في التعظيم والتوقير والاحترام * ولا تدع
معه شيأ مما يليق بحشمتك * فان ذلك كله عائد الى حرمتك وعظمتك *
ثم خرج السيد من عنده تهور * وجهز قاصده الى الخواجه علي المذكور *
يقول له انه قد عهد له الامور * فان جاء قاصدي فلا يتوقف عن
الطاعة * ولا يقعد عن التوجه اليه ولا ساعة * ويكون منشرح
البال * آمنا مطمئنا في الحال والمال * فاستند هو اجه علي لقدومه

الوارد * وورود القابض * وهيأة الخدمات * والتقادم والحمولات *
وصوبا باسمه وامر متولاة الترسم والتدبير * وخطب باسمهما في
جوامع الامصار * وقعد لامره منجزا * وقام للطلب مستوفزا *
واذا بقاصد يهنئه بمجاءه منه بكتاب * فيه من الطف كلام والين خطاب *
يستدعيه مع انشراح الصدر * وتوفير التوقير وتكثير البر * فنهض
من ساعته * ملبيا بلسان طاعته * ولم يلبث غير مسافة الطريق *
وقدم بامل فسيح وعهد وثيق * فلما اخبروه بوفوده * جهز لاستقباله
اسارة جنوده * وصدروا شديدا * وكأنه استأنف ملكا جديدا *
فلما وصل قدم هدايا فاخرة * وتحفا متكاثرة * وظرائف ملوكية *
وذخائر كسروية * فعظمه تعظيما بالغا * واولاه انعاما سابغا *
واسبل على قامة ربعانه من خلع اعزازه واكرامه ذيلا سابغا *
واستمر على ولايته * وزاد في بره وكرامته * فلم يبق في خراسان
امير مدينة * ولا نائب قلعة مكينة * ولا من يشار اليه * الا وقصد
حضوره واقبل عليه * فمن اكابرهم امير محمد حاكم بلخ وورود امير عبد الله
حاكم شرغس وانتشرت هيبته في الآفاق * وبلغت سطوته ما وراء النهر

وكيلان وبلاد الري والعراق * وامتلأت منه القلوب والاسماع *
وخافه القريب والبعيد وعلى الخصوص شاه شجاع * وكل هذا في مدة
قصيرة * وايام قلائل يسيرة * نحو امن سنتين * بعد قتله السلطان حسين *

ذكر مواصلة ذلك الشجاع * سلطان عراق العجم ابا الفوارس شاه شجاع *

ولما صفت له بلاد خراسان * واذعن لطاعته كل نامي وذان * راسل
شاه شجاع سلطان شيراز وعراق العجم * يطلب منه الطاعة والانقياد
وارسال الاموال والخدم * ومن جملة كتابه * وفحوى خطابه *
ان الله تعالى سلطني عليكم وعلى ظلمة الحكام * والجائرين من ملوك
الانام * ورفعني على من باراني * ونصرني على من خالفني وعاداني *
وقد رأيت وسمعت * فان اجبت واطعت فبها ونعمت * والا فاعلم
ان في قدمي ثلثة اشياء * الخراب والقحط والوباء * واثم
كل ذلك عائد عليك * ومنسوب اليك * فلم يسع شاه شجاع الا مهادنته
ومهاداته * ومصالحته ومصافاته * وزوج ابنته بابن تيمور *
ولم يتم ذلك السرور لحدوث الشرور * فانقبض تلك المباسطة *
بواسطة انحياد الواسطة * وتقريب الخطابة وتخريب الماشطة * قلت

بل بها مضمنا * شعر *

* اذا تعجبك الامر فرط * فاحذر ردها وكن منه على وجل *

* واعلم بان طباع الانس قد جبلت * من الجفاء ومن مكر ومن دخل *

* فلا تثق منهم يوما بواسطة * واشرع بنفسك فيه غير متكل *

* فانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول فى الدنيا على رجل *

ومن بيان الكلام * فى هذا المقام * يخرجنا من المرام * ولكن تمنعنا رياض المحبة زاهرة * وارباض المودة عامرة * وقفول المراسلة والمصادقة بين الطرفين سائرة * واستمروا على ذلك من غير نزاع * الى ان توفي شاه شجاع * وكان شاه شجاع هذا رجلا عالما فاضلا * يقرر الكشاف تقريرا شافيا كاملا * وله شعر رائق * وادب فائق * فمن شعره العربي على ما قيل * شعر *

* الا ان عهدي فى الغرام يطول * واسباب صبري بالاثال تزول *

* اصون هواها كلما ذر شارق * ولكن ما بي قد يتم فحول *

* ومن لم يذق صرف الصبابة فى الصبا * فليس بقينا انه لجهول *

* ومن شعره الفارسي *

* اى بكام عاشقان حضرت جميل * كى كزينم ديگرى بر تو بدل *

* كر زيادت عاقلم عيشم حرام * ور زجورت دم زنم خونم حلال *

* مركسى تدبير كارى ميكند * ما رضا كرديم با نعم الوكيل *

وهو شاه شجاع بن محمد بن مظفر * وابوه كان من افراد الناس ومن اهل البيوت * يسكن ضواحي يزد وابرقوه * ذا بامس شديد يخافه القريب والبعيد * ويرجوه * وكان قد نبغ بين يزد وشيراز * حرامي من عرب آل خفاجة شق على سالكي الطريقة الحقيقة المجاز * يدعى جمال لوك * افقر اغنى واثرى الصعلوك * لا يبالي بالرجال قلت او كثرت * ولا يكترث بكواكب النهار اذا الكواكب على رأسه انتثرت * فاباد طائفة من البلاد * واهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * فكمن له ابو شجاع * في بعض وهد او بقاع * ثم قابله مواجهة * وكافحه مشافهة * ونازله فصرعه * وقطع رأسه وانتزعه * فنصب برأسه السلطان * فقدمه على سائر الاعوان * واقطعه اماكن عدة * وقربه وجعله عدة لكل شدة * وكان له عدة اولاد * واقارب واحفاد * كل منهم رئيس مطاع * فمن اولاده شاه مظفر وشاه محمود وشاه شجاع * فصار كل منهم ذا كلمة نافذة * ويد معطية آخذة * ولم يكن

للسلطان ولد يبقى وراءه في أمور الملك او يعقب * فلما اقبل على
رائد المنية اجابه وولى مدبرا ولم يعقب * وكان اذ ذاك قد تمهد
امر تلد محمد بن مظفر * فتقدم في السلطنة ومن سواه تاخر * فصار
في ممالك عراق العجم الملك المطاع * واستقل من غير تشاق ونزاع
وتصرف في الممالك كيف شاء * وردّاه الله جلعة قل اللهم مالك
الملك تؤتي الملك من تشاء * ومات في حياته ولده شاه مظفر المشهور *
وخلف له شاه منصور * ثم جرى بين شاه شجاع وبين ابيه * من النزاع
والشرور ما لا خير فيه * وقبض على ابيه وقهره * وفجعه بكريمتيه
واعدمه بصره * وتمكن من السلطنة واستقر * وكان به مرض جوع
البقر * بحيث انه كان لا يقدر على الصوم لا في الشتاء ولا في الحضر *
وكان كثيرا ما يدعو الله الغفور * ان لا يجمع بينه وبين تيمور *
فلما ادركه الاجل * وطوى فراش الموت منه بساط الامل * احضر من له
من الاقارب والاولاد * وقسم عليهم الممالك والبلاد * فولى ابنه
لصلبه زين العابدين * شيراز وهي كرسي الملك ومقصد الواردين *
واقطع اخاه السلطان احمد ولاية كرمان * واعطى ابن اخيه شاه

بحي يزدوا بن اخيه شاه منصورا صفهان * واستدل وصيته ذلك
الى تيمور * وخلد ذلك في رق منشور * واشهد على ذلك من حضر
مجمعه * فكان كمن سلم الرمح لابي زربعه * ولما ادمج الموت ثوب
عمر شاه شجاع * انتشرت بين اقاربه شقق الشقاق والنزاع *
فقصد شاه منصور زين العابدين وقبض عليه * واستولى على شيراز
وفجعه بكريمتيه * وخالف عمه ونقض حبل عهده * وفعل مع ابنه
ما فعله ابوه بجده * وحمل هذه القضية ممدود * والاشتغال بنقضه
وابرامه يخرج عن المقصود * فانعص تيمور وامتعض * وتجرع
الغصص وارتهض * ولكن ارتقب في ذلك انتهاز الفرص *

ذكر توجه تيمور مرة ثالثة * الى خوارزم بالعساكر الغابة العايثة *

ثم ان تيمور جد الحزم * وصمم العزم على التوجه الى خوارزم *
وتوجه الى تلك البلاد * من خراسان على طريق استراباد * وكان
سلطانها يضاعايا * فاراد ان يولي عليهم من جهته نايبا * فخرج
اليه حسن المذكور وصالحه * واشترى منه الشرور والمقابحه *
وقال له يا مولانا الامير * كلنا عبدك اسير * ولكن سلطاننا غايب *

واذا اقيم علينا من جهتك نائب * ثم رجع الينا السلطان * فلا بد
ان يقع بينهما شنآن * وان اكان الامر كذا * قربما يصل اليه منه اذى *
فيكون ذلك سببا لكيد العداوة * ويزداد بينكما الجفا والقساوة *
فيبغض حينئذ على المسلمين * ويقع فسادا والله لا يحب المفسدين *
وحسب ان حسين صوفي صار نائبك * فكل الخلق يجب عليه ان يراعي
قبل منك وجانبك * ورأيك اعلى * واتباع مرسومك اولى * فسمع
قبول كلامه * وقبل قوله وفوض للرجيل خيامه * وكان لحسن
المذكور ابن غير فالح * له عمل غير صالح * فكأنه فتك بحظية من حظايا
السلطان * وذاع ذلك في المكان * وفاح ذفره في انف الزمان *
فلم يعتد بذلك الفعل القبيح حسن * وقال ان لي على السلطان منا
واي منن * حيث حميت بلده من كل ظلوم كفار * وبذلت في ذلك
مالي ورجالي ثلة مرار * فلا بد ان يقابل هذه المصانعة * بالعفو عن
جريمة ولدي والمسامحة * فلما آب السلطان من سفره * واطلع
على حقيقة الامر وخبره * قبض على حسن وولده * وقتلهما * والقاهما بين
يدي اسد قهره * فاكلهما * وخرب ديارهما * ونقل الى خزائنه

شما زمطو ذا رمضا * ثم لم يلبث حسين صوفي ان توفي * وولي بعده
ولده يوسف صوفي * وكان تيمور قبل ذلك قد هزمهم * وناصرهم
على مخالفيهم وظاهرهم * وتزوج ابنة الملك بدعى سبهان كيز * فعقبة
منهم فانه قد ركب قواصل خطير * وزوجه مستنيره * احصن من
شيرين واظرف من ولاده * ولكونها من بنات الملوك تدعى خانزاده
فولدت له محمد سلطان * وكان في نجابته واقباله ما طبع البرهان *
فلما شاهد تيمور في شمائله مخايل السعاده * وقد فاق في النجابة
اولاده واحفاده * اقبل دون الكل عليه * وعهد مع وجود اعمامه
اليه * لكن ما ندالد هر ذلك المظلوم * فتوفي قبله في آق شهر من بلاد
الروم * وسيأتي ذكر ذلك

ذكر توجه ذلك الباقعه الى خوارزم مرة رابعه

فلما سمع تيمور * ما جرى على حسن من الشرور * تحقق رشد الازم *
وتوجه ركاب الغضب الى خوارزم * واخذها وقتل سلطانها *
وهدم اركانها وخرب بنيانها * وولى على ما بقي منها نائبا من عنده
ونقل جميع ما امكنه نقله منها * الى ممالك سمرقند * وتاشقند

خوارزم عذاب * كما ان تاريخ خوارب دمشق خراب *
٧٧٣ ٨٠٣

ذكر ما كان ذلك الجان * راسل به شاه ولي امير ممالك مازندران *

ثم انه لما كان توجه الى خراسان * راسل شاه ولي امير ممالك مازندران *
وكاتب الامراء المستقلين بذلك المكان * منهم اسكندر الجلايري *
ارشيوند وابراهيم القمي * واستدعاهم الى حضرته * كما هو
جار عادته * فاجابه بالضرورة ابراهيم وارشيوند واسكندر *
وتأبى عليه شاه ولي ذلك الغضنفر * فلم يلتفت الى خطابه وخشن
له في جوابه *

ذكر مراسلة شاه ولي سلاطين العراق * وما وقع
في ذلك من الشقاق وعدم الاتفاق *

ثم ارسل شاه ولي الى شاه شجاع سلطان عراق العجم وكرمان * والى
السلطان احمد بن الشيخ اويس متولي عراق العرب واذربيجان *
يخبرهما بمحور خطابه * وصدور جوابه * ثم قال انا ثغركما * وان
انتظم امري انتظم امركما * وان نزل بي منه بائقة * فانها بمالكما
لاحقة * فان ساعدتماني بدد * كفيتكما عدو النكد * والا فتصيران

كما قيل * شعر

* مَنْ حُلِقَتْ لِحْيَةُ جارِلَهُ * فليَسْكُبِ الماءَ على لِحْيَتِهِ *

فَامّا شاه شُجاع فاطَّرَحَ قَوْلَه ورَماه * وما دَرَى قَبُورَ كما ذَكَرَ وَرَمادا *

وَامّا السُّلطانُ احمدُ فاجابَ بجَوابٍ مُهْمَلٍ * وقالَ هٰذا الامْرُ الاعْرَجُ

الجُغتائي ما عَساهُ انْ يَفْعَلَ * ومِنْ اَيْنَ ومِنْ اَيْنَ * للاعْرَجِ الجُغتائي

انْ يَطَأَ العِراقَيْنِ * وانّ بَيْنَهُ وبينَ هٰذِهِ البِلادِ * لَخَرْطُ القَتادِ * ولَكَمْ بَيْنَ

مَكانٍ ومَكانٍ * فَلا يَخْلُ العِراقُ كُخراسان * وَلَئِنْ عُقِدَتْ على التَّوَجُّهِ

الى دِيارِنا نِيَّتُهُ * لَتَحُلَّنَّ بِهِ مَنِيَّتُهُ * ولَتَرْحَلَنَّ عنه اُمْنِيَّتُهُ * فانّا

قَوْمٌ لَنا البَأْسُ والشِّدَّةُ * والعُدَّةُ والعِدَّةُ * والذِّرْوَةُ والنَّجْدَةُ * ولَنا يَصْلُحُ

التَّشامُخُ والتَّأبّي * حَتّى كانَّهُ قالَ قَبْلَ المُتَنَبّي * نَحْنُ قَوْمٌ مُدْجِجُونَ فى زِيِّ نامِ *

فَوْقَ طَيْرِ الماءِ خُوصُ الجِيادِ * فلمّا عَلِمَ ذٰلكَ منهم شاه ولي *

وَايْقَنَ انَّ كُلًّا مِنْهُما مِنَ العَجْزِ بِمَحَلٍّ * قالَ لَهُما انّا فَوَاللّٰهِ لَارْاقِفَنَّهُ *

بِعَزْمٍ صادِقٍ ونَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ * فَلَئِنْ ظَفِرْتُ بِهِ لَانْذِرَنَّ بِكُما فى الامْصارِ

ولَاجْعَلَنَّكُما عِبْرَةً لِاُولِي الابْصارِ * وانْ ظَفِرَ بى فَلا هَلِّي ما يَصِلُ اليَكُما *

فَلْيَنْزِلَنَّ القَضاءُ الطّامُّ والبَلاءُ العامُّ عَلَيْكُما * ثُمَّ اسْتَعَدَّ لِلِقائِهِ *

فاستسلم لقدر الله تعالى وقضائه * ولما ترا أى الجمعان * واتصلت
الحرب شفة بالضرب والطعان * ثبت شاه ولى ساعة لما نابه من شره
بعده * ثم ولى الدبر لما لاحظ ما رأى من كثرة وفره * وتبع السنة
بى الفرار مما لا يطاق * وتوجه الى الري اذ ما امكنه التوجه الى
العراق * وكان بها امير مستقل يدعى محمد جوكار * متصرفا بحكومته
فى تلك القرى والامصار * وكان كريما شجاعا * وملكا مطاعا * ومع
ذلك فانه دارى تيمور * وراعى منه بعض الامور * وخاف سطوته
وباسه * فقتل شاه ولى وارسل الى تيمور راسه *

ذكر ما جرى لابي بكر الشاساني * من الوقايع مع ذلك الجاني *

وكان فى بعض ولايات مازندران * رجل يسمى ابا بكر من قرية
تدعى شاسمان * وكان فى الحروب * كالاسد الغضوب * وكان
قد اباد وابار * الجم الغفير من عساكر التتار * اذا انتمى فى السجال *
لا تثبت له الرجال * واذا رفع العمامه * اقام فيهم القيامه *
ولا زال يكمن بين الروابي والجبال * ويجندل الجنود والابطال *
حتى صارت تضرب به الامثال * وترهب منه الفرائص والوعى طيف

الخيال * فكان القائل منهم يقول لصوكوبه اذا علق عليه ارمقا *
فتأخر عن الماء ارجل من الخلاء * كأن ابا بكر الشاهباني في الماء
او بين العليق تراه * وقيل لم يتضرر عسكر تيمور في مدة احتلاله *
مع كثرة حروبه ومصافاته وابلائه * الا من ثلثة انفار * اضروا به
وبعساكره غاية الاضرار * واورد واكثيرا منهم موارد النار *
احدهم ابو بكر الشاهباني * وثانيهم سيدي علي الكردي وثالثهم امة
التركماني * فاما ابو بكر فذكروا انه في بعض مضائق مازندران *
تغلب عليه الجغتاى من كل مكان * وسدوا عليه وجه المخلص *
وشدوا حبل المقنص * فالجاؤه الى جرف مقابله جرف * مقدار ثمانية
اذرع ما بين الجرف الى الجرف * كأن قعره جب النقير * اوواد في قعر
السعير * فنزل ابو بكر عن جواده المضمر * وطفر وطمر من احد
الجرفين الى الاخر * بما عليه من السلاح والمغفر * ولم ينل منهم
ضرا * اونجاكما نجا بطشرا * ثم اتصل بحاشيته وابادهم * ونقل
الى طاحون الفناء منهم من استكمل دياسهم وحصادهم * ثم ما ادري
ما مرة الى ما ذا آل * وكيف تقلبت به الاحوال * واما سيدي علي الكردي

فانه كان اميرا في بلاد الكرد * معه طائفة من الخيل الجرد * والرجال
غير المرد * في جبال عاصية * واماكن وعرة متعاصية * فكان يخرج
هو وجماعته * ومن شملته طاعته ويترك على فم المضائق * من قوية
واثق * ثم يشن على عساكر تيمور الغارات * ويدرك فيهم للمسلمين
الثارات * ويقتطع من حواشيهم * وما يمكنه من مواشيهم * ثم يرجع
الى اوكاره * بما قضى من اوطاره * ولم يزل على ذلك البيات في حيوة
تيمور وبعد ان مات * الى ان ادركته الوفاة ففات * واما امة
التركمان فانه كان من تراكمة قراباغ * وله ابنان قد وضع كل منهما
على قلب تيمور اي داغ * وكانت الحروب والنزال * بينهم وبين اميران
شاه وعساكر الجغتاي لا تزال * وافنوا من جماعتهم عددا لا يحصى *
وجانبا فات الاستقصا * الى ان غدروا واحد من المنتسبين اليهم * فطلب
غرتهم ودل عسكر اميران شاه عليهم * فبيتوهم ليلا * واداروا
من دمهم سيلا * فاستشهد الثلثة في سبيل الله * رحمهم الله *

* قلت * شعر *

* واصعب فتنة تشمت الاعدا * واثكى منه تخذل الموالي *

* وقيل شعر *

* وظلم ذوي القربى اشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند

* وقيل شعر *

* اذا كان هذا بالاقارب فعلكم * فما ذا الذي ابقيتم للاباعد *

ذكر توجه تيمور الى عراق العجم * وخوض شاه منصور غمار ذلك

البحر الخضم *

ولما توفي شاه شجاع * ووقع بين اهله كما مر نزاع * واستقر امر عراق

العجم على شاه منصور * وخلصت ممالك مازندران وولايتها لتيمور *

وكان شاه شجاع قد اوصى الى تيمور بولده زين العابدين كما ذكر

وكل امره اليه * وجد تيمور على شاه منصور طريقا بما فعله من ابن

عمه زين العابدين فاحتج بذلك ومشى عليه * فاستمد شاه منصور

اقاربه * فكلهم صار محاربه * وعاد مجاذبه ومجانبه * واقام كل

منهم يحفظ جانبه * فتهيأ لملاقاته وحده * بنحو الفي فارس كاملي العده *

بعد ان حصن المدينة * وحوطها بالاهبة المكينة * ورتب خيلها

ورجلها * وحرض على التضمير والتربيص اهلها * فقال له اكابر اعيانها *

والروس من سكانها * كأنها في المغنم * وهذا الحرب قد التحم *
وقد منعنا من الوصول اليها * ودافعنا عن الهجوم علينا * وربما جدد لنا
له رجالا * وابطلنا من عسكره ابطالا * ثم بما ذا تصنع انت بالقنى
راكب * مع هذا الغمام المتراكم المتراكب * وربما حل عقدك * او يقتل
عندك * فلا ترى لنفسك في الصبحاء * الا طلب الخلاص والنجاء * وتركنا
لحما على وضم * بعد ان زلت بنا معهم القدم * ولا يفعلنا بعد تاكيد
العداوة الندم * ولا يجبر منا اذ ذاك هذا الكسر * الا بالقتل والنهب
والاسر * فوضع يده على دبوسه شاة منثور * وقال هذا الالف في الكاف
الساد سة من امم من يفر من تيمور * اما انا فاقاتل وجندي * فان خذلني
جندي قاتلت وحدي * وبذلت في ذلك جدي وجهدي * وهانت علي
وكدي وكدي * فان نصرت فلت فضلي * وان قتلت فلا
علي ممن بقي بعدي * وكاني انا كنت الحاضر * والناظر في عواقب
الشاعر * حين قال

* اذا ما الفتى ناهز ثلاثين حجة * ولكب عن ذكر العواقب جانبا *

وقيل ان شاة منثور فرق وجاله على قلاعه * واراد بذلك حفظ من فيه

فضائع في ضياعه * ثم جمع رؤساء شيراز وأجنادها * وأقلاتهم
كيف عاد ولادها * وقال إن هذا عدو ثقيل * وفوران كان خارجيا
فهو في بلاد نادخيل * فالرأي أني لا أنحصر معه في مكان * ولا أقاتله
بضراب أو طعان * بل أنتقل في الجوانب * وأتسلط أنا ورعاياي
عليه من كل جانب * فنضع أكتافهم * ونقطع أطرافهم * ونواقيه
بالنهار ونراقبه بالليل * ونعمل له ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل *
وكلما وجدنا منه غرة * كسرنا منه القفا والغرة * فتارة نتخطه * وأخرى
نرمحه * وكرة نخدجه ومرة نجرحه * ونسلبه الهجوع * ونمنعه
الرجوع * فتشتد عليه المضايق * وتنسد عليه الطرق والطرائق * غير أن
لا تقصدنكم يا أحرار * ويا نمور القفار * ونمور النهار * أن تحتفظوا
بضبط الأسوار * ولا تغفلوا عنها أنام الليل وأطراق النهار * فإني
عامد بمشيئة الله إلى واحد منهم منكم * وإن حاصرتكم تحفظكم
كفاية * واستودعكم الله وهو نعم الوقاية * وغاية ما تكونون في مدة
البوما * مقدار ما وعد الله تعالى نبيه موسى * ولله در المرأ ما كان
أمتنه * وروحه مذ القصد ما كان أحسنه * ثم إنه خرج ذاهبا * وقصد جانبا *

ذكر دقيقة تصدت فحلت وانقضت * ما ابرمه شاه منصور

من عقد حبن حلت *

فبينما هو عند باب المدينة جالس * نظرته سعلاة من مشومات العجائز *
فبدرته بالملام * وآذته بالكلام * وناديت بلسان الاعجام * انظروا
الى هذا الترك بحرام * رعى اموالنا * وتحكم في دمائنا * وفارقنا
اخرج ما نحن اليه في مخاليب اهدائنا * جعل الله حمل السلاح عليه
حراما * ولا انجح له قصدا ولا اسعف له مراما * فقد حنت زيادة *
وجرحت فؤاده * وتاججت نيران غضبه * واحرق اكباده من تدبره
شواظ لهبه * وثارت نفسه الابية * واخذته حمية الجاهلية *
حتى ذهب لبه ذلك الرجل الحازم * وغاظ فاعمى وهو لغلطه ملازم *
فثنى عنان عزمه * وركز اسنان لازمه * واقسم لا يبرح من المقاومة *
ولا يرجع في مجلس قضاء الحرب من ملازمة المصادمة * ويجعل
ذلك دأبه صباحا ومساء وعشاء * الى ان يعطي الله النصر لمن يشاء *
ثم قابل * وتتبع ابطاله وقاتل * وكان في عسكرنا شاه منصور * امير
شراحانيي مياطين التيور * يدعى محمد بن زين الدين * من العجرة

المعتدين * وجل العساكر كان معه * فسار الى تيمور واكثر الجند تبعه * فلم يبق منهم الا دون الالف * فما فرّوا حد منهم من الزحف * فثبت شاه منصور * بعد ان تضعضعت منه الامور * فلم تزل ثيران الهيجاء تنطح * وزناد الحرب تورى اذ تنقدح * وشرار السهام تتطاير * ونار الروس بمناجل السيوف تقطف فتتناثر * حتى اقبل جيش الليل * وشمر للهزيمة جند النهار الذيل * فتراجع كل منهم الى وكره * واعمل شاه منصور فكره في مكره *

ذكر ما نقل عن شاه منصور * مما اوقع بعسكر تيمور * من الحرب والويل * قحت جنح الليل *

فعمد الى فرس جفول * من بين الخيول * اجمح من دعر رمح * وارمح من عصر جمح * واتى بها عسكر العدو * وقد اخذ الليل في الهدو * ثم ربط في ذنبها قدرا من النحاس * ملغومة في قطعة بلاس * وشد ما شدة احكم وثاقها * وضرب برأسها نحو العدو وساقها * فجالت الفرس في العسكر واضطربت * واختطف الناس واحتربت وانسابت جداول السيوف في بطون تلك النحور وانصبت * حتى كان الساعة

اقتربت * والسماء عليهم بالشهب انقلبت * والارض بهم امتزت
وربت * وشاة منصور واقف حوالهم * كالبازي المطل عليهم *
يقتل من شد * ويبيد من ند * وصاروا كما قيل

* شعر *

* الليل داج والكباش تنتطح * نطاح جد ما اراها تصطلح *
* فقائم وقاعد ومنبطح * فمن نجا برأسه فقد ربح *
قيل انهم اقتتلوا فيما بينهم حتى فنى نحو من عشرة آلاف نفس *
فلما قوض الليل خيامه * ورفع النهار اعلامه * علموا البلاء كيف
دهاهم * وليت الليل لم يكن فارق ذراهم * ثم ان شاة منصور اصبح
وقد قل ناصره * وفل موازره * فانتخب من جماعته نيفه * نحوا
من خمس مائه * فجعل يصول بهم صولة الاسد * ويخوض بهم
غمار الموت فلا يلوي امامهم احد على احد * ويميل يسرة ويمنة وينتسب *
ويضيح انا شاة منصور الصابر المحتسب * فتراهم بين يديه حموا مستنفرة *
فرت من قسورة * وقصد مكانا فيه تجور فهرب منه ودخل بين النساء *
واختفى بينهن وغطى بكساء * فبادرنه وقلن نحن حرم * واشرن

الى طائفة من العسكر المصطدم * وقلت هناك بغيتك * وبين اولياك طلبتك * فانثنى راجعا * وتركهن مخادعا * وقصد حيث اشرت اليه * وقد اجاطت به جموع العساكر وحفت عليه * قلت بدأ بها

* شعر *

* وما حزا عناق الرجال سوى التيما * وأى بلاء ما لقين به ابلاء *
* وكم نار شر احرقت كبد الورى * ولم يك الا مكرهن لها اصلا *
وكان على فرس فاقت خصالا * فضرب فيهم بسيفين يمينا وشمالا *
وفرسه السبوح كانت تقاتل معه * وتصدم وتكدم من يقرب منها في تلك المعمعة * وكأنه كان ينشد معنى ما قلته في مرآة الأدب

* شعر *

* يد الله قوتني فغلبت يداهم * وهل يدى يدى فيهم بسيفين تضرب *
فما ركلما قصد رعلة من تلك الرعالى * افترقت امامه يمينا وشمالا
وان كانوا كلهم من اهل الشمال * ولكن * شعر *
* اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاعظم ما يجنى عليه اجتهاده *
حتى انهكته الحرب * وكلت يداه من الطعن والضرب * وجندلت

ابطاله * وقتل خيله ورجاله * وتغيرت من كل جهة احواله * وسئمت
طرائقه * وذمت مطاعمه * وخرست شقاشقه * وصوصت ديابقه *
وخمدت نيرانه * وقلت بياذقه * وحصن فيها فارس جناحه *
وخف سراحه * وانثلم جراحه * وسكنت فهيمته * وسكتت
فهيمته * فانفرد من اصحابه * وقد آذاه الجراح وآوده به *
ولم يبق معه في ذلك العمر * سوى نفرين احدهما يدعى توكل والآخر
مهتر فخر * واخذه الدهش * وغلب عليه الغطش * ونقف الوهج
والوهج كبة * وطلب شربة ماء فما وجده * ولو وجد ما يبل به ريقة *
لما قدر احد ان يقطع عليه طريقه * فرأى الاولى * طرح نفسه بين
القتلى * فاطرح بينهم نفسه * ورمى اعنته وسيب فرسه * وقتل توكل
ونجا فخر الدين * وبه من الجراح نحو من سبعين * وعمر بعد ذلك
حتى بلغ تسعين * وكان من الابطال والمصارعين * فتراجع جيش
تيمور وتصارم * وانتعش بعد ان بلغ موارد الحمام * وذلك بعد ان
قتل منهم ما لا يعد * وافنى ليلا ونهارا ما لا يحصى ولا يعد * وطفق
تيمور في القلق * والضجر والارق * لفقد شاه منصور * وعدم الوقوف

طى حالِ ذلك الاسد المصور * امرعى الاحياء فيخشى فكره * ام
انتقل الى دار الفناء فيأمن مكره * فامر بتفتيش الجرحى * والتنقيب
عنه بين القتلى والطرحى * الى ان كادت الشمس تتوارى بالحجاب *
ويغمد حسام الضياء من الظلام فى قراب * فعند ما ضم دينا والبيضاء *
تحت ذيل ملاءة الضياء * ومد نساج القدرة فى جو الفضاء سدا * والليل
اذا سجى * ونثر على سطح هذا الاديم الميناء * دراهم كواكبه الزهراء *
واتسع الظلام واتسق * عثر واحد من الجغتاى على شاه منصور وبه
ادنى رمق * فتشبث شاه منصور بذلك الانسان * بل الشيطان
الخوان * وناداه الامان الامان * انا شاه منصور * فاكتم عنى هذه
الامور * وخذ منى هذه الجواهر * وخافت فى قضيتى ولا تجاهر *
كأنى لا رأيتك ولا رأيتنى * ولا عرفتك ولا عرفتنى * وان اخفيت مكانى *
ونقلتنى الى اخوانى واعوانى * كنت كمن اعتقنى بعد ما اشترانى *
ومن بعد ما اماتنى احيانى * وكنت ترى مكافاتى * وتغنم مصافاتى *
ثم اخرج له من الجواهر * ما يكفيه وذريته الى يوم الآخر * فكان
فى قصته واستكشاف غصته * كالمستغيث بعمرو عند كربته * فما تم

أن وثب على شاه منصور * وحزرأسه وأتى به الى تيمور * وحكى له
ماجرى بتنجيز المشترى فما صدقه * ولا في كلامه استوثقه * بل اخرج
من قبائله وشعوبه * من عرفه به * فعرفوه بشامه * كانت على وجهه
علامه * فلما علم انه شاه منصور بعينه * وتميز له صدق ذلك الرجل
من مينه * تحنق وتحيف * وتحرق لقتل شاه منصور وتاسف * ثم سأل
ذلك الرجل عن محتده * وعن والده وولده * وعن قبيلته وذويه *
ومخدومه ومربيه * فلما استوضح اخباره * علم نجاره ووجاره *
ارسل موسومه الى متولي تلك الدار * فقتل اهله وأولاده * واعوانه
وانصاره * وآله واحفاده * واختانه واصهاره * وقتله شر قتلة
ومحا آثاره * وصادر مخدومه وقتله وخرب دياره * ثم ارسل الى
اطراف ممالكه مطالعات * يذكر فيها صور تلك المصافات والمواقعات *
وما شاهد من وثبات شاه منصور وثباته * وغشيانه غمرات الحرب
وضرباته * وما حصل في واقعة القتال على الحديدي صف مرسلاته *
وكيف زلزلت العاديات وولولت النساء في فتح حجراته * بعبارات
هائله * وكلمات في ميادين الفصاحة والبلاغة جائله * وهذه المطالعات

تقرأ في المنازل والمشاهد * وتتلى في المصادر والموارد * يستفتى منها ذوو الآداب * ويغتني بحفظها الكتاب والصبيان في الكتاب * رأيت في أخبار بعض المحتبين * أنه في شوال سنة خمس وتسعين * وردت رسول صاحب بسطام * يؤذن ملطان مصر بالإعلام * أن تيمور قتل شاه منصور * وأنه تولى على شيراز وسائر البلاد * وأرسل رأسه إلى حاكم بغداد * وأمره بالطاعة * فورد من معه من الجماعة * وأرسل إليه خلعة * وأن يضرب السكة باسمه ويخطب بذلك في الجمعة * فلبس خلعته وأتمر * ممتثلا كل ما به أمر * وأنه علق رأس شاه منصور * بعد ما طاف به على السور * وما أظن لذلك صحة ذكر ما وقع من الأمور والشرور * بعد واقعة شاه منصور * فاستولى تيمور على ممالك فارس وأرض عراق العجم * وراسل من دانا له من أقارب شاه شجاع وملوك الأمم * واستمال الخواطر * وأمن البادي والحاضر * ورحل فجاز * مدينة شيراز * وضبط أحوالها * وقرر فيها خيلها ورجالها * ونادى بالأمان * للقاصي والدان * فأتته دعوته ملوك البلاد * ولم يتخلف عنه إلا الاطاعة

والانقياد * فوصل اليه سلطان المحل من كرمان * وبعث اليه ما من يزد وقصد سلطان ابو اسحق بن شيرجان * فانهزم وخلع على من اطاعه وانقاد * ولم يتعرض لمن اظهر العناد * ولم يشق بينه وبين مخالفيه الحصاد * واكرم من اطاعه ليرتفع بذلك من عصاه * وطرح على شيراز وسائر البلدان بالامان * واقام في كل بلد من جهته نائبا وتوجه الى اصبهان * واحسن الى زين العابدين الذي هو وصيه من ابيه * ووقف له من الجواهر والادرار ما يكفيه وذريته

ذكر ما صنع الزمان * فتح سلطان باصبهان *

فلما وصل الى اصبهان * وكانت من اكبر البلدان * مملوة بالافاضل * حشوا بالاماثل * وبها شخص من علماء الاسلام * والسادة الاعلام * قد بلغ في العلم الغاية * في العمل والاجتهاد النهاية * اقواله مبرورة * وكراماته مشهورة * وآثاره في كون * ومحاسنه على جبهة الايام منقوش * وهو معتقد المسلمين * وامام الدين * وكان اهل اصبهان يذكرون

لَهُ تَعَالَوْا * نَرْتَحِلْ رُوَيْدًا مِنْ شِرَّةِ أَيِّ مَحْذُورٍ * فَيَقُولُ لَهُمْ مَا دُمْتُ فِيكُمْ
حَيًّا * مَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُ شَيْءٍ * فَإِنْ وَفَانِي الْأَجَلُ * فَكُونُوا مِنْ أَمْرِكُمْ
عَلَى وَجَلٍ * اتَّفَقَ أَنَّهُ فِي وُصُولِ تَيُّورٍ * تُوُفِّيَ الشَّيْخُ الْمَذْكُورُ * فَأَصْبَحَتْ
أَصْبَهَانُ ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ نُورًا عَلَى نُورٍ * تَتَضَاعَفُ
حَسْرَتُهُمْ * وَتَرَدَّدَتْ كَسْرَتُهُمْ * فَوَقَعُوا فِي الْحَيْرَةِ * وَصَارُوا كَأَبِي
هُرَيْرَةَ * رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ يَقُولُ

* لِلَّنَامِ هَمٌّ وَلِي فِي الْيَوْمِ هَمَّانِ * فَقْدُ الْجِرَابِ وَقَتْلُ الشَّيْخِ عُثْمَانِ *
* فَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَصَالَحُوهُ عَلَى حَمْلِ أَمْوَالٍ * فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ لِاسْتِخْلَاصِهَا
الرِّجَالَ * فَوَزَّعُوهَا عَلَى الْجِهَاتِ * وَفَرَضُوا عَلَى الْحَارَاتِ وَالْمَحَلَّاتِ *
وَتَفَرَّقَ فِيهِمُ الْمُسْتَخْلِصُونَ * فَكَانُوا يَعِيثُونَ فِيهِمْ وَيَعْبَثُونَ * وَاسْتَطَالُوا
عَلَيْهِمْ فَجَعَلُوهُمْ كَالْخَدَمِ * وَتَوَصَّلُوا إِلَى أَنْ مَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى الْحَرَمِ *
فَانْتَكَرَ مِنْهُمْ أَيُّ نِكَايَةٍ * فَرَفَعَ أَهْلُ أَصْبَهَانَ إِلَى رَئِيسِهِمُ الشِّكَايَةَ *
وَكَثُرَتْ مِنْهُمُ الشَّكِيَّةُ * وَهُمْ قَوْمٌ لَهُمْ حَمِيَّةٌ * قَالُوا لَيْسَ هَذَا مِنْ مِلَّةِ
الْإِسْلَامِ * خَيْرٌ مِنَ الْحَيْرَةِ مَعَ هَذِهِ الِاسْتِطَالَةِ * فَقَالَ لَهُمْ رَئِيسُهُمْ إِذَا أَقْبَلَ
الْمَسَاءُ * فَإِنِّي أَضْرِبُ الطَّبْلَ لِكَيْ لَا تَبِيتَ كِمَاءٌ * فَإِذَا سَمِعْتُمُ الطَّبْلَ قَدْ دُقَّ *

فالقول قول حق * فليقبض كل منكم على نزيله * وليحتكم منكم بسمين رأيه
وهزيله * فاتفقوا على هذا الرأي المعكوس * والامر المنكوس في الطالع
المنحوس * وقصروا ايديهم انظارهم السقيمه * عن قصارى هذه الامور
الوخيمه * ولما تعرى العنان من ثوب نوره * وابدل الجو قامته
بسموره * ومضى هزيع من الليل * ضرب الرئيس الطبل فجل
بالمستخاصين الويل * فقتلوهم وكانوا نحواً من ستة آلاف * فاصبحوا
وقد غرسوا في درج العصيان اغصان الخلاف * فاثمر ذلك لهم
الحور بعد الكور * وبان لهم البور فاصبحوا بوراً بهذا البور * ولما سل
الفجر حسامه * وحسر النهار لثامه * بلغ تيمور ذلك الصنع المشؤوم *
فنفخ الشيطان منه في الخيشوم * فارتحل من فوره * واستل عضب
غضبه ونثل جعبة جوره * وتوجه الى المدينة مزمجرا * مصراع *
متكلما متأسفا متنمرا * فوصل اليها * واخذ عليها وامر بالدماء ان
تصفك * وبالحرمات ان تهتك * وبالارواح ان تسلب * وبالاموال
ان تنهب * وبالعمران ان تخرب * وبالزروع ان تحرق *
وبالضروع ان تعرق * وبالاطفال ان تطرح * وبالاجساد

أن تخرج * وبالاحرام أن تتلثم * وبالذمم أن تعلم ولا تسلم *
وأن يطوى بساط الرحمة * وينشر ممحو النقمة * فلا يرحم كبير لكبره *
ولا صغير لصغره * ولا يوقر عالم لعلمه * ولا ذو أدب لفضله وحلمه * ولا شريف
لنسبه * ولا منيف لحسبه * ولا غريب لغربته * ولا قريب لقرابته
وقربته * ولا مسلم لاسلامه * ولا ذمى لذمامه * ولا ضعيف لضعفه *
ولا جاهل لركاكة رأيه وسخفه * وبالجملة فلا يبقى على أحد *
ممن هو داخل الملل * وأما أهل المدينة فعلموا أنه ليس للجدال
مجال * فضلا عن ضراب وقتال * وأن قبول الاعذار محال *
وانه ليس ينجيهم من ريب المنون * مال ولا بنون * ولا يقبل منهم
في تلك الساعة * ولا ينفعهم عدل ولا شفاعة * فتحصنوا بحصون
الاضطلاع * وتدرعوا دروع الاعتباز * وتلقوا سهام القضاء
من هنا يا لمنايا بحجن تسليم المراد * وامتطوا خربات الطعن
من سيوف الحتوف بأعناق التفويض والانقياد * فاطلق في ميادين
رقابهم عنان الحسام المتار * وجعل مقابرهم بطون الذئاب والسباع
وحواصل الانسار * ولازالت عواصف الفناء تحتهم من اشجار الوجود

حتى * حصروا عدد القتلى فكان نحو سبعة وازمن امة يونس بن متى *
فاستغاث بعض الصراء * بوابيه من رؤس الامراء * وقال البقية
في البقية * والرعاية في الرعية * فقال ذلك الامير * للسائل الفقير *
اجمعوا بعض الاطفال هنا بعض القلل * فلعل ان يلين قلبه عند
رؤيتهم شيأ ما عسى ولعل * فامتثلوا ما به امر * ووضعوا شرذمة
من الاطفال منه على الممر * ثم ركب ذلك الامير مع تيور واخذ به
على تلك الاطفال ومر * ثم قال انظر يا مخدوم * نظر الراحم الى المرحوم *
فقال ما هؤلاء * الضرحاء الاشقياء * فقال اطفال معصومون *
وامة مرحومون مرجومون * استحر القتل بوالديهم * وحل غضب
مولانا الامير على اكابرهم وذويهم * وهم يسترحمون بعواطفك الملوكية
وصغرهم * ويستشفعون اليك بذلهم وضعفهم ويتمهم وفقرهم
وكسرهم * ان ترحم ذلهم * وتبقي على من بقي لهم * فلم يحر جوابا *
ولا ابدى خطابا * ثم مال بعنان فرسه عليهم * ولم يظهر انه بصر بهم
ولا نظر اليهم * وما لبث معه تلك الجنود والعساكر * حتى اتى منهم
على الاول والاخر * فجعلهم طعمة للسنابك * ووطئة تحت الاقدام

أولئك * ثم جمع الاموال * واوسق الاعمال * ومال زاحفا الى
سمرقند بما قد نال * وكم بين مذية الامور والقضايا * من دواة
وبلايا * واخبار وحكايات وتجهيز سرايا * وتولية وعزل * وابراز مزل
في صورة جد وجد في صورة مزل * وبناء وهدم * وصلح وردم * وتعمير
عامر وتخريب عامر * وتهان وتعاز * وانحراف وتوازر * ومباحثات
مع علماء * ومناظرات مع كبراء * ورفع وضعاء * ووضع شرفاء * وتمهيد
قواعد * وتقريب اباعد * وتبعيد اداني * وبروز مواسيم الى كل قاص
وداني * الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر * ولا يضبط بديوان ولا دفتر *

ذكر ضبطه طرف المغل والجتا * ومناضلته عنه في تلك الاماكن واتى *

ولما وصل الى سمرقند ارسل ابن ابنه محمد سلطان بن جهانكير *
مع سيف الدين الامير * الى اقصى ما تبلغ اليه مملكته * وتنفذ فيه
كلمته * وهو وراء سيحون شرقا سوا * آخذا في بحور ممالك المغل
والجتا والخطا * نحوا من مسيرة شهر * عن ممالك ما وراء النهر *
فمهدوا ممالك الرمل والبقاع * وبنوا فيه جملة من القلاع *
واقصى ما بلد يسمى اشنارة * فمنوا فيه حصنا حصينا معلى للنهب

والغارة * وخطب من قنابت الملوك ملكة الخوارنة * وكانت الأولى تدعى الملكة الكبرى والأخرى الملكة الصغرى * فاجابهم ملكهم الى ما سألوا * وانابه الى ما طلبه منه بالاطاعة والذل * وارتجت منه اقاليم المغل والخطا * وذلك لما بلغهم مما فتك * في كل طرف وبتك * من بلاد الاسلام وسطا * وكان السفير في ذلك الله داداخا سيف الدين المذكور * وهو الذي استخلص اموال دمشق ونزل في دار ابن مشكور * وامر بتعمير وبناء مدينة على طرف سيحون من ذلك الجانب * وعقد اليها جسرا على متن النهر بالمراسي والمراكب * وسماها رخية * وهي في اماكن رخية * وسبب تسمية ابنه شاه رخ بهذا الاسم * وسم هذه المدينة بهذا الوسم * انه كان على عادته * مشغولا بلعب الشطرنج مع بعض حاشيته * وقد امر ببناء هذه المدينة على هذا الساحل * وكان بجانبه حظايا ومعه وفي حامل * فرمى على خصمه شاه رخا * فلما رأى خصمه ذلك ارتجى * وانما خصمه الذي وقع في الاين * اذ ابشر بمبشرين جاءا مخبرين * احدهما يبشره بولد * والاخر يبشره بفتح عامر البلد * فسماه مما بشر به الاسمين *

ذكر صدور ذلك الامر من ابواب السلطنة

ذكر صدور ذلك الامر من ابواب السلطنة * الى ممالك فارس وخراسان * وتمكنه بملوك
عراق العجم * واستمساكه تلك الولايات والامم *

ثم عاد * بعد تمهيد البلاد * وتوطيد قواعد ممالك تركستان *
الى بلاد خراسان * فاستقبله الملوك والامراء * والسلاطين والوزراء *
وسارعوا اليه من كل جانب * ما بين راجل وراكب * ملبين دعوته *
هادين سطوته * مغتنمين خدمته * وسلكوا الانجاد والاغوار *
والاطواد والقفار * والقرى ومكانها * والمدن وقطانها * والقلاع
العاصية * وربطوا بذيل امره كل ناصية * ممتثلي اوامره * مجتنبي
زواجره * حائدين عن نطاق عبوديته * نابذين الاخلاص * تابعي رائق
مرضاته على تجانب الولاء والاختصاص * فمنهم من مر ذكره
من المطيعين * ومن كانوا في الشوامخ المنيعة متحصنين * ومن حملتهم
اسكندر الجلالي احد ملوك مازندران * وارشيوند الدارشكوهي ذلك
الاسد الغضبان * صاحب الجبال * الشوامخ العاصية الظلال *
وابراهيم اللمي صاحب الجبل * والمعد لكل شدة * واطاعة السلطان

ابو اسحق من شيرجان * فاجتمع عنده من ملوك عراق العجم سبعة عشر
نفرا ما بين سلطان وابن سلطان وابن اخي سلطان * كلهم في ممالكه
ملك مطاع * مثل سلطان احمد اخي شاه شجاع * وشاه يحيى ابن
اخي شاه شجاع صوى ملوك مازندران * وسوى ارشيوند وابراهيم
وملوك خراسان * ولما ملك السلطان ابو اسحق نطاقاربه في الطاعة
وعمل على ذلك الطرز * خلف ببلده شيرجان نائبا يقال له كود رز *
فاتفق في بعض الايام * انه اجتمع عند تيمور هؤلاء الملوك العظام *
فكانوا عنده * في خيمة له وهو بينهم وحده * فاشار واحد منهم الى شاه يحيى
وقد امكنت الفرصه * ان يقتله ويرفع عن العالم هذه الغصه * فاجابه
بعض وامتنع بعض * وقال لمن رضي بذلك من لم يرض * ان لم
تكفوا * وعن هذا المقال تعفوا * اخبرته بهذه المقاله * واطلعته على هذه
الحاله * فامتنعوا عن هذا الرأي المتين والفكر الرصين * لاختلافهم
ولا يزالون مختلفين * وكانه طالع احوالهم او تفرس اقوالهم *
فاضمرها في نفسه ولم يبدها لهم * ثم مكث اياما * وجلس للناس مجلسا
عاما * وقد لبس ثيابا حمرا * وهو وهؤلاء الملوك السبعة عشر طرا *

ثم امرة فقتلوا جميعا في ساعة واحدة غيرا * ثم لما ابادهم * ضبط بلادهم * وجمع
طريفهم وتلادهم * وقتل اولادهم واحفادهم * واقام في مقامهم
اولاده * وامرآءه واحفاده واسباطه واجناده * وسبب قتله هؤلاء الملوك
وفتكه * وتمزيقه ستر حيوتهم وهتكه * ان بلاد العجم كانت لا تخلو
عن الملوك الاكابر * ومن ورث الملك والسلطنة كابرا عن كابر * وهي
ممالك واسعه * اطرافها شاسعه * مدنها وافره * وقراها متكاثره *
واوتادها راسخه * وعرانين اطوادها شامخه * ومحدراتها
قلاعها ناشزه * ومضمراتها مكامنها ومعادنها غير بارزه * وكوامن
اكاسرها كاسره * ونواشر جواريحها للظهور ناشره * وثغور دعارها
طامره * وبحور شطارها طافره * وثعابين ابطالها في جداول الجدال
ظاهره * وتماسيح اقيالها في بحار الضراب قاهره * فنظرت بعين
بصيرته * في وزيلة تامله ومرآة فكرته * فراته لا يزكو له وردعارضها
من شوكة عارض * ولا يصفو له ثغر فايضها من شارب معارض *
ولا يثبت له في بنيان ممالكها اساس محكم * ولا يثبت له في بستان
ممالكها غراس منعم * وكان قصده ابقاء مبانيها * واجراء امورها

على ما اقتضته التورة الجنكيزخانية فيها * فلم يمكن عمل فلاحة لسلطنته في بسيط ارضها * وعوق انها راوامره في ضرائب مماليكها طولها وعرضها * الا بقلع علايق السابكا برها * وكسر قوادم اخشاب احساب اكاسرها * فسعى في استيصال فروعهم واصلهم * واجتهد في اهلاك حرثهم ونسلهم * وجعل لا يسمع لهم بزرة نطفة في ارض رحم الا قلعها * ولا يشم منهم رائحة زهرة في كمين الا قطعها * وقيل انه كان في مجلس فيه اسكندر الجلابي وكانه كان مجلس نشاط * ومقام انشراح وانبساط * فسأل اسكندر * في ذلك المحضر * وقال ان حكم القضاء بافساد دينيتي * من تراه يتعرض لاولادي وذريتي * فاجابه وهو في حالة الشطح * وان حللت عليه دماغه ووضع سراج العقل فيها فوق السطح * اول من ينازع اولادك المشائيم * انا وارشيوذن وابراهيم * فان نجا من محاليبي منهم احد * فانه لا يخلص من انياب ابراهيم الاسد * وان افلت احد منهم من ذلك البند * فانه لا مخرج له من شراك ارشيوذن * وكان ارشيوذن وابراهيم غائبين * فلم يتعرض تيمور لاسكندر بضرر وشين * وارادبالابقاء عليه * وقوعه

مع صاحبيه * فلما افاق اسكندر اليهم على ما قال * فقال لا مفر
من قضاء الله ولا محال * ولا عتب في ذلك علي * انطقني بذلك الله
الذي انطق كل شيء * ثم ان اسكندر وابراهيم هربا * فقبض على ارشيونس
والقاه في النار عاتبا فصارنبا * وهتك حريم عمره اذ جرعه اول الرعب
واقرأه اخر نوح وسبا * ثم ان اسكندر لم يره اثر * ولا سمع عنه
الى يومنا هذا خبر * وكان كبير الهامه * طويل القامة اذا مشى
بين الناس كأنه علامه * حتى قيل ان مدى ذلك القصر المشيد * كان
نحوا من ثلثة اذرع ونصف بالحديد * وابراهيم العمي استمر
على انكماشه * ثم مات على فراشه * فكان ذلك * سبب ايراده الملوك
وابناءهم الممالك * فصل * ثم ان تيمور عصى عليه كودرز في قلعة
شيرجان * وقيل ان مخدومي شاه منصور موجود الى الان * وكان
هذا الكلام * فاشيا في الخاص والعام * فكان كودرز يتوقع ظهوره *
ويزجي على ذلك اعوامه وشهوره * فحاصر تيمور قلعة شيرجان * فلم
يلح له عليها سلطان * فوجه اليها عساكر شيراز ويزد وابرقوه وكرمان *
واضاف اليهم عساكر سجستان * وذلك بعد ان شملها العمران *

وكان نائبها يدعى علاء ابا الفتح فحاصروها نحوا من عشرين
وهم مابين ظاعنين عنها ومقيمين وهي بكر لا تفتح لطالبها بابا
وعانس لا يملك خاطبها منها خطابا وكان تيمور ولى كرمان شخصا
يدعى ايلكوجن اخوان السلطان فكان هو المشار اليه ومن العسكر
هو المعول عليه ولما تحقق كوجه روز من شاه منصور وفاته وخذلهم
الانصار واعجزه الانتصار وفاته وكان ابو الفتح يراسله كل ساعة
ويتكفل له عند تيمور بالشفاعة اذ عن للصلح وانعطف لذلك
ابا الفتح ونزل مترامیا عليهم وسلم الحصن اليهم فحنق ايلكوجن
عليه لكون عقد الصلح لم يتحل على يديه فقتله من ساعته
ولم يلتفت الى ابي الفتح وشفاعته فاخبر تيمور بذلك وكان
في بعض املاكه فغضب عليه غضبا شديدا ولكن فات التدارك

فصل مما يحكى عن ايلكوجن متولي كرمان انه كان له
للسلطان احمد اخي شاه شجاع ولدان صغيران احدهما يدعى
سلطان مهدي والآخر سليمان خان وكان سليمان خان في غاية
الحسن واللطافة حاويا ملاحي الملاحة والظرافة مغنيا بالكمال

مُرَبَّى بالدَّلال * اَلْفاظُهُ رائقه * والْحاظُهُ راشقه * والاَرْواحُ اِلَيْهِ
تائقه * وَاَرْبابُ الاَلْبابِ لَهُ عاشقه * حَرَكاتُهُ فِى الْقُلُوبِ ساكِنَه *
وَلَفْتاتُهُ لِلْخَلْقِ فاتِنَه * كما قيل * شعر *

* نَعيمٌ عَبيرٌ فِي غِلالَةِ عاجٍ * وَتِمْثالُ نُورٍ فِي اَدِيمِ هَواءِ *
وَعَمْرٌو اِذا ذاكَ سِتَّةُ اَعْوامٍ * وَلَكِنْ مُفَتِّنٌ بِهِ الْخاصَّ وَالْعامِ *

فَعَزَمَ اَيْدُكُو طِى اِتْلافَهُما * وَالْحاقَهُما بِاَسْلافِهِما * وَلَمْ يَكْتَفِ
مِنْ تِلْكَ الدُّرَّةِ بِاَنَّها صارَتْ يَتيمَه * وَلا رَقَّ لِاُمِّهِما الَّتِي خَرِبَتْ دِيارُها
لَكَوْنِها مُخَدَّرَةً كَرِيمَه * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مُدافِعٌ * وَلا عَنْهُما مانِعٌ *
فَطَلَبَ مِنَ الْجَلادِينَ مَنْ يَعْتَمِلُ فِي ذٰلِكَ عَلَيْهِ * فَلَمْ تَطِبْ نَفْسُ اَحَدٍ اَنْ
تَمْتَدَّ يَدُهُ بِمَكْرُوهٍ اِلَيْهِ * وَمَضَى عَلَى ذٰلِكَ مُدَّةٌ * وَالْخَلْقُ بِسَبَبِ هٰذِهِ
الْقَضِيَّةِ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ * حَتّٰى وَجَدَ واعِدُ الاَسْوَدِ * كَاَنَّهُ لِلْبَلاءِ مِرْصَدٌ *
وَكَاَنَّ الشَّياطِينَ لَهُ كَوْكَبَةٌ * وَالْعَفارِيتَ لَهُ جُنُودٌ وَحَفَدَةٌ * وَثَوْبُ لَيْلِ
الْقَهْرِ مِنْ سَوادِهِ انْتَسَجَ * وَظِلُّ الشَّجَرَةِ الَّتِي طَلَعَها كَاَنَّهُ رُؤُسُ
الشَّياطِينِ مِنْ حَيَّةِ وادٍ نَبَعَ فَنَتَجَ * يَسْتَلُّ عِنْدَ صَلْتِ صَوْتِهِ خُوارُ
الثِّيرانِ * وَيُسْتَحْسَنُ عِنْدَ خَيالِ صُورَتِهِ مُشاهَدَةُ الْغِيلانِ * قلت

* شعر *

* زبانية البيران تكره وجهه * وحين تراه تستعيذ جهنم *

قد نزع الله من قلبه المرحمه * وجعل فؤاده على المأثمه * فازعجوه

في أن يخنقهما * ويقتلهما * وكانت عين سليمان خان رمدا *

وقد سكن في حجرة ايته وتهدا * فدخل عليه ذلك الظالم

من ساعته * واغتاله وهو راقد في حجرة ايته * فضربه في جنبه

بخنجر * انفذه من الجنب الآخر * فارتفع الضجيج والولوله * ووقع

العجيج في الناس والزلزله * وعم المأتم امه الوالهة وامها * وطفق

الناس يبكون عليها وله * والظاهر ان هذه الامور * كانت باشارة

تيمور * وعسكر ذلك الظلوم الكفار * ما كان يخلو من مثل هذه الشرور

والاشرار * ولو كان فاعله من غيرهم * لكن لعلة المصاحبة

والموافقة كان يعير بسببهم

* حكاية *

لما ارتحل من الشام بجنوده الغزيره * كان مع واحد منهم اسيره *

شغفت ايدي النوائب قناع عصمتها ولثامها * وطمع ما بنت لها

رضيع فقطعتها * فلما قربوا الى فناء * جعلت البنت تأن انين الاواه *

وتنادي امها من المضض المنكي * تتململ وتبكي * ومعهم حمال من بغداد *

متطوق الفؤاد * محتوط النكاد * مجبول على الغلاظة والقساوة *

معمول من الفظاظة والغباوة * مبتلى من البلا * متعلم في الاذى *

لم يخلق الله تعالى في قلبه من الرحمة شيأ فينتزع * ولم يودع لسانه

لفظا من الخير فيمتنع * فاخذ تلك البنت من امها * فلما رأى رضيعها

انه انما اخذها ليخفف من ثقلها * وكان راكبة على جمل * ثم انقطع

عاتق عن الثقل * ثم وصل وولده خلفه * وهي تتبعه عاليه * فاستكشفت

امها حالها * فقال مالي ومالها * فهرب عقلها ووهى * فطرحت نفسها

ونحت خفوها * فاخذتها وانقلبت * واتبعها وركبت * فتناولها

منها مرة اخرى * على ان لا يسومها خسفا * ثم غاب عنها ورجع *

وقد صنع كما صنع * فالقت نفسها ثانية * وعدت اليها ثانية * وجاءت

وهي عانية * وقطوف حتوفها ثانية * فركبت واخذتها * ووضعتها

على كبد ها التي منها فلذتها * فاخذ فاخذها مرة ثالثة * بثية

في الفساد عابثة * وحلف لها يمينا ما نفذ * انه يحملها ويغذو * ولا يعيبها

بحوه * فصلّيا صلاة * ثم خرج من سنة الجماعة * وزرى بها في بعض
البطاح * وفعل بها ما فعله اليهودي بصاحبة الأوضاح * وجاء
ويك الدامغة * بالاثم ملآى ومن البنت فارغة * وقد سلبها سلبها * وجلبت
الى امها جلبها * فاطرحت نفسها باكية * ورامت الرجعى جارية *
فقال لها لاتتعبي * كفيتك مما فارجعي وارتكبي * فبكت وصاحت *
وانّت وناحت * ووقعت في العناء وان كانت استراحت * والناس
على دين ملوكهم * سالكون طرائق سلوكهم *

سبب دخوله الى عراق العرب * وان كان ايذانه لا يحتاج الى علة وسبب
ولما خلص لتيمور جميع ممالك العجم * ودانت له الملوك والامم *
وانتهت مراسيمه الى حدود عراق العرب * غضب السلطان احمد صاحب
بغداد واضطرب * فجهز جيشا عرمرما * وجعل رئيسهم اميرا مقداما
مقدما * يدعى سنتائى * فتوجه الجيش نحو الجغتائى * فبلغ
تيمور خبر الجيش وخبره * فسر بذلك قلبه وانشرح صدره * فجعل
ذلك سببا لمحاربته * وذريعة لمحاربة ملك العراق ومناوشته *
وانفذ جيشا كرارا * بل بحرا زخارا * فتلاقيا بصدق نيه * على مدينة

سلطانية * فصدق كل منهما ما جمع الضرب * وسد لنجدة اليمنة الايمنة
ومهام الحرب * واستمد بحر الجغتائي من امواج امواجه واصطدم *
فانكسر في قساطله قنيا من جند سنتائي فانهزم * ووصل كلهم الى بغداد *
وتشتتوا في البلاد * فلبس السلطان احمد سنتائي القنعة * واشهرة
في بغداد بعد ان ضربه واوجعه * وكف تيمور عن عنادة * وقفل
متوجها الى بلاده *

ذكر سكون ذلك الزعزع الثائر * ومدوخ ذلك البحر المائر * لتطمئن منه
الاطراف فيحطمها كما يريد ويديرها الدوائر *

ثم ان تيمور خرج من سمرقند الى ضواحيها * وجعل يتنقل في جوانبها
ونواحيها * وبنى حوانيها قصبات * سما منها باسماء كبار المدن
والامهات * وقد بقيت له سمرقند وولاياتها * ومماليك ماوراء
النهر وجهاتها * وتركستان وما فيها من البلاد * ودانيها من جهتي
يدعى خدايداد * وخوارزم التي بها فنك وسطا * وكاشغر وما في بحر
موالي الخطا * وبلخشان وهي مماليك على حدة * من مماليك سمرقند
متبايعة * وما قاليم خراسان * وبها اب مماليك ما زندران *

وسمرقند اوزراولغنان وطبرستان * والري وغزني واستراباد *
وسلطانية وسائر تلك البلاد * وجبال الغور المنيعة * وعراق العجم
وفارس الشامخة الرفيعة * وكل ذلك من غير منازع * ولا مجادل
ولا مدافع * وله في كل مملكة من هذه الممالك ولد *
او ولد ولد او نائب معتمد *

تعوذ مما كان يغور * ذلك الظلوم الكفور * من مساكره في بحور * ويغوص
في امور * ثم يزور * بغرور * ومن جملة ذلك غزوه ما وراء النهر
وخروجه من بلاد الغور *

ثم انه مع اتساع مملكته * وانتشار هيبته وصولته * وشيوع اراجيفه
في الاقطار * وبلوغ اخباره الاقاليم والامصار * وثقل اثقاله *
وعدم اختفاء توجهه الى جهة وانتقاله * كان يجري في جسد العالم مجرى
الشيطان من ابن آدم * ويدب في البلاد دبيب السم في الاجساد * قلت

* شعر *

يغرب يمنة ويصيب يسرة * وتنوبه جيفة والفضل نبرة *
فلا يكون له في المشارق نائرة * الا بلغ الى المغرب نيرانه

بوائق * بينما نغمات طبوله وضربات اعواده تقرع في حضار العراق
واصبهان وشيراز * واذا برنات اوتاره وبوقات ابواقه تسمع
في مخاليف الروم ومقام الرماوي وركب الحجاز * فمن ذلك انه مكث
في سمرقند مشغولا بانشاء البساتين وعمارة القصور * وقد امنت
منه البلاد واطمأنت الثغور * فلما انتهت امورة * وبلغ الكمال
قصوره * امر بجمع جنده * الى سمرقند * ثم امرهم ان يصنعوا لهم
قلانس ابتدعها * وعلى صورة من التركيب والتغيير يسيرا اخترعها *
فيلبسونها ويسيرون * وما بين الي ابن يصيرون * ليكون ذلك لهم
شعارا * وقد كان ارسل له في كل جهة من ممالكه خشارا * ثم رحل
من سمرقند * واشاع انه قاصد خجند * وبلاد الترك وجند * ثم انه
انغمس * في درد وعسكره وانغمس * كانه في لجة بحر انغمس *
ولم يشعر احد اين عطف * ولا الى اين قصد المختطف * ولا زال في تأويب
واسآد * وجوب بلاد بعد بلاد * تجري جري المراكب * ويسير سير
الكواكب * ويخرج ما وقف وكل من نجائب الجنائب * حتى نفع
من بلاد الملوك * ولم يكن لاحد به شعور * ومن بلاد ما وراء * خبراته

متكاثرة * وفواكهها وافرة * امر قلعتها بزوجرد وحاكمها يزالك بك
العباسي * وقلعتها وان كانت في الحضيض لكن كانت تسامي بمناعتها
حصون الجبال المراسي * وهي مجاورة همذان * ومن طرقها مراق
العرب كاذربيجان * فاحاط بالقلعة وما حواليها وحاصر ملكها
المتولي عليها * ولما كان صاحبها بلا عدد * ولا عدد ولا امنية
ولا مدد * وكان في صورة المتوكل المحتسب * واتاه الملاء من حيث
لا يحتسب * لم يسعه الا طلب الامان * والانقياد له والاذعان *
فنزل اليه وسلمه قيادة * فقبض عليه وضبط بلادة * ثم ارسله الى
همرقند وحبسه * وضيق عليه نفسه ونفسه * ثم بعد ذلك بهدية سلمه
ورفع عنه ملابه * وصالحه على جمل من الخيل والبغال ورده الى بلاده
واستنابه * ولما استخلص ذلك الكفور * ولاياته تلك الثغور * واصل
السير الى همذان * فيها قريب زمان * فوصل اليها واهلها غافلون *
فجاءها الناس بياتا وهم قائلون * فخرج اليه منها رجل شويخ يقال له
مجتبى * وكان عند الملوك مصطفى ولديهم مرتضى * فشفع فيهم
فشفعه في ان يبذلوا له الامان * ويشتروا باموالهم ما من عليهم

بذلك الأمر واجبا لا بد منه * فامتثلوا أمره وفعلوا * وتوجهوا إلى
الجمعة وإلى خزائنه تقلوا * فلما تمت نفسه الخبيثة * أن طرح عليهم
البلاء مرة ثانية * فخرج إليه ذلك الرجل الجليل * ووقف في مقام
الشفاعة مقام الباذل الذليل * فقبل شفاعته * ورحمه لجماعته *
ثم إنه سلك بهم وجم * حتى تلاحق به عسكره والتأم *
ليبتلوا بخرابه ذلك الخراب * أعني ربيعان ومملكة عراق العرب *
ولما بلغ السلطان أحمد بن الشيخ أويس * ما فعله بغنم ربها يا جبرانه
للوزير وعلم أن ذلك الأويس * علم أنه لا بد له من قصد مملكته
وديارة * لأنه عود اعتاده بالشر وطرح على شراره طائر شراره *
وأن عسكره وإن كان كالسيل الهامر فإنه لا مقاومة له بعجره وبجره *
وأنه إذا جاء نحوه بطل نهر عيسى * ولا مقابلة لعجره فرعون
مع عصا موسى * قلت * شعر *

* السيل يقلع ما يلقاه من شجر * بين الجبال ومنه الصخر ينفطر *
* حتى تراه عما جاء ينظره * قد اضمحل فلا يبقى له أثر *
فاستعد للبلاء قبل نزوله * وتأهب له قبل حلوله * فتشمر للمزيمة *

وعلم ان اقامته بها ليست الغنيمة * فتحيز من تحيط به المقاتلة

والمغالبة الى الوجيز * وصمم على الخروج من ممالك بغداد والعراق

وتبريز * وقال لنفسه النجاء النجاء * وجهز ما يخاف عليه صحبة ابنه

السلطان ظاهر الى قلعة النجاء * وارسل الى تيمور لاشعار في المجاء *

ومن ذلك ما ترجمته وهو شعر *

* لئن كنت بد عوى الحرب شلا * فرجلي في المزيمة غير عرجا *

ثم قصدوا ميافارقين * وذلك في سنة خمس وتسعين وسمعمائة *

فلما بلغ خبره الملك الظاهر ابي سعيد برقوق رحمه الله تعالى * توجه تيمور

الى تبريز * ونهب بها الذليل والعزيز * ووجه الى قلعة النجاء العساكر *

لانها كانت معقل السلطان احمد وبها ولده وزوجته والذخائر *

وتوجه هو الى بغداد ونهبها * ولم يخربها ولكن سلبها سلبها * وكان

الوالي بالنجاء رجلا شديدا لما يدعى الثون * عند السلطان

احمد مأمون وله اليه ركون * ومعه جماعة من اهل النجدة *

وارباب البأس والشدة * نحوا من ثلثمائة رجل في العدة * فكان ينزل بهم

الثون * اذا اخذ الليل في السكون * ويشن الغارة على تلك العساكر

والمكان المذكور * فوصل امر العسكر * فابلغوا تهور ذلك الخبر *
فامدهم بنحو اربعين الف مقاتل مشهور * مع اربعة امراء كبيرهم يلقى
قبلغ تيمور * فوصلوا الى القلعة ولم يكن اذ ذاك التوين فيها * وكان
قد خرج الناس للغارة على من في ضواحيها * فبينما هو راجع *
اذا بالنقع ساطع * فلما اطلع طلع الخبر * قال ائتوني المغفر * فقيل
كلا لا وزر * فعلم انه لا ملجأ من الله الا اليه * فتمثل جاشه وما شيئته
وتوكل عليه * وقال ان الرؤس في مثل هذا المقام * انما يكونون تحت
الاعلام * فاحتشوا نحو قلب هؤلاء اللئام * فاما ان تبلغوا او تموتوا
على ظهر الخيل وانتم كرام * اذ لا ينجيكم من هذا الكرب * سوى
الطعن الصادق والضرب * قلت * شعر *

* كريما مت والا مت لئيما * فما الله بعد الموت موت *

فتعاهدوا بنية صادقة * وعزيمة على حصول الخلاص من الله تعالى
واثقة * وقد احاطوا بهم احاطة الشبكة بالسمكة * وصاروا في وسطهم
كالمغزل في الفلكة * وقصدوا الراية وحاميها * ومن يليها ويليها *
فيما هدم ساعد معد اللحيان بنصرته * وحل منهم القبض الداخل

الكتيبة مقتله * فاسلموا على راياتهم ذات البياض من الدماء حمره *
وفتحت لنجاتهم طريق الى عتبة النصره * فلاح لهم فلاح * ونجح
لهم نجاح * فنجوا من الشرور * وحصل لهم السرور * بعد ان قتلوا
من العسكر اميرين احدهما قباغ تيمور * ولما وصل هذا الخبر اليه *
اسودت الدنيا في عينيه * بل انقلب الكون والمكان عليه * ثم نهض
اليها بنفسه * وربض عليها بحربه * واحاط بجوانبها * والقوم
الجرس افواه مضاربها *

صفة قلعة النجاء

وهذه القلعة امنع من العقاب * وارفع من السحاب * يناجي السماك
سماكها * ويسامي الافلاك استمساكها * كان الشمس في شرفها *
تدرس من الابريز على بيض شرفها * وكان الثريا في انتصابها * قنديل معلق
على بابها * لا يحوم طائر الوهم عليها * فانى يصل طائش السهم اليها *
ولا يتعلق بخدوم خدمتها خيال خيال وافكار * فضلا ان تعلق على معصم
عصمتها من عساكر الاسارة عوارة * وكان الثلوج قد تربى في ترائبها
ترائبها * وان حكة الحمر بشعاعها * فصار كلما يجلى الليل الساجم * وارصد

لشراتي الشياطين عيونه الزواجم * فنبط من تلك الفلوات * وموق
موق طيف الخيال * وذب ذبيب الشجن في اللحم * والماء في العود
والنار في الفحم * من دب لم تقومه الظنون * بعون من لا تراه
العيون * بحيث لا يشعر به الحرس * ولا يبصره الحدس * ولا يزال
يتلو عليهم آيات الاعياء * وينفث بطلسماته الاستخفاء * ويتقرب
ويترقب * حتى يلوح له في الحي مضرب * فيقتل ويسلب * وينهب ويهرب *
فيكر سالما * ويغر غانما * فلم يزل ذلك دأبهم ودأبه * حتى اعجز تيمور
واصحابه * فلم ير تيمور اوفق من الارتحال * لضيق المجال *
المتنال * فارتحل عنها بعد ان رتب عليها للحصار البزاك * واسمر
الحصار مدة طويلة والقضاء يقول له اسمر فانها لن تعجزك * قيل انها
مكثت في الحصار اثنتي عشرة سنة * وسبب اخذها ان التون
المذكور * كان له اخ بالقبق مشهور * فحصل بينه وبين ام السلطان
طاهر * حياته اوجبت عليها ما يجب على الغاير * فاطلع على ذلك
طاهر ابن السلطان احمد * فتكفل عليها وقتلها بالكاني ذلك الزاني
الاحمد * وكان اذ ذاك التون عن القلعة غائبا * فلما رجع منها

وقتل الغادر حائنا * فلما رجع النون اطلقوا الباب المقفلة عليه *
ورموا ما فيه من فوق السور اليه * فاذا خمرة خمرة * وعجرة وبجرة *
فقال جزاكم الله احسن الجزاء * وجعل حظكم من الخيرات اوفر
الاجزاء * لو كنت عالما بفعله * او حاضرا قتله * لعاملته بما عوامله *
ولفعلت به ما يجب فعله * واجل به من الزمان دوامه * ولاريتكم
العين فيه * ولاشهرته في خلق الله تعالى وبريته * ونادت عليه
على اجزاء من يخون وليه نعمته * ثم طلب الدخول * فقطعوه عن
الوصول * فقال يا اخي فانه حتى فذاق ثمرة ما جناه * واما فاما
فغلبني على الوداد بعهدكم من الازل الى حين وفاه * ولم ازل موالي
لكم * ومعاديا عدوكم * فان طردتموني فالى اين اذهب *
وان رددتم رغبتي فيكم فلا ارغب * فقالوا ربما ادركتك الحمية *
ولجقتك العصبية فتذكرت اخاك * وتفكرت فعلتك بعد رضاك *
فندمت * واشتقت * وانوحت بعد ما استقمت * وتذكر رمنا
عاديا * وناديك قصة الاخوين مع ذات الصفا * وقلت

* شعر *

* ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه * ولكنه يبقى به عقدة الربط *
فانشأ لهم ايمانا واثقه * ان كلما قالوا له وعدوه صادقه * فقالوا له
لا تطل فما حببت * مالك عندنا مقيل ولا حببت * فارجع من حيث
جئت * وصل آخر العهد منك غضبت ام مرضيت * فاخذ يلوم
دهره * ويأكل يده ندامة وحسره * على انه اغفل عذره * في طاعة
من لم يعرف قدره * ثم دعني فتدلى * وعبس وتولى * وسيب فرسه
وماله * وفرق خيله ورجاله * ولما لم يكن له ملجا * سوى الهرب
النجا * وقد خرجت من يده * والقت النار في كبده * ضرب اخماسا
لاسداس * فيمن يقصده من الناس * ثم اورط براثن الزند * لمن يقصد
مدينة مرند * وكانت تحت حكم تيمور * وفيها الوامرة تمور * فسالمها * وقصد
حاكمها * لا يسالبدا * وتاركا ما لا * ولدا * ولما اتصل بحاكمها
الخبر * احاط به الجبن والخور * فاضطرب واقشعر * واضطرم
واستكر * واخذ الحذر * والزم الفكر * فقرق انه وحده * من غير
رجال وعده * فرجع عقله اليه * وزحل النون عليه * فاخذ في التهيش
من امره * ثم قطع راسه وارسله الى تيموره * فتحرق لذلك

والنكبا * وتأسف عليه وبكى * وأرسل الى قاتله بعزله * ثم صادره
وقتله * ثم إن السلطان ظاهر ايمش من الحلة * وتنجس
بهيبة الحلة بظهر الحبيت * لم يبطئه إلا قتل مقاذن بظاهر ميل * ولم
يبطئه وتيقظه التحويل * إلا نشوز عليه بحق راس القلعة نعجز
عن اخصاص تحصينها * وعين في اخصاص بكاريها وعونها * وقل جيشه
وانخذل * فعمل متابعه منها وانخذل * فلذلك اتيمور ربيا بطا *
وفتح له من غير معالجة بابها * فول فيها من يثق به من الاعوان * وعرس
به لعانة المجاورة الشيخ براهيم حاكم شروان * ثم ثنى عنان العماد *
الى صوب بغداد * فهرب السلطان احمد كما ذكرنا الى الشام في قتله *
وذلك في شوال سنة خمس وتسعين وسبعمائة * فوصل الى بغداد في
عشرة يوم السبت * فكبتها ومن حوالها اي كبت *

ذكر اخبار صاحب بغداد واسماء آبائه

والاجداد * وكيفية دخوله الى هذه البلاد *

وهو السلطان معين الدين احمد بن الشيخ اويس بن الشيخ حسن بن
حسين بن اقبغا بن ايلكان * صاحب بغداد واذربيجان وما بينهما

الحمد لله حمدا لا طيب ولا مبارك كان حمدا الا لله ابن الفقيه
الكبير النبيه * شرف الدين بسيط الفقار ارغون بن ابي سعيد *
كان والده المشهور ونعته * من اهل البيوتات والكيس * ملكا عادلا
واماما فاضلا وحاكما منصورا * عادلا مشكورا * قليل الشر
كثير الخير * سيرته حسنة * وكانت دولته تسعة مشرقة منيرة *
وكان محبا للفقراء * معتقدا للعلماء والكبراء * وكان قد اصرف في
ايامه * اربعة مواعاة حامده * ثم صار زعيم قبيله من ولايته بعد
والده بن ديار بكر وارزنجان فاستقل لحلول نوبته * ورحل نزوله
مرتبه * وخلع من المشيخة * وولاه حسينا ولده * وهو اكبر بنيه *
برا لا يسئل من امله وده * ونعم اداني وداده * واقبل على طاعة
مولاه * واستعطفه الى الرضى * والعفو عما مضى * ولازم صلوته
وصيامه * وزكوته وقيامه * ولا زال يصلي ويصوم * حتى ادركه ذلك
الوقت المعلوم * فاظهر وجوه المصون * وذلك اذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون * فدرج على هذه الطريقة الحسنة *
وقد جاوز ثلاثا وثلاثين سنة * ومن مغروب تبريز ازل قبره * وفي سنة

سبع وستين وستمائة ورحل الى الشام فحضر * وامتدحه بقلائد التي
حسن مكانه * ووافاه على رجعته فضله واحسانه * وكان كثير
الفضائل * جميع الفضائل * واسع الشهامة * ظاهر الكرامة * اراد
ان يمشي على سنن والده * ويحيي ما درس من رسوم آثاره ومعاهده *
فجعل لنفسه الاقتدار * وحاكت صنوف مساعيه الاكدار * وفي سنة
قتل وثمانين وستمائة * وصل من قصاده الى الشام فتله * وهو
القاضي زين الدين علي بن جلال الدين عبد الله بن نجم الدين
سليمان العبايقي الشافعي * قاضي بغداد وتبريز والصاحب شرف
الدين ابن الحاج * الدين الحسين الواسطي * وزير السلطان
وغيرهما * ثم في جمادى الاخرة من هذه السنة وثب السلطان احمد
على اخيه المشار اليه فقتله * وقام بنصر الملك والدين مكافه فعدله *
فلما جن جنونه من الغناء منه * وهو ابن اثنين وعشرين
سنة * ولما استولى السلطان احمد على ممالك العراق * مد يد تعديه
وضم جناح الشقاوة والارزاق * وشرع يظلم رعيته * ويذهب
اموال الجبرة والعباد بوعده وليته * لم يبالغ في البغي والفجور * انتهاز

بالمعاصي وتظاهروا بالفجور * واتخذ ملك الموت لهم الى سلبي الاعراض
وتلم الامراض سلما * فقبل ان اهل يتعدلوا * واستغاثوا بصور
فاجتمعوا بناد كالمهل يشوي الوجوه * فلم يشعروا الا والتتار قد رمته *
وعسكر الجغتائي خيلا ورجلا حطمته * وذلك يوم السبت المذكور *
من الشهر المشهور فاقتحموا بخيلهم رجله وقصدوا الاسوار * ولم
يمنعهم ذلك الا لعجز التتار * ورماهم اهل البلد بالسهام * وعلم احمد
انه لا ينجيه الا انهزام * فخرج فيمن يثق به قاصدا الشام * فتبعه
من الجغتائي طائفة لئام * فجعل يكر عليهم ويجوزهم * ويغرسهم
فيطعنهم * وحصل بينهم قتال شديد * وقتل من الطائفتين عدد
كثير * حتى وصل الى المحلة * فعبر من جسرها نهر جيله * ثم قطع
الجسر * ونجا من ورطة الاسر * واستمرت التتار في عقبه *
فكادوا لوفيها تدخل في ذنبه * فوصلوا الى الجسر ورجلوه مقطوعا * فتراموا
في الماء وعبروا على الجانب الآخر ولم يزالوا تابعا ومتبوعا * فاتهم
به ووصل الى مشهد الامام * وبقي ويمن يغدر ثلاثة ايام *
ذكر ما اعتمله من الخديعة والمكر في بلاد ارزنجان وديار بكر *

فوصل الى ديار بكر واستخلصها * ومن ايدي ولاتها خلصها * بعصيت عليه
قلعة تكريت * فسلط عليها من عساكره كل عفريت * وذلك يوم الثلثاء
رابع عشر ذي الحجه * وقد ارتجت منه البلاد اشد رجه * فحاصرها
واخذها في صفر بالامان * ونزل اليه متوليها حسن بن بولتمور متدرع
الاكفان * وفي عنقه واعلى عاتقه اطفاله * وقد ودع اهله وماله *
واسلمته خيله ورجاله * وذلك بعد ان عاهده ان لا يريق دمه *
فارسله الى حائط فقضه عليه ورده * وقتل من بها من رجال * وسبى
النساء واسر الاطفال * وجعل يعيث ويستأصل * ويقطع في الفساد
ويوصل * حتى اناخ يوم الجمعة حادي عشرين صفر سنة ست وتسعين الى
الموصل * فاخربها وكسرها * ثم اتى رأس عين ونهبها واسرها * ثم الى
الرها تحول * ودخلها يوم الاحد عشرة شهر ربيع الاول * فزاد عجبا
وفسادا * وجار فيها عاد ثمود وعادا * وخرج من تلك البلد *
ثاني عشرة يوم الاحد * ثم اختار من الغز توجه طائفه * على
وزر الدماء هائمة وعلى قتل المسلمين عاكفه * فاخذهم وانذ غز *
وفي ممالك ديار بكر انغمر * ولم يزل اوليها عاتين * ولاذاها قاصدين *

وعلبها ظالمين * وفيها ماردين * نقصد ما بتلك العمارية المصالبت *
وواصل السير اليها فوصل في خمسة ايام من تكريت * ومسافة ما بينهما
للمجد * اثنى عشر يوما ان لم يتردد * وكان سلطانها الملك الظاهر تحقق انه
لا يضر من التجأ اليه * وقدم في ثوب الطاعة عليه * فما وسعه الا
التشمر بذيل ذمه * والانتظام في سلك خدمه *

ذكر ما جرى لسلطان ماردين عيسى الملك الظاهر *

* من المحنة والبلاء مع ذلك الغادر المساكر *

لكنه خاف غائلته * فجمع حاشيته وصاغيته * وقال اني ذاهب
الى هذا الرجل ومظهر له الانقياد * فان رد بي حسبما اريد فهو
المراد * وان طالبني بالقلعة * فكونوا انتم على التأبي والمنعة * واياكم ان
تسلموها اليه * او تعتبوا في الكلام عليه * وان دار الامر بين تسليم
القلعة وبين اتلافي * فاحتفظوا بالقلعة واجعلوا التلافي في تلافي *
فانكم ان تسلموها اليه خرجتم من باطنكم وظاهركم * واتى بالهلاك على اولكم
وآخركم * وخسرتم شعاركم ودثاركم * وغبنتم انفسكم وديارکم *
واذا كان كذلك فانا اجعل نفسي فداكم * واكفيكم بروحي

مادماكم * وبعض الشراهون من بعض * وما انا احس لكم النبض *
ثم قصد ذلك الكالح * المفسد الطالح * بعد ما استخلف ابن اخيه
الملك الصالح * شهاب الدين احمد الملك السعيد * اسكندر بن
الملك الصالح الشهيد * ونزل يوم الاربعاء خامس عشرين شهر ربيع
الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة * واجتمع به في سلخه بمكان يسمى
الهلالية فقابله بشنعه * وقبض عليه بسرعه * وطلب منه تسليم
القلعه * فقال القلعة عند اربابها * وبيد اصحابها * وانا ما املك
الا نفسي فقد متها اليك * وقد متها عليك * فلا تحملني فوق طاقتي *
ولا تكلفني غير استطاعتي * فاتي به القلعة وطلبها منهم فابوا * فقيده
اليهم ليضرب عنقه او يسلموها فناوا * فطلب منه في مقابلة الامان *
من الدراهم الفضية مائة تومان * كل تومان ستون الفا * خارجا
عما يتقرب به اليه زلفى * ثم انه شد وثاقه * وسد عليه ليذهب عنه
ما به من قوة كل باب وطاقه * وشهر للفساد ذيله * وجعل يريح رجله
ويسمن خيله * ويتفوق كما ينبغي فساده * ويعربد على عباد الله
وبلاده * واستمر على ذلك لا يعي ولا يفيق * ويتردد ما بين البيرة ومنبج

الى رسمل ونصيبين والموصل العتيق * ثم أمرعساكره في جمادى
الآخرة ان يمروا قاصدين * ويقصدوا ماردين * فسابقوا الطير *
ولاحقوا السير * وجاوزوا بالنهار الانهار * وبالليل السيل فقطعوا فقار
القفار * قطع الهندي * وعملوا في تلك الجبال والتلال بما قاله
الكندي * وهو * سموت اليها بعد ما نام اهلها * سمو حباب الماء
حالا على حال * فوصلوا اليها على غفلة * واحتووا عليها من غير مهلة
وذلك يوم الثلثاء ثاني عشرة * وقد سل الصبح حسام فجره * وطار
غراب الدجى عن وكره * فصاروا سوار معصم تلك الاسوار * واحلوا
الى ما وراء تلك الديار * فعموها رجفا * وساموها خسفا * وهدوا ما
زخرفا * وهدموا وجفا * وتعلقوا باهداب ارجائها * وتعلقوا بالسلالم
من ارضها الى سمائها * وكان متسلقهم على الاسوار * من القلعة رابية
اليهود * ومن الغرب التلول * ومن الشرق المنشار * فاخذوا المدينة عنوة
وقهرا وملأوها اسقا وكفرا * وترفع اهل المدينة الى القلعة * ولم يكثروا
بمدد سواهم حلوا المنزلة والرفعة * واكومتوا متحيزين الى فوادحها
وخوابيها * وذب عنهم من القلعة بالسهام والمكاحل من كان فيها *

فقتلوا من ظفروا به ذكرا وانثى صغيرا وكبيرا * ولم يرتضوا بما فيها نهبا وبمن فيها اسرا * فما لذ بعض الناس واظهر لهم بعض الجلادة * واراد بتثبيته لهم ان يضم الجهاد الى الشهادة * ولا زالت آيات القتال عليهم تتلى * حتى امتلأت المدينة من الجرحى والقتلى * واستمر ذلك من قبل طلوع الشمس * الى ان صار اليوم امس * وجلس التقى على وجنتي الكون عارضا الليل * واستوفى اولئك المطففون من ظلمهم وتعديهم الميزان والكيل * وبادرنون الظلام * يونس الشمس بالانتقام * طرأ على تلك الحركات السكون * فتراجعوا ونزل العسكر مقابل هرون * وقد قتل من العسكرين ما سبق العدد * واكثر هم كان من اهل البلد * فما توا يعدون السلاح ويقفونه * وينتظرون الصباح ويستبطؤنه * الى ان شق الليل مكتوم جيبه * واظهر الظلام مكنون غيبه * وامر الكون وجها النهار ان يضوبه على جنبتي الآفاق اطراف ثوبه * بكوا بكور الغراب * وبدروا الى الهرب والذهاب * وعصروا اهل المدينة وحاصروها اشد حصر * وعلموها واسوارها من الظهر فجعل آثارها بعد العصر * ثم باؤا بالاثام *

وقد انتشر كظلمهم الظلام *

ايضاح ما اخفاه من الحيله * وعلود زند تلك الافكار الوبيله *

ولما آب ليله بالخيبة * ولم يمكنه تحصيل القلعة بالهيبة * شحذ فكرا *

وحد مكرا * وتاب عن المقابحه * وثاب الى المصالحه * فرد ذلك

الخميس * في نهار ذلك الخميس * وارسل اليهم يقول * ضمن كتاب

مع الرسول * نعلم اهل قلعة ماردين * الضعفاء والعجزة المساكين *

انا قد عفونا عنهم واعطيناهم الامان على نفوسهم ودمائهم فليأمنوا

وليضاعفوا الثنا الادعية ومنه الرسالة نقلتها كما وجدتها * فما استتب

كيده * ولا انجح قصده * لان رصدها كانوا غير راقدين * وشيا طين

حرسها كانوا كهي ماردين * فارتحل ذلك البائة * بكرة السمت

الى البشيريه * وارسل الى آمد الجنود * مع اميرين من سلطان

محمود * فتوجه بجيش طام * وحاصرها خمسة ايام * وارسل

يحتد عليها * فتوجه بنفسه اليها * واحلها الهوان * فطلبوا

الامان * فامن البواب * ففتح له الباب * فدخل من باب القتل * ووضع

السيف في الكل * فابادا الجميع * العاصي منهم والمطيع * واعزوا

الصغار * ومتكوا استار الحرم وحرم الاستار * واذاقوا الناس * لباس الباس * والتجى بعض الناس الى الجامع * فقتلوا منهم نحو الفى حاج وراكع * ثم حرقوا الجامع * ورحلوا وتركوه بلاقع * فهذا ابليس * الى قلعة ارجيش * ثم بادر بالتحريك * وحط على قلعة اونيك * وفيها مضر بن قرا محمد امير التركمان * فحاصروها واخذوها بالامان * وذلك فى سنة ست وتسعين وسبعمائة بعد عيد رمضان * ثم قتل كل من كان بها من الجند * وصير مضر الى سمرقند *

* فصل *

ثم استصحب الملك الظاهر برسوء نيه * ورحل سابع ذى القعدة سنة ست وتسعين وسبعمائة وحبسه فى مدينة سلطانيه * وحبس عنده من امرآئه الامير ركن الدين * وعز الدين السليمانى واستبوغا وضياء الدين * وضيق عليه بان يقطع عن اهله خبره * بحيث لا يدرى احد عجره وبجره * ولما اثخنه شد الوثاق * قصد التوجه الى دشت قفجاق * فاجرى نحوها ما اقام من الفتنة على قدم وساق * وحكم الملك الظاهر سنه * لا يدرى احد خبره فى يقظة ولا سنه * ثم وقفت

الملكة الكبرى الى سلطانيه * وخفف عنه ما به من ضيق وبليه *
وفسح له في مراسلة جماعته * وحرضه على طلب الدخول في رضى
تيمور وطاعته * زاعمة انها ناصحة له وطالبة مصلحته * وكان ذلك
من مكايد تيمور وباشارته * ثم رجع تيمور من الدشت في شعبان *
سنة ثمان وتسعين فمكث بسلطانية ثلاثة عشر يوما ثم توجه الى
همذان * ومكث بها الى ثالث عشر شهر رمضان * ثم استدعى من
سلطانية الملك الظاهر * باكرام تام وانشراح صدر وخاطر * فكتبوا قيوده
وقيود متعلقيه * وعظموه غاية التعظيم مع ذويه * وتوجه اليه يوم
الخميس خامس عشره * ودخل عليه يوم السبت سابع عشره *
فتلقاه بالاحترام واعتنقه * واذهب عنه دهشه وقلقه * وقبله
في وجهه مرارا * واعتذر اليه مما فعله معه جهارا * وقال له انك
لله ولي * ورفيع القدر ركابي بكر وعلي * وتحمل منه * عما صدر في حقه
عنه * واضافه ستة ايام * وخلع عليه خلع الملوك العظام * واحله
محلا جميلا * واعطاه عطاء اجزيلا * من ذلك مائة فرس وعشرة
بغال * وستون الف دينار كيكية وستة جمال * وغلاما مزركشة مكاله *

وانعاماتٍ وافرةً مكمّله * ولواءً ينخفق على رأسه منصورا * وستةً وخمسين منشورا * كلٌّ منشورٍ بتولية بلد * وان لا ينازعه فيه احد * اوّل ذلك الرها الى آخره يا بكر * الى حدود اذربيجان وارمينية وكلّ ذلك من الدهاء والمكر * وانّ جميع حكّام تلك البلاد يكونون تحت طاعته * معدّ وديين في جملة خدمه وجماعته * يحملون اليه الخراج والخدم * ولا ينقلون الّا عن امره قدّما عن قدم * بحيث يكون شخص كلّ من مجاوريه بما افاء الله لظلّه فيأ * ويعني هو فلا يحيل الى تيمور ولا الى غيره شيأ * وهذا وان كان في الظاهر كالاكرام * فانه فيما يؤول اليه وبال عليه وانتقام * وفيه كما ترى ما فيه * والقاء العداوة بينه وبين مجاوريه * وينجرّ ذلك الى ان يلتجي اليه * ويعوّل في كلّ امورة عليه * ويدخل لكثرة الاعداء تحت ضبنه * فيصل اذ ذاك منه الى حضنه * ثمّ انه شرط عليه * انه كلما طلبه جاء اليه * ثم عانقه وودّعه * وامر امرأته بتشييعه فخرج من الضيق الى السعه * ثالث عشرين شهر رمضان ليلة الجمعه * سنة ثمان وتسعين وسبعمائة فوصل الى سلطانيه * في عيشية رضيه * وحالة

زم على تبريز * في جحفل نفيس عزيز * واجتمع بامير ان
في اكرامه وعطاياه * وشيعه في احسن هيئة وايمن طور *
طان وبد ليس وارزن الى الصور * ووصل خبره الى قبائله
* فابتهج الناس ودقت البشائر * فوصل يوم الجمعة حادي
ال * وخرج اهل المدينة والاكابر للاستقبال * وسبق
عهده الملك الصالح * فدخل المدينة بفال سعيد وامر
جه الى مدرسة حسام الدين * وزار والدته واموا ته
وعزم على ترك التخت المنيف * والتوجه الى الحجاز
لم يتركه الناس خاصة وعامة * وترامو اعليه وقبلوا
فصعد الى محل كرامته * واستقر في كرسي مملكته *
ل الشان مزيد بيان * وما جرى من الامور * عند قدوم
لول عسكرة اللئام * ماردين بعد خرابهم ممالك الشام *
الملك الظاهر في مملكته * اجتمع عنده جماعة من ادبائه
ته * فاقترح عليهم ان يقولوا في ذلك شيئاً فقال اول

* طغى تمرد واستأصل الناس ظلمه * وشاعت له في الخافقين الكبائر *

* لقد زاد بغيا فارحوا بزواله * لان على الباغي تدور الدوائر *

فقال ركن الدين حسين بن الاصغر احد الموقعين ثانيا * شعر *

* كن من رجال اذا ما الخطب نابهم * ردوا الامور الى الرحمن واعتنموا *

فسلموا الامر لما ان رأوا خطرا * لذي الجلال فلما سلموا سلموا *

فقال القاضي صدر الدين بن ظهير الدين الحنفي السمرقندي ثالثا *

* شعر *

* طويل حيوة المرء كاليوم في غد * فخيرته ان لا يزيد على الحد *

* ولابد من نقص لكل زيادة * وان شديد البطش يقتص للعبد *

ثم قال علاء الدين بن زين الدين الحصني احد الموقعين رابعا وبيت *

* شعر *

* لا تحزن فالذي قضى الله يكون * والامر موكل الى كن فيكون *

* بين تحرك بلحظ وسكون * الحالة تنقضي وذا الامر يهون *

جبه ذلك وجازه خمسة آلاف درهم * وصرفه والله اعلم *

* ورجوعه من ديار بكر والعراق * وتوجهه الى مهامه قفجاق * ووصف

ملوكها ومماليكها * وبيان ضياعها ومماليكها *

ثم انه رجع من عراقي العرب والعجم * وقد ثبتت له في مماليكها اية قدم *
وذلك بعد ان قدم عليه الشيخ ابراهيم * وسلمه مقاليد ما بيده
من اقاليم * فتقلد طوق عبوديته * ووقف في مواقف خدمته *
والتظم في سلك عبوده * واحله محل ولده * وسنذكر كيف تغرب عليه
ومن اي طريق تقرب اليه * فقصد شت قفجاق * وجد في الوخد
والاعناق * وهو ملك فسيح * يحتوي على مهامه فيح * وسلطانها توقتا ميش *
وهو الذي كان في حرب تيمور امام السلاطين المخالفين كالجايش *
اذ هو اول من بالعداوة بارزه * وفي بلاد تركستان واقفه وناجزه *
وانجده في ذلك كما مر للسيد بركه * وبلاد الدشت تدعى بلاد قفجاق
ودشت بركه * والدشت باللغة الفارسية اسم للبرية * وبركة
المضاف اليه هو اول سلطان * اسلم ونشر بها رايات الملة الاسلامية *
وانما كانوا عبادة اوثان * واهل شرك لا يعرفون الاسلام
والايمان * ومنهم بقية يعبدون الاصنام الى هذا الاوان * فتوجه
الى ذلك الاقليم * من طريق الدربند الجاري تحت حكم الشيخ

ابراهيم * وهو سلطان ممالك شروان * ونسبه متصل بالملك كسرى
انوشروان * وله قاض يدعى ابا يزيد * يفضل على جميع اركان
دولته بالقرب اليه ويزيد * هو دستور مملكته * وقطب فلك سلطنته *
فاستشاره في امور تيمور وما يفعله * ايطيعه ام يتحصن منه ام يفر
ام يقاتله * فقال له الفرار في أبي اصوب * والتحصن في الجبال اشوق
اوثق عندي وانسب * فقال ليس هذا برأي مصيب * انجوا انا واترك
رعيتي ليوم عصيب * وماذا اجيب يوم القيامة رب البريه * اذا رعيت
امورهم واضعت الرعية * لا عزمت ان اقاتله * وبالحرب والضرب
اقابله * ولكني اتوجه اليه سريعا * واتمثل بين يديه سامعا لامره
مطيعا * فان ردني الى مكانتي وقربني في ولايتي * فهو قصدي وغايتي *
وان آذاني او عزلني * او حبسني او قتلني * فتكفي الرعية مؤنة القتل
والنهب والاسار * فيولي اذ ذاك عليهم وعلى البلاد من يختار *
ثم امر بالاقامات فجمعت * واذن للجيوش فتفرقت وتبعت * وبدين
الولايات ان تتزين وتتزوق * وبسكانها برا وبحرا ان تأمن فتعامل
وتتأنق * وبالخطب ان تقرأ فوق المنابر باسمه * وبالنانير والدراهم

أن تضرب بوسمة ورسمة * ثم عمل التقادم والخدم * وتوجه
إليه بأطيب جاش وأثبت قدم * ولما وفد عليه * وتمثل بين يديه *
قدم الهدايا والتحف * وأنواع الغرائب والطرف * وعادة الجغتاي
في تقديم الخدم أن يقدموا من كل جنس تسعه * ليناولوا بذلك عنده
المهدى إليه الكرامة والرفعة * فقدم الشيخ ابراهيم من كل جنس
من أصناف ما قدمه تسعة * ومن المماليك ثمانية * فقال له المتسلمون
لذلك وأين تاسع المماليك فقال التاسع نفسي العانية * فاعجب
لقيمور هذا الكلام * ووقع من قلبه بمكان ومقام * وقال له بل أنت
والي * وخليفتي في هذه البلاد ومعتمدي * وخلع عليه خلعة سنية * وردده
إلى مملكته مستبشرا ببلوغ الأمنية * ثم فرقت تلك الإقامات * وتوزعت
الفواكه والطعامات * فنفض منها أمثال الجبال * عن ذلك العسكر
الذي هو كالحصا والرمال * ثم تركه وسار * إلى بلاد الشمال والتتار *
وسبب آخر لقصده تلك الممالك * وإن كان لا يحتاج إلى ذلك * أن الأمير
إيلكو كان عند توقتا منش أحد رؤس أمراء الميسرة * والأعيان
المتغلبين في النائبات لدفعها وأرباب الرأي والمشورة * وقبيلته

تدعى قوبكومات * وقبائل الترك كقبائل العرب واللغات كاللغات *
وكان ايدكو قد احس من مخدومه تغيرا خاف منه على نفسه *
وكان توقتاميش شديد الباس فخشي منه حلول باسه * فلم يزل متحرزا *
وللغرا اذا رأى منه ما يقتضي ذلك مستوفزا * وجعل يراقبه
ويراقيه * ويداربه ويداريه * ففي بعض ليالي السرور * ونجوم
الكاسات في افلاك الطرب تدور * وسلطان الخمرة * قد انفل في اسير
العقل امره * طفح توقتاميش الى ان قال لايدكو * ونور البصيرة يخمو
ويذكو * ان لي ولك يوما * يسومك الخسف سوما * ويوليك من موائد
الحيوة صوما * ويملأ عين بقائك من سنة الفناء نوما * فغاظه
ايدكو وباسطه * وقال اعيذ مولانا الخاقان * ان يحقد على عبد
ماخان * وان يدري غراسا هو انشاه * او يهوي اساسا هو بناه *
ثم اظهر التذلل والخشوع * والتمسكن والخنوع * وتحقق ما كان
ظنه * واعمل في وجه الخلاص ذهنه * واستعمل في ذلك الذكاء
والفطنه * وعلم انه ان اهمل امره اوامهله انه * فتمكن قليلا واشتغل
السلطان * ثم انسلت من بين الحواشي والاعوان * وخرج

في الحاجة * كأنه يريد قضاء حاجه * وأتى اصطبل توقتاميش * بجاش
تجيش ولا يجيش * وعمد الى فرس مسرجه * منجية منجبه * أقيمت
معده * لكل شده * وقال لبعض حاشيته * المؤتمن على سره من فاشيته *
من أراد أن يوافيني * فعند تيمور يلاقيني * ولا تفش هذه الاسرار *
الا بعد أن تحقق أني قطعت القفار * ثم تركه وسار * فلم يشعر به
الا وقد سبق * وركب طبقاً عن طبق * وقطع على أنوال السير أطول
الشقق * فلم يدركوا منه الآثار * ولا لحقوا منه ولا الغبار * فوصل
الى تيمور وقبل يديه * وعرض حكاياته وأخباره كما جرت عليه *
وقال انت تطلب البلاد الشاحطه * والاماكن الوعرة الساقطه *
وتركب في ذلك الاخطار * وتقطع فقار القفار * وتتلو اسفار الاسفار *
وهذا الغنم البارد نصب عينك * تدركه هنياً مريئاً بعينك ولينك *
فقيم التواني والتناعس * وعلام التقاعد والتقاعس * فانهض بعزم
صميم * فانالك به زعيم * فلا قلعة تمنعك * ولا منعة تقلعك *
ولا قاطع يقطعك * ولا دافع يقطعك * ولا مقابل يقابلك * ولا مقاتل
يقاتلك * فما موالا وهاب وارياش * وأموال تساق وخزائن بأرجلها

مُوَاشٍ * ولا زال يُحَرِّضُهُ على ذلك ويُطالِب * ويَفتِلُ منهُ فى الذُّرْوَةِ
والغارِب * كما فعَلَ معَهُ عثمانُ قرا ايلوك حينَ جاءَ الى تبريزَ برواسِيه *
وحَرَّضَهُ على دخولِهِ الشّامَ بعدَ قتلِهِ السُّلطانَ برهانَ الدّينِ احمدَ
ومُحاصَرَةِ سيواسِه * كما يُذكَر * فتهيّأ تيمورُ بأوفى حَرَكَه * الى استخلاصِ
دَشتِ بَرْكَه * وكانَتْ بلادًا بالتّتارِ خاصّه * وبأنواعِ المَواشي وقبائلِ
التُّرْكِ عامّه * محفوظةَ الأطرافِ * معمورةَ الأكنافِ * فسيحةَ
الأرجاءِ * صحيحةَ الماءِ والهواءِ * حَشَمُها رِجالُه * وجُنودُها نِبالُه *
افصحُ الأتراكِ لَهْجَه * وأزكاهُم مُهْجَه * واجملُهم جَبْهَه * واكملُهم
بَهْجَه * نِساؤُهم شُموسٌ * ورِجالُهم بُدورٌ * ومُلوكُهم رُؤوسٌ *
واغنياؤُهم صُدورٌ * لا زُورَ فيهم ولا تَدليسَ * ولا مَكرَ بينَهم ولا تَلبيسَ *
دأبُهمُ التِّرحالُ على العَجَلِ * مَعَ امانٍ لا يُدانيهِ وَجَلٌ * مُدُنُها قَليلَه *
ومَراحِلُها طَويلَه * وحَدُّ بلادِ الشّتِ من القِبلَةِ بَحرُ قلزُمَ الظّلومِ
الغَشومِ * وبَحرُ مِصرَ المُنقَلِبُ اليهِم من بلادِ الرُّومِ * وهُما اثنانِ
البَحرانِ * كادا يلتقيانِ * لَولا انَّ جَبَلَ القُلزُمِ بينَهُما بَرزَخٌ
لا يَبغيانِ * ومن الشّرقِ تُخومُ ممالِكِ خُوارَزمَ وانزارَ وغتاقَ *

الى غير ذلك من البلاد والآفاق * آخذاً الى تركستان وبلاد الجتا *
متوغلاً الى حدود الصين من ممالك المغول والخطا * ومن الشمال
مواضع وبراري وقفار ورمال كالجبال * وكم في ذلك من تيه * تحير الطير
والوحش فيه * وهو كرضى اكابر الزمان غاية لا تدرك * ونهاية
لا تسلك * ومن الغرب تخوم بلاد الروس والبلغار * وممالك النصارى
والاشرار * ويتصل بتلك التخوم * ما هو جار تحت حكم ابن عثمان من ممالك
الروم * وكانت القوافل تخرج من خوارزم وتسير بالعجل * وهم آمنون
من غير ريب ولا وجل * والى قريم طولاً ومسيرة ذلك نحو من ثلاثة
اشهر * واما عرضاً فهو بحر من الرمل امده سبعة ايام * لا يهتدي فيه
الا بيت * ولا يقربه من الدعاميص كل عفريت * فكانت القافلة
لا تحمل زاداً ولا علفاً * ولا يصحبون معهم رفيقاً * وذلك لكثرة الامم *
ووفور الامن والمأكل والمشرب من الحشم * فلا يصدرون الا عن قبيله *
ولا ينزلون الا عند من يكرم نزيله * وكأنه قيل فيهم

* شعر *

* متكنفي جنبي عكاظ كليهما * يدعو وليدهم بها عمرو *

وأما اليوم فليس بتلك الأماكن * من خوارزم الى قريم من تلك الأمم
والحشم متحرك ولا ساكن * وليس فيها من أنيس * الا البعافير
والا العيس * وتحت الدشت سرا صوصى مدينة اسلامية البنيان *
بديعة الأركان * وياتي وصفها * وكان السلطان بركة رحمه الله لما اسلم
بناها * واتخذها دارا للملك واصطفاها * وحمل أمم الدشت على الدخول
في حمى الاسلام وزعاها * فلذلك كانت محل كل خير وبركه * واضيفت
بعد اضافتها الى قفجاق والى بركه * انشدني لنفسه مولانا وسيدنا
الخواجه عصام الدين * بن المرحوم مولانا وسيدنا الخواجه عبد
الملك وهو من اولاد الشيخ الجليل برهان الدين * المرغيناني رحمه الله
في حاجي ترخان من بلاد الدشت بعد مرجعه من الحجاز الشريف سنة
اربع عشرة وثمانمائة وفي يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة
انتهت اليه الرياسة في سمرقند قوله وقد قاسى
في دروب الدشت انواع النكال *

* شعر *

لست اسمع ان الخير يوجد في * صخرة تعزى الى ساحاتها بركه *

بركة ناقة ترحالي بجانبها * فما رأيت بها في واحد بركة *

وانشد لي ايضا لنفسه معرضا بمولانا وسيدنا وشيخنا حافظ الدين

محمد بن ناصر الدين محمد الكردي البزازي تغمده الله تعالى برحمته

في الزمانين والمكانين المذكورين *

* شعر *

* متى تحفظ الناس في بلدة * مصالحها في يدي حافظ *

* فحافظها صار سلطانها * وسلطانها ليس بالحافظ *

ولما تشرف بركة خان بخلعة الاسلام ورفع في اطراف الدشت للدين الحنيفي

الاعلام * استدعى العلماء من الاطراف * والمشائخ من الآفاق والاكناف *

ليوقفوا الناس على معالم دينهم * ويبصروهم طرائق توحيدهم ويقينهم *

ويدلهم في ذلك الرغبات * وافاض على الوافدين منهم بحار الهبات * واقام

حرمة العلم والعلماء * وعظم شعائر الله تعالى وشرائع الانبياء * وكان عنده

في ذلك الزمان * وقبله وزيبك بعده وجاني بيك خان * مولانا قطب

الدين العلامة الرازي * والشيخ سعد الدين التفتازاني * والسيد

جلال الدين شارح الحاجبية * وغيرهم من فضلاء الحنفية والشافعية *

ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البزازي * ومولانا احمد الخجندي *
رحمهم الله فصارت سوق بواسطة هؤلاء السادات * مجمع العلم ومعدن
السعادات * واجتمع فيها من العلماء والفضلاء * والادباء والظرفاء *
ومن كل صاحب فضيلة * وخصلة نبيلة جميلة * في مدة قليلة * ما لم يجتمع
في سواها * ولا في جامع مصر ولا قراها * وبين بنيان مراعي وخرابها
ما بها من الامكنة * ثلاث وستون سنة * وكانت من اعظم المدن
وضعا * واكثرها للخلق جمعا * حكي ان رجلا من اعيانها هرب له رقيق *
فمكن في مكان منحنى عن الطريق * وفتح له حانوتا * يتسبب فيه ويحصل
له قوتا * واستمر ذلك المهين * نحوا من عشر سنين * لم يصادفه فيه
مولاه * ولا اجتمع به ولا رآه * وذلك لعظمها * وكثرة اممها * وهي
على شط نهر منشعب من نهر آمل * الذي اجمع السياحون والمؤرخون
وقطاع المناهل * انه لم يكن في الانهر الجارية * والمياه العذبة النامية *
اكبر منه وهو يأتي من بلاد الروس * وليس له فائدة سوى اغتيال
النفوس * ويصب في بحر الغزم * وكذلك جيحون وما ثر انهار العجم *
مع ان بحر الغازم محصور * وعليه بعض ممالك العجم تدور * مثل

كيلان وماژندران * واستراباد وشروان * وامم نهر سرا سكلا
ولا يقطع ايضا الا بالمراكب * ولا يثبت عليه قدم لراجل ولا راكب *
وكم فرق تتفرق من ذلك البحر العريض الطويل * وكل فرق اعظم
من الفرقة والقبيل *

ذكر وصول ذلك الطوفان * وجحفله امم الان شط بعد كسرة توقتا ميش خان *
فوصل تيمور الى تلك الدارة * بالعساكر الجرارة * بل بالبحار
الزخارة * ذوي السهام الطيارة * والسيوف البتارة * والرماح
الخطارة * والاسود الضارية * والنمور الكرارة * من كل شان الغارة *
مدرك في العدو ثاره * حامي حقيقته وجاره * وعرينه ووجاره *
وفريسته ونجاره * والج من بحر الحرب عماره * مقاوم امواجه وتياره *
فارسل توقتا ميش الى زعماء حشمه * وعظماء امه * وسكان احلافه *
وقطان اطرافه * ورؤس اسرته * وصوص ميمنته وميسرته * فاستدعاهم *
والى المغالبة والمقاتلة دعاهم * فاتوا في ثوب طاعته يرفلون *
وهم من كل حدب ينسلون * واجتلبوا شعوبا وقبائل * مابين فارس
وراجل * وضارب ونابل * ومقبل ومقابل * ومقاتل وقاتل * بحر مغير

وذا بال * وهم قوم نبال النبال * ونضالي النضال * لا يطيشون سهما * وهم من بني ثعلبا رمى * اذ عقدوا الاوتار * اصابوا الاوتار * وان قصدوا الاوطار * وجدوا المقصد جثم اوطار * ثم نهض للحماة منه * واستعد للمقاحمة والمقاومة * بعساكر كالرمال كثرة * وكالجبال قرة *

ذكر ما وقع من الخلاف * في عسكر توقتاميش وقت المصاف *

وحين توا قف الصفان * وتنا قف الزحفان * برز من عسكر توقتاميش احد رؤس الميمنة * له دم على اهل الامراء فطلبه منه وفي قتله استأذنه * فقال له لينعم بالك * وليجب سؤالك * قلت * شعر *

* لكن ترى ما قد طرى * على الورى وما جرى *

فامهلنا حتى اذا انفصلنا * وعلى المراد حصلنا * اعطيتك غريمك * وناولتك خصيمك * فادرك منه ثارك * واقض اوطارك * قال لا ولكن الساعة * والا فلا سمع لك ولا طاعة * فقال نحن في كرب مهم * هو من مرامك اهم * وخطب مدلهم * هو من مصابك اعظم * فاصبر ولا تعجل * واطمئن ولا توجل * فما يذهب لاهل حق * ولا يضيع مستحق * فلا تلجي الامر الى الحرف * ولا تكن ممن يعبد الله على حرف *

فكأنك بليل الشدة وقد ادبر * وبصباح الفلاح وقد اسفر * فالزم مكانك * ونازل اقرانك * وتقدم ولا تتأخر * واصدع بما تؤمر * فانجز ذلك الامير * بجمع كثير * واتبعه كل باغ وعاد * وقبيلته كلها واسمها ساقتا * فانطلق يروم * ممالك الروم * فوصل هو وجيشه الى ضواحيه ادرنه * واستوطن تلك الامكنه * فاختل لذلك عسكر توقتاميش * وصارت سهام مرامه عن مراميه تطيش * ولم يربد من اللقاء * وصدق الملتقى * فثبت جاشه وجيشه * وهزم وقاره وطيشه * وقدم من اطلابه الابطال * ورتب الخيالة والرجال * وقوى القلب والجناح * ورسى ذا النبل والصفاح *

* فصل *

واما جيش تيمور * فانه مستغن عن هذه الامور * لان امره معلوم * ووصفه مفهوم * وسطر النصر والتمكين على جبين رايته مرقوم * ثم تدانى الجيشان واصطدما * واضطليا بنار الحرب واصطليا * والتقت الاقران بالاقران * وامتدت الاعناق للضراب وشرعت النحور للطعان * واكفهرت الوجوه واغبرت * وكثرت ذئاب الضراب

وأمرت * وتهارشت نمور الشرور واسبطرت * وتعانقت اسود الحنود
وازبأرت * واكتست بريش النبال الجلود فاقشعرت * وهوت جباه
الجباه ورؤس الرؤس في محراب الحرب للسجود فخرت * وثار الغبار
وقام القتام * وخاض بحار الدماء كل خاض وعام * وصارت نجوم
السهام * في ظلام القتام * لشياطين الأساطين رجوماً وزواشق *
ولوامع السيوف في سحاب التراب على الملوك والسلاطين بروقاً وصواعق *
ولازالت سلاهب المنايا تجوب وتجول * وضراغم السرايا تصوب وتصول *
ونقع السنابك الى الجوراقيا * ونجيع السوافك على الدوحاريا * حتى عدت
الارض سنا والسموات كالبحار ثمانيا * واستمر هذا اللدد والخصام *
نحواً من ثلثة ايام * ثم انجلى الغبار * عن انهزام جيش توقتامش
وولى الادبار * وفرت عساكره وانذعرت * وانتشرت جنود تيمور في
ممالك الدشت واستعرت * واستولى على قبائلها * واتى على ضبط اوابدها
واوابلها * واحتوى على النواطق فمازه * وعلى الصامت فحازه * وجمع
الغنائم * وفرق المغانم * واباح النهب والاسر * واذاع القهر والقسر *
واطفأ فتائلهم * واكفأ مقاولهم * وغير الاوضاع * وحمل ما استطاع *

من الأموال والأسرى والمتاع * ووصلت طراشته الى آزاق *

وقدم مراد وسراي خوق وحاجي ترخان وتلك الآفاق *

وعظمت منزلة ايل كوعنده * ثم انفتل قاصداً سمرقند *

وصحب ايل كو معه * ورام منه ان يتبعه *

ذكر ايل كو وما صنعه * وكيف خلب تيمور وخدعه *

فارتحل ايل كو قاصداً الى اقاربه وجيرانه * وقبائل الميسرة كلهم

من اصحابه واخدانه * من غير ان يكون لتيمور * بل لك شعور *

ان يرحلوا عن مكانهم * ويتشمروا من اوطانهم * وان ينحوا جهة منها *

وعاكن بينها * معبة المسالك * كثيرة المهالك * وان امكنهم ان لا يقيموا

في منزل واحد يومين فليفعلوا ذلك * فانه ان ظفر بهم تيمور بدد شملهم *

وابادهم كلهم * فامتثلوا ما رسم به ايل كو * وارتحلوا ولم يلووا *

ولما علم ايل كو ان جماعته فوزوا * وحشمه لتيمور اعجزوا * قال له

يا مولانا الامير * ان بي من الاقارب والحشم الجم الغفير * وانهم عضدي

وجناحي * وبصلاحهم معاشهم صلاحي * ولا آمن عليهم ان يلقوا

بعدي * من ذوقنا ميش الجور والتعدي * بل لا اشك انه يكون *

أمّا صيفًا فلأنّ الرياح للرمال تسفي * فتخفي الطريق على المارة وتعفي *
وأمّا شتاءً فلأنّ الثلج النازل فيها * يتراكم عليها فيغطيها * فكل أرض
مجاهل * ومنازلها منازل * ومراحلها مهامه ومناهل * فعلى
كل تقدير * سلوكها مهلك عسير * فكانت الوقعة الخامس عشر
على ايدكو فتشتت وتشرد * وتبدد وتبدد * وغرق هو وفحو من خمسين
مائة رجل من اخصائه في بحر الرمل فلم يشعر به احد * واستبد توقتامش
بالمملكة * وصفا له دشت بركه * وكان مع هذا متشوفًا لاخبار ايدكو
وأحواله * متشوقًا لمعرفة كيفية هلاكه في رماله * ومر على ذلك
نحو من نصف سنة * وانقطع اثره عن الاعين وخبره عن الالسنة *
وايدكو كان دعيميص تلك الاعقاب والاحقاف * ومن قطع بسير
اقدامه اديم تلك النعال والاخفاف * فصار يتربص ويتبصر * ويتفكر
معنى ما قلته ويتدبر * وهو * شعر *

* ارقب الامر وانتظر فرجا * وانتهز وقتها اذا ما جا *
* وامزج الصبر بالحجى فيه * ورق الموت صار يباجا *
* فلما تيقن ان توقتامش ايسه * وتحقق ان ليس المنايا فوته *

فَرَعَ يتجسس اخباره * ويتتبع * ويستشرف آثاره * ويتطلع * الى ان تحقق من الخبر * انه في متنزه منفرد من العسكر * فامتطى جناح الخيل * وارتقى جنوح الليل * ووصل السير بالسرى * واستبدل السهر بالكرى * فارعا الى الهضاب * فروع الحباب * مقرعا من الربى * اقراع الندى * حتى وصل اليه * تيمور وهو لا يعلم * وانقض عليه * كالقضاء المبرم * فلم يفق الا والبلايا احتوشته * واسود المنايا انتوشته * وثعابين الرماح وافاعي الصمام نهشته * فحاولهم قتالا * وجاولهم طويلا * ثم انجدل قتيلا * وكانت هذه المرة من الواقعات السادسة عشر خاتمة التلاق * وحاكمة الفراق * فاستقر امر الدست على متولي ايدكو * وصار القاصي والداني والكبير والصغير الى مراسيمه يصغو * وتفرقت اولاد تومتا ميش في الآفاق * جلال الدين وكريم بردي في الروس وكوبال وباقي اخوته في سغناق * واستمر امر التامر على مراسيم ايدكو يولي السلطنة من شاء * ويعزله منها اذا شاء * ويأمر فلا يخالفه احد * ويحد فلا يجاوز ذلك الحد * فمن ولاة توبليغ تيمور خان واخوه رشادي بيك خان * ثم فولاد خان بن توبليغ تيمور

ثم اخوه تيمورخان * وفي ايامه تخبطت الامور * فلم يسلم لابن كو
زمامه * وقال لا عزله ولا كرامه * انا الكبش المطاع فاني اكون
مطيعا * والثور المتبوع فكيف اصير تبيعا * فالتحم بينهما الشقاق *
ولجم من ذوي الصغينة مخبوء النفاق * وجرت شرور ومحن * وحروب
واحن * وبينا ظلمات الفتن احتبكت * ونجوم الشرور في دياجي الشحناء
بين الفريقين اشتبكت * اذ ابدر الدولة الجلالية * من مشارق
السلالة التوقتامشية * بزغ مهللا * وفرع من بلاد الروس مقبلا *
وكانت هذه القضية * في شهور سنة اربع عشرة وثمانمائة * فتعاظمت
الامور * وتفاقمت الشرور * وضعف حال ايدكو وقتله تيمور *
واستمر النفاق والشقاق * بين ملوك مماليك قفجاق * الى ان مات
ايدكو غريقا جريحا * واخرجوه من نهر سيحون بسرا بحوق والقوه
طريحا * رحمه الله تعالى * وله حكايات عجيبه * واخبار ونوادر
غريبه * ومهام ذواه في اعدائه مصيبه * وافكار مكائد * وواقعات
مصائد * وله في اصول فقه السياسة نقود ورد ود * البحث فيها
يخرج عن محصول المقصود * وكان امر شديد السمرة ربعه * مستمسك

ولا تقيد له بجواب عن خطاب * بل قطع رؤس الروم من قصاده *
وعلقها في اعناق الباقين واشهرهم في بلاده * ثم جعلهم شطرين *
وقسمهم نصفين * وارسلهم الى جهتين للسلطان الملك الطاهر ابي
سعيد برقوق منهم جزو مقسوم * والجزء الآخر الى السلطان ابي يزيد بن
مراد بن اورخان بن عثمان حاكم ممالك الروم * واخبرهما
بالقضيه * عن جليه * وما ورد عليه من خطاب تيمورا لمقوت *
وانه جعل في ذلك جوابه السكوت * وقتل قاصديه نكايه * ولم يزده
على هذه الحكايه * وانما فعل ذلك برسله وقصاده * استهوانا به واستعظاما
لما فعله بعباد الله تعالى وبلاده * ثم قال القاضي اعلموا اني جاركما *
وديار ديار كما * وانا ذرة من غبار كما * وقطرة من بحار كما *
وما فعلت معه هذا مع ضعف حالي * وقلة مالي ورجالي * وضيق دائرتي
وبلادي * وزقة حاشية طريفي وتلادي * الا اعتمادا على مظاهرتكما *
وانكالا على مناصرتكما * واقامة لاعلام حرمة دولتكما * ونشرا لرايات
هيبة صولتكما * فاتي جنة ثغركما * ووقاية نحركما * وشاوش جنودكما *
وجاليش بنودكما * وربيئة طلائعكما * وطليعة وقائعكما * والا فمن

أين لي مقاومته * وأنى تيسر لي مصادمته * وقد سمعتم أحواله *
وعرفتم مشاهدته وأفعاله * فكم من جيش كسر * وقيل أسر * ومن
ملك * وملك أهلك * وعزيمة ثبطت * ونفس سفك * وحصن فتح *
وفتح منع * ومال نهب * وعز سلب * وصعب أذل * وخطب أجل *
وعقل أزل * وفهم أخل * وخيل هزم * وأس هدم * وسور قطع *
وقصر منع * وطود ثلع * وطفل فجع * ورأس شدخ * وظهر فضخ *
وعقد فسخ * ونار أشب * وريح أهب * وماء أغار * ورمح أثار *
وقلب شوى * وكبد كوى * وجيد قصم * وطرف أعمى وسمع أصم *
وأنى لي ملاطمة سيل العرم * ومصادمة الفيل المغتلم * فإن أنجد ثماني
وجد تماني * وإن خذلتماني بل لتماني * ويكفيكما هيبة وشهرة *
وناهيكما أبهة ونصرة * أن من خذلكما قل ناصركما * من كفاكما
مادحاكما * وإن أصابني والعياذ بالله منه ضرر * أو تطاير الى مملكتي
من جمراته شرر * ربما تعدى ذلك الفعل بواسطة الحوادث *
الى مفعول به وثان وثالث * قلت * شعر *
* والشر كالنار يبدو حين تقدحه * شراره فإذا ما درته حمدا *

* وان تواتيت من اطفائه كسلا * اورى فتائل تشوى القلب والكبدا *

* فلو تجمع اهل الارض كلهم * لما اقاموك في اطفائها ابدا *

وانما اهملت خطابه * وامهلت جوابه * لترسما فتنني * وتأمرا فاكتفي * وتوسما بنبي عليه * وتجاوبا فيعمل ذلك كل منهما اليه *

ذكر ما اجاب به السلطان * ابو يزيد بن عثمان * القاضي فرهان الدين ابى العباس * سلطان ممالك سيواس *

فاما السلطان ابو يزيد بن عثمان فان هذا الفعل اعجبه * ونغم هذا القول اطربه * واستحسن هذا الحكم من القاضي واستصوبه * وارسل اليه يقول ان ارتدع تيمور عنه وانتهى * والا فلنا نية نجنده لاقبل له بها * فليقابله بعين قريرة * وليثبت له بحسن البصيرة * واخلاص السريرة * ولا يجزع من جنوده الغزيرة * فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة * وان اقتضت آراؤه السديدة * واحكامه الرشيدة * توجه بنفسه اليه * وقام بالغزاة والمجاهدين عليه * ليرفع اعلامه * وينفذ احكامه * ويكون لسيفه يدا * ولجناحه عضدا * ثم ارسل كتابه * وانتظر جوابه * واما الملك الطاهر

فما رأيت له كتابا * ولا حققت منه له جوابا * والظاهر أن
جواب الملك الظاهر ابي سعيد * كان شقيق جواب السلطان الغازي
ابي يزيد * اذ افعالهما واقوالهما في الباطن والظاهر * كانت من باب
تواردِ الخاطر * ثم اني رأيت كتابا * يتضمن خطابا وجوابا * وذكر
ان الخطاب من ذلك الغادر * والجواب من الملك الظاهر * وكلاهما
سوى آي الكتاب غير زاهر * اما صورة الخطاب * فهو قل اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون * اعلموا انا جند الله مخلوقون من سخطه *
مسلطون على من يحل عليه غضبه * لا نرق لباك * ولا نرحم عبرة
باك * قد نزع الله الرحمة من قلوبنا * فالويل كل الويل لمن لم يمتثل
امورنا * فانا قد خربنا البلاد * واهلكنا العباد * واظهرنا في الارض
الفساد * قلوبنا كالجبال * وعددنا كالرمال * خيولنا سوابق *
ورماحنا خوارق * ملكنا لا يرام * وجارنا لا يضام * فان انتم قبلتم
شرطنا * واصلحتم امرنا * كان لكم مالنا * وعليكم ما علينا * وان انتم
خالفتم وابيتم * وعلى بغيكم تماديتم * فلا تلومن الا انفسكم *

* الحصون منا لا تمنع * والعساكر لنا لا ترد ولا تدفع * ودعاؤكم
علينا لا يستجاب ولا يسمع * لأنكم انتهكتم الحرام وضيعتم الحمى *
فابشروا بالذلة والجزع * فاليوم تجزون عذاب الهون وقد زعمتم
أننا كفرة * فقد ثبت عندنا أنكم فجرة * قد سلطنا عليكم من يبدد امورا
مقدرة * وأحكاما مدبرة * كثيركم عندنا قليل * وعزيزكم عندنا
ذليل * قد ملكنا الأرض شرقا وغربا * وأخذنا منها كل سفينة
غصبا * وأرسلنا اليكم هذا الكتاب * فاسرعوا في رد الجواب * قبل
أن ينكشف الغطاء * ولم يبق لكم باقية فينادي عليكم منادي الفناء *
هل تحس منهم من أحد او تسمع لهم ركزا * وقد انصفناكم اذ راسلناكم *
ونشرنا جوامر من الكلام عليكم * والسلام * وعلى صورة الجواب
وقيل هو انشاء القاضي علاء الدين بن فضل الله وما أظن ذلك صحة *
وهو بسم الله الرحمن الرحيم قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء *
وتنزع الملك ممن تشاء * وتعز من تشاء وتذل من تشاء * بيدك الخير
إنك على كل شيء قدير * حصل الوقوف على كتاب مجهز من الحضرة
الايخانية * والعدة العطية الكبيرة السلطانية * قولكم انا مخلوقون

قمن سخطه * مسلطون على من يحل عليه غضبه * لا نرق لشاك * ولا نرحم
عبرة باك * قد نزع الله الرحمة من قلوبكم * فهذا من أكبر عيوبكم *
وهذا من أقبح ما وصفتم به أنفسكم * ويكفيكم بهذه الشهادة واعظا
اذا اتعظتم قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * نفي كل كتاب
ذكرتم * وكل قبيح وصفتم * وزعمتم أنكم كافرون * ألا لعنة الله
على الكافرين * من تشبه بالأصول لا يبالي بالفروع نحن المؤمنون
حقا لا بصدنا عيب * ولا يدخلنا ريب * القرآن علينا نزل * وهو
رحيم بنا لم يزل * وقد عصمنا ببركة تأويله * وقد خصنا بفضل تحريمه وتحليله *
انما النار لكم خلقت * ولجلودكم أضرمت * اذا السماء انفطرت *
ومن العجب العجاب * تهديد الليوث بالليوث والسباع بالضباع *
والكماة بالكراع * نحن خيولنا عربية * وعممنا عليه * ولناقتنا شديدة
المضارب * ذكرها في المشارق والمغارب * ان قتلناكم فنعم البضاعة *
وان قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعة * ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * وقولكم قلوبنا كالجبال *
وعددنا كالرمال * فالنمل لا يبالي بكثرة الغنم * وكثير من الحطب

يكفيه قليل من الضرم * فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين * الفرار لا من الزرايا * نحن من المنية * في غاية
الامنية * ان عشنا عشنا سعداء * وان متنا متنا شهداء * الا ان حزب
الله هم الغالبون * ابعد امير المؤمنين * وخليفة رب العالمين *
تظلمون منا طاعه * لا سمع لكم ولا طاعه * وطلبتم ان نوضح لكم امرنا
فهذا الكلام في نظمه تركيك * وفي سلكه تفكيك * لو كشف لبان * قبل
التبيان * اكفر بعد ايمان * ام اتخذتم ربا ثان * لقد جئتم شيئا ادا *
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * قل لكاتبك
الذي رصع رسالته * ووصف مقالته * حصل الوقوف على كتاب *
كصبير باب * او طنين ذباب * وكتب ما يقول ويمد له من العذاب
مدا * وما لكم عندنا الا السيف بقوة الله تعالى * ثم اني وجدت
في نسخة محامر الدمور بتقادمه مدادا * وبيض كراعصور على وجه
الرسالة من شيبها سوادا * صورة مذل الكتاب * وهيئة مذل الخطاب *
من انشاء نصير الدين الطوسي على لسان ملاكر التتري مرسلا ذلك
الى سلطان مصر *

ذكر صورة الجواب عن انشاء من كان في ذلك العصر

فصل

ولما بلغ تيمور ما فعله السلطان برهان الدين بقصاده حنق ورنق لجماح الغضب وفاردم قلبه ورنق وغص غصصا فكاد من الغيظ ان يختنق ولكن علم ان في المزوايا خبايا وللاسلام جنودا وسرايا وفي عزين الدين من ليوث المسلمين بقايا وان امامه اسودا وعواصر وجوارح كواسر فتصبر للزمان ورجع القهقرى وتربص بهم الدوائر

ذكر توجه العساكر الشامية لدفع تلك العساكر الجاهلية

بلغ ان ملك الامراء بالشام موتنم خرج بالعساكر الى ارزنجان ورجع وهو مغتنم ولم يروا في ذلك ضيرا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وعاد من جيش الاسلام كل اسد مصور وقد اسطاد من كواكي ما ضاعى صورته وجلده نور على نور

ذكر رجوع ذلك الكنود وتخلصه من بلاد الكنود

ثم ان تيمور بلغه ان سلطان الهند فيروز شاه انتقل من رستة الدنيا

الى رحمة الله * ولم يكن له ولد يكون له نهايه * فعمى تيمور * لان
يتولى بحكم الوفاة والشعور * تلك الوظيفه * ولما فاض صاحب الهند
صارت الناس فوضى * ومزج بحر الهند وماج فجعل كل يخوض
خوضا * فعز بعض النامي وبعضهم ذلوا * ثم اتفقوا على تولية وزيراسمه
مقو * فراعب من امراء النامي ما انصدع * ورفع من استحق الرفع وخفض
من بغير استحقاق ارتفع * فعصى عليه امرؤ شارنك خان * متولي
مدينة ملتان * ووقع بينهم التخالف * وافترق ملأ الهنود فرقا
وطوائف * فكان اختلافهم لتيمور احسن مساعد *

واقوى مضيد وساعد قلت * شعر *

وتشتت الاعداء في آرائهم * سبب لجمع خواطر الاحباب *

وحين وصل تيمور الى ملتان * عصى عليه شارنك خان * فاقام
لعساكره * وبعد مغاجرما * وكانت عساكره ماجمة * والى كتائبها
المشار اليه * حتى قيل ان من جملة عسكره الثقيل * كان ثمانمائة
فيل * مع ان كل امير من امراء الهند * ورئيس من اكناف الهند *
كان قد ائتلف اذياله * وتلثم رماله ورحاله * وضبط بحراتهم اثقاله *

وربط الحوائج في اثقاله * واستصحب ذلك الذخائر والخيام * لحوا من تلقى
عام * الى ان استخلصها * ومن يد خلصها *

* فصل *

ولما استوى ملوا واستقر امرا لهند عليه * لمنه توجه تيمور اليه * جدّ
واجتهد * واعد العدد والعدد * واستمد ادوا لمدد * وارهف
مالا لبد * وحسب ان لن يقدر عليه احد * فاق الامزال * وجمع
الخيل والرجال * واحضر ما في مملكته من الاقيال ثم حصن مدائنه *
ومكن كائنه * وشيد على الاقيال للمقابلة ابراجا احكم في تحريرها
المناضلة طريقة فقه فيها ذهب ومنها جا * وجد في السير *
حتى كاد يسبق الطير * اذ لم يكن له في ذلك الارث تجربة * ولا
في عساكر سلطان الهند من يقربه * فلما بلغ الهنود باله * برزت
اليه بالجنود الهنود * وقدموا الفيول * لتنفير الخيول وبنوا
على كل فيل من الاتراس برجا * وعبوا في كل برج من المقاتلة خمسة
في المضائق ويرجى * بعد ما جعلوا ما من اكبر بركستوانات نفر *
وعلقوا عليها من القلاقل والاجراس الهائلة ما يذهل العوال

إلى الديار * وقد رأى خراطيمها سيوفاً يصلح أن يقال إنها سيوف
الهند * تدلو الورد من شعلة نيرانها فتخولها حاجبة حقيق أن يقال لها
نار الهند * وهذا خارج عن تلك الأنياب * التي هي
في الحروب بمنزلة الحراب * وهي في أداء ما وجب عليها نصابه
كامل * وبعضها التي مصيبة في نحور من يقابلها تقصم
كل نابل وذابل * فكأن تلك الأفعال * في وصف القتال * كأنها
جبل بأسود ما شيء صيام بجنود هاجريه * وأطواد بنمورها
عاديه * وبحار بأمواجها رائعة جائيه * وظلل من الغمام
بصواعقها هاميه * إلى العراق بنوابها السود هاريه * وخلفها
من الصنود * في الحرب * وأبطال الطعن والضرب * سود
الأسود * وطير ثاب وفشن الغصون * بالذابل الخطي * والصارم
الهندي * والخنجر * مع قلب ذكي وجنان جري * وعزم قوي
وصبر رضي *

ذكر ما كان من احتيال * من الخذيفة في اجفال الافيال *
وبعض ما جرى على هذه الحال * وتحقق أن شقة عساكر الهند نسجت

على هذا المنوال * اعمل الكيد * في قلع هذه العصيدة * ومزقهم بمزقة
قد رطمتها اخزم العصيدة * فهدأ اولا في الاحتيال * بدفع مكيدة
الا فيال * فاستعمل الفكر الجديد * في اصطناع شوكات من حديد *
مثلثة الاطراف * معتدلة الاوصاف * كانها في شكلها الخبيث *
طرق القائلين بالتثليث * اووضع اصحاب الاوفاق * اعداد هم
المنسوبة الى الوفاق * فصنعوا له من ذلك الالوف * ثم عمد الى مجاني
الفيول في الصفوف * فنشر ذلك لها ليلا * وجلب لاهلها حربا وويلا *
ورقم لذلك حدا * ورسم ان يفعل ذلك الحد لا يعدى * ثم ركب اطلابه
وابطاله * ورتب اسوده واشباله * ومذب خيله ومذب رجاله *
وارصد شمالا ويمينا * من عسكره للعدو كمينا * وحين بدت طلائع
الغيارة في جوانب الافاق خيله * وضم جيش الظلام رجالة انجمه
وشمر للهزيمة ذيله * مشى عسكره الى ذلك الحد رويدا حتى وصل اليه *
ولما تراءى الجمعان نكص على عقبه * ثم تكب بالخيول على طريق
الفيول * فتصوروا ان خيوله اجفلت * وشمس نصرته انكسفت *
وكواكب جيشه افلت * فاقتلعوا قلاع الفيول * فانهزمت انهزام

الخيول * وما قوها خلف عساكره موقا * على ذلك الشوك المشئوم * واتبع
الفيالة * من الهنود الرجالة والخيالة * فلما وصلت خيول الفيول
من مضارج الشوك الى المقاوم * واخذ ذلك الشوك في تقبيل ايديها
وارجلها وتشبث بتلك المناسم * واحنت قوائمها بشوكها * رجعت
القهقرى على ولت الادبار لعدم عقلها * فنهنهوها ونهوها من التولي
فلم يغن ما النهي والتهنهة * وصارت في التقدم الى جهة العدو
كفيل ابرهه * ثم لم يمنعها لما اضرها الشوك في تلك الحرار * الا التولي
من الزحف والفرار * فحطمت الفيول * الرجال والخيول * وصارت
القتلى كالجبال والدماء في اوديتها سيول * وخرج عليهم الكمين *
من ذات الشمال وذات اليمين * فابادوا سائرهم * والحقوا
بالهم آخرهم * وقيل ان بلاد الهند ليس فيها ابا عر * وان منظرها يجفل
الفيل فيصير بعد نافر * فامر تيمور ان يهيأ خمس مائة بعير جفول * وتعبأ
لرواحلها والحمول * قصبا مخشوا بفتائل وقطن بالدهن مبلول *
وان تساق امام الركبان * الى ان يتراءى الجمعان * فلما تصافوا ولم
يبق الا القتال * امر ان تطلق النيران في تلك الحشايا والاحمال *

وتساقى الى جهة مواجهة الافيال * فلما احس البعران * بحرارة
النيران * رغت ورقصت * ونحو الفيول شخصت * وصارت كما قيل

* شعر *

* كانك من جمال بني اقيش * يقعقع بين رجليها بشن *

فلما رأت الفيلة النيران * وسمعت رغاء البعران * ونظرت الى
الابل كيف خلقت * وشامتها وقد غنت ورقصت * وباخفافها
صفقت * الوت على عقبها ناكصة * لما يقيها واصبة * ولراكبها واقصة *
فحطمت الخيالة * ومشت الرجالة * وتلا الكافرون آية النصر
على اصحاب الفيل * وارسلوا عليهم من السماء طيرا ابابيل * فلم ينتفعوا
بالافيال * بل افنت الافيال غالب الخيل والرجال * ثم تراجعت
عساكر الهنود * وابطال الخيالة من الجنود * وتمموا المكتائب وبندوا
البنود * ثم تراموا وتصافوا * وتصادموا وتحاقوا * وهم ما بين مجوبي
وسليم * وميار ومنتفيق ومنادي بالشعار معلم * وكل في سوا باللون من الحديد
كقطع الليل المظلم * ثم تداوموا النثار وتزاحفوا * وبعدا امر اشقة
بالحسام بالرماح تناقفوا * ثم بالسيوف تضاربوا * ثم تلاتموا وتواثبوا * ثم تراموا

من ظهور الخيل * واعتكر في ذلك القتام النهار بالليل * ولا زالت تختلف بينهم الضربات * وتطول فيهم الحملات * وتحصد منهم الصولات * حتى تلاسن القضاء والقدر ان في اختلاف الليل والنهار لآيات * ثم تناهى الاقتحام * وانفرج الازدحام * واسفرت القضية عن ان برد حامي الهند فانهزم جيش حام * وحل بالهنود الويل * ومحا الله آية الليل * ولما تفرقت الهنود وفلوا * وانتهى عقلهم في المحاربة فحلوا * وقتلت سراتهم وهرب سلطانهم ملوا * ثبت تيمور وحكمه في هند * الى الآن كما ثبت اوتاده في سمرقند * فجمع اقيالها * وربط اذيالها * وضبط احوالها * وما غفل عن ضبط ما عليها وما لها * وسلم اقيالها اقيالها * ثم توجه نحو تختها وهي مدينة دهلي * مصر عظيم جمع فنون الفضل وارباب الفخر الجلي * معقل التجار * ومعدن الجواهر والبهار * فتغلب عليه بالجملة * فاحاط بتلك السواد الاعظم * من عساكره السواد الاعظم * ومن معه من الخلائق والامم * فقيل ان من العساكر والخلائق مع عظمها وكثرتها * لم يذكروا ان يكتبوا مائة واثرتها * وانه اخذ ما من احد

جوانبها بالمحاصرة * وكم الجانب الآخر ثلاثة أيام في المجاذبة والمشاجرة * ولم يدر من في الجانب المحاصر * لبعد المدى وكثرة الأمم ما فعل بالجانب الآخر *

ذكر وصول الخبر الى ذلك المعقر * بوفاة الملك ابي العباس احمد والملك الظاهر برقوق *

وبينما هو قد استولى على كرسي الهند وامصاره * واحتوى على ممالكه واقطاره * وبلغت مراميه اعماق انجاده واغواره * وانبث جيشه في ولاياتها سهلا ووعرا * وظهر فساد ذهرفي رعاياها برا وبحرا * اذ وفد عليه المبشر من جانب الشام * ان القاضي برهان الدين احمد بالسيواسي والملك الظاهر يا سعيد برقوق انتقلا الى دار السلام * فسر بذلك صدره وانشرح * وكاد ان يطير الى جهة الشام من الفرح * فجز بسرعة امور الهند * ونقل الى مملكته من فيها من العساكر والجند * بما اثقل من الاثقال * ونفائس الاموال * وزرع ذلك الجمهور * من ذلك الجند الماثور * على اطراف ما وراء النهر من الحدود والثغور * واقام في الهند نائبا من غير وجل * فرجع ذ

عن سمرقند قاصدًا الى الشام على جمل * ومعه من الهند رؤس اجناسها
و وجوه اصنافها * وسلطان اقليمها واقيال سلطانها * ثم انه صار تحرير
العين بتلك الطوائف الطافية * في اوائل سنة اثنين وثمانمائة *
وانصب بذلك الطوفان * من جيحون الى خوارزم * وكان قد قرر
ولده لصلبه اميران شاه بمملكة تبريز وتلك الديار * والسلطان
احمد قد رجع الى بغداد وهو مستوفز للفرار * وسبب حركته الى بلاد
الشام * ما فعله الظاهر برقوق بن الدين حاكم سيواس بقضاية الاعتام *
لكنه اراد ان يغمه مقضية * ويغطي عن الناس مصدره وموردة *

قلت بل يها * شعر *

* وانى يختفي للشمس ضوء * عن الابصار في ضحوا النهار *
* وكيف يسر ذو لمك بخشو * حياشيم الورى في يوم عار *
* وانى يختفي للطبل صوت * عن الاسماع في وقت التفار *
حتى قصته كان بعيد المدد * طويل الامد * محتاجا الى اعداد امنة
الملوك * ويخشى ان تضامي عزوة تموك * واظهر سببا ابطن فيه *
ما راعه من ملوك وداعيه * واشاع ذلك واذاع * حاشا لله منه القلوب *

والاسماع * ذكر معنى كتاب وقد وهو في المعنى عليه * زعموا ان وفد
امير ان شاه ارسله اليه * وذلك ان ابنه امير ان شاه المذكور راسله *
وانتهى اليه يقول لي ما قيل في بعض ما قاله وسأوله * انك قد عجزت
لكبر سنك * وشمول الضعف ببدنك وروحك * عن اقامة شعائر
الرياسة * والقيام باعباء الايالة والسياسة * والاولى بحالك ان كنت
من المتقين * ان تقعد في زاوية مسجد وتعبد ربك حتى يأتيك اليقين *
وقد تم في اولادك واحفادك * من يكفيك امر رعيتك وجنادك *
ويقوم بحفظ مملكتك وبلادك * وانى لك بلاد وممالك * وانت
من قريب مماتك * فان كان لك عين باصرة * وبصيرة في نقل الاعيان
ما مرة * فاترك الدنيا واشتغل بعمل الاخرة * ولو ملكت ملك عاد *
ورجع اليك اقتدار العمالقة وعاد * وساعدك النصر والعون *
حتى تبلغ مقام هامان وفرعون * ورفع اليك خراج الربع المسكون *
حتى تفوق في جمع المال قارون * وصرت في جواب البلاد كبختنصر *
الذي طول الله تعالى له بقصر * وبالجملة فلو بلغ سلطانك الاقطار *
وقضيت من دنياك غاية الاوطار * وصار عمرك فيها اطول الاعمار *

وخذ ما لك فيما ملوكها الاعمار * فقصر جندك قيصر * وكسر كسرى
فانكسر * وتبعك تبع والنجاشي * واوساط الملوك والاقيال عبد والك خدما
وحواشي * وفغر لك فغفور بالثناء فاه * وانحنيت على الخان وخاقان
فوجه كل في رقعة دست شاه * واذعن لك فرعون مصر وسلطانها *
وجبي لك على يد خير الدين ايران الدنيا وثورانها * وآل امرك
الى ان كان لك سكان الاقاليم رقطانها * اليس قصارى تطاول قصورك
الى القصور * وغاية كما لك النقص وحيوتك الموت وسكناك القبور *

قلت * شعر *

* فعش ما شئت في الدنيا واحذرك * بها ما رمت من صيت وصوت *
* فمحيط العيش موصول بقطع * وجميل العمر معقود بموت *

وقيل * شعر *

* قميص من القطن من حلة * وشربة ماء قراح وقوت *
* ينال به المرء ما يرتجي * ومن كثيرا على من يموت *
اين انت من نوح وطول عمره * ونياحته على قومه وحسن عبوديته
وشكره * ولقمان وحفظه ولبه * وتربته لطول الحيوة لبث * وداود

في مُلكه العظيم * مع قيامه بأوامر الله تعالى وكثرة الذكر والتسبيح *
وسليمان بعده وحكمه على الإنس والجن والطير والوحش والريح * وذو
القرنين الذي ملك المشرقين * وبلغ المغربين وبني السدين بين الطائفين *
وفاتح البلاد * وملك العباد * وابن خليل من سيد الأنبياء * وخاتم
الرسل وصفوة الأصفياء * المرسل رحمة للعالمين * الكائن نبياً وآدم
بين الماء والطين * محمد المصطفى * وأحمد المجتبى * الذي حيز وزويت له مشارق
الأرض ومغاربها * وتمثل بين يديه شاهدها وغائبها * وفتحت له خزائنها *
وعرض عليه ظاهرها وكامنها * وكانت جنوده الملائكة الكرام * وآمن به الإنس
والجن والطير والوحش والهوام * وأيده الله الكريم المتعال * بأن ذلل
لطاعته ملك الجبال * وكان حامل راياته نصره نسيم الصبا باليمين
والشمال * فملك الجبابرة بالهيبة والقهر * وكانت الأكاسرة والقياصرة
تهابه من مسيرة شهر * وأيده بنصره وبالمؤمنين من المهاجرين
والأنصار * وتولى نصره أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما
في الغار * وأن الله سبحانه به أسرى * في بعض ليله من المسجد الحرام
الى المسجد الأقصى * وكان مركوبه الشريف البراق * ثم عرج به

ان السبع الطباق * وقرن اسمه الكريم مع اسمه * وتعبد عباده
بشريعته الى يوم القيامة من غير تغيير لحده ورسمه * وخلق لاجله
الكائنات * وانار بوجهه الموجودات * ولم يخلق في الكون اشرف منه
ولا افخر * وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر * واظهر من معجزاته
ان اشبع الجم الغفير * من قرص الشعير * وسقى الكثير من الرجال *
ما نبع من بين اصابعه من الماء الزلال * وانشق له القمر * وسعى
اليه الشجر * وآمن به الضب وسلم عليه الحجر * وهل تحصى معجزاته *
وتحصر كراماته * وما هيك بمعجزته المؤيدة * وكرامته المؤبدة
في مر الزمان * الباقية ما دار الحدثان * الساكنة ما تحرك الملوان * وهو
القرآن المجيد * الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد * وعد منازله في الدنيا * غير ما ادخر له في العقبى *
وبشره بقوله وللآخرة خير لك من الاولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى *
مع ان الله تعالى اخذ ميثاق النبيين بالايمان به وبنصره فلو ادركوه
لم يسعهم الا اتباعه وامتثال امره * فهود عوة ابراهيم الخليل * ومتوسل
موسى وعلماء بني اسرائيل * والمبشر بقدومه على لسان عيسى في الانجيل *

وحامل لواء حمد ربه يوم لقائه * قدم ومن دونه تحت لوائه *
وموصاحب الحوض المورود * والمخاطب من ربه في موقف الشفاعة
والمقام المحمود * بمعنى ما قلت مفوفا مقتبسا * شعر *
* قل تسمع اشفع تشفع سل تنله نجد * تفويف حلة عزوا قتبس نعمي *
فانظروا لي هؤلاء السادة * معادن الخير ومعاقل السعادة * هل رغبوا في الدنيا
واعتمدوا عليها * وانظروا الى عين الاحتقار والاعتبار اليها * وهل كان
نظرهم غير التعظيم لامر الله * والشفقة على خلق الله * وناهيك بالخلفاء
الراشدين * واعظم بالعمرين * اللذين كانا في هذه الامة بالمنزلة
القمرين * وهلم جرا بالخلفاء العادلين * والملوك الكاملين والسلاطين
الفاضلين * الذين تولوا فرعوا حقوق الله تعالى في عباده *
وحموا عباد الله عن الظلم في بلاده * واسسوا قواعد الخير * وساروا
في نهج العدل والانصاف احسن سير * فمضوا على ذلك وبقيت
آثارهم * واخمد بعد موتهم آباؤهم اخبارهم * فمضى على ذلك
مثل الاولين * وبقي لهم لسان صدق في الآخرين *
اذ صنعوا * بموجب ما سمعوا

* شعر *

* فكن حديثا حسنا ذكره * فانما الناس احاديث *

وانت وان كنت تسلطت على الخلق * فقد عدلت ايضا ولكن عن الحق * ورعيت ولكن اموالهم وزروعهم * وحميت ولكن بالنار قلوبهم وضلوعهم * واسست ولكن قواعد الفتن * وسوات ولكن على سبيل امامة السنن * ومع هذا فلو عرجت بي السبع الشداد * ما بلغت منزلة فرعون وشداد * ولو رفعت قصورك على شوامخ الاطواد * ما ضاهت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد * فانظر لمن نهى وامر * ثم مضى وغبر * ولا تكن ممن طغى وتجبر * وتولى وكفر * وامتنع بهذا الخطاب * من الجواب * واعط القوس باريها * واترك الدار لبانيها * وتولى الله ورسوله والذين آمنوا * الا فانت اذا ممن تولى في الارض ليفسد فيها * فاني اذكرك امضي عليك * واضرب على يديك * وامنعك من السعي في الفساد بان اسوجبين رجليك * مع قلة آداب جرائمها كثيرة عمارين ذنوبها كبيرة * فلما وقف تيمور على هذا الكتاب * وجه الى تبريز عنان الركاب * وكان عند امير ان شاه من المعتبرين * جماعة سعوا في الارض

مَفْسِدِين * مِنهم قُطْب المَوْصِلي اُعجُوبَة الزّمانِ الدوّار * واُستاذ عِلْم
المُوسِيقا والاَدْوار * اذا استَنطَقَ اليَراعَه * اَسكَتَ اَهْلَ البَراعَه *
واذا رَضَعَ المَثاني بفيه * شَحَقَ عُودا اسْحَق وابنه * وان اخَذَ في الاَغاني *
اَفْنى عن الغَواني * تَقُولُ النَّفْس لنَفْسِه الرَّخِيم خَفِّف عَنّي اَنينِي * فتُشيرُ
يَراعَتُه بالاِصْبَع وتَقُولُ على عَيْني * ثم يَنفُخ فيها الرُّوح * فيَشْفي كُلَّ قَلْبٍ
مَجْرُوح * ويُداوي كُلَّ فُؤادٍ مَقْرُوح * فان اُقامَتْ قامَتها الرَّشيقَة
راقِصَةً في سَماعِها * تَحْنِي الجُنْك ظَهْرَهُ خاضِعًا لطيبِ اِستِماعِها *
وان فَتَحَت فاها لتُقْرِئ اَسْماعَ القُلوبِ اَلْحانَه * يُمِيلُ العُودُ عُنُقَهُ مُصْغِيًا
اليها هارِكًا يائِلًا على الاَدَبِ آذانَه * قيل انَّهُ كان يُؤَدِّي جَمِيعَ الاَنْغام
الفُرُوعِ والمُرَكَّبات والشُّعَب والاُصُول * من كُلِّ ثَقْبٍ من ثُقَبِ الماصُول *
ولَهُ مُصَنَّفاتٌ في اَدْوارِ المَقامات * وجَرَى بينَهُ وبين الاُستاذ عَبْدِ القادِرِ
المَراغِي مُباحَثات * وكان اَميرانْ شاه بِهِ مُغْرَمًا * يَعُدُّ صُحْبَتَهُ والعِشْرَةَ
معه مَغْنَمًا * وكان تيمور لا يُعْجِبُهُ العَجَب * ولا يَسْتَهْوِيهِ اللَّهْوُ
والطَّرَب * فقال ان القُطْب افسَدَ عَقْلَ اميرانْ شاه * كما افسَدَ عَبْدُ
القادِرِ احسنَ بن الشيخ اويس واَطْغاه * فوصَلَ ذلك الطّاغ * سابِعَ عشرِ شهرِ

ربيع الاول سنة اثنين وثمانمائة الى قراباغ * فاناخ بها ركابه * واراح
بها دوابه * وضبط ممالك اذربيجان * وقتل اولئك المفسدين واهل
العدوان * ولم يتعرض لاميران شاه * لانه ولده وهو انشاه * وبينهما
امور متشابهات لا يعلم تأويلها الا الله * ثم توجه بذلك الجيش *
ثاني جمادى الاخرة يوم الخميس * واخذ مدينة تفليس * وقصد
بلاد الكرج * وهدم ما استولى عليه من قلعة وبرج * وقلعهم
الى الصياصي * والقلاع العواصي * وقتل من ظفر به من طائع وعاصي *
وجز ما بين روس ونواصي * ثم ثنى عنان الفساد * وجرش البغاة
على بغداد * فهرب السلطان احمد من ذلك الكبب * الى قرا يوسف
في ثامن عشرين شهر رجب * فسكن تيمور زعازعه * وطمن بذلك
مراقبه ومنازعه * وتمهل في السير * واستعمل في نحوه مع مناظريه
مباحث سرى وغير * وصار يتجاوز ويتجاول * وينشد وهو يتغافل

* شعر *

* امرة عن سعدى بعاول وانتم * مرادي فلا سعدى اريد ولا علول *

فتراجع السلطان احمد وقرا يوسف يوما الى مدينة السلام * متصورين

انه لم يخرج من بلاد الكرج الى الشام * فلما تحققا هذا الخروج *

وكانا تحققا انه اذا خرج على شيء فما يعود * طار طائرهما نحو الروم *

وتركا ذيارهما ينعق فيها الغراب والبوم * فتوجه ذلك القشعمان *

الى مصيف التركمان * فاعمل السيف * وكف عن الحيف وصوم الصيف *

ذكر ما وقع * من الفتن والبدع * وما سل للشرور من

خسائم * بعد موت سلطان سيواس والشام *

وكان اذ ذاك قد تخبط امر الناس * ووقع الاضطراب ببلاد مصر والشام

الى سيواس * اما مصر والشام فلموت سلطانهما * واما سيواس

فلقتل برهانها * وكان موتهما متقاربا الزمان * كموت قراءوسف

والملك المؤيد الشيخ ابي الفتح غياث الدين محمد بن عثمان * فان مدى

ما بين موت هولاء الملوك العظام * كان نحوا من نصف عام * وكذا

كان ما بين موت ذينك السلطانين *

ذكر لمحة من امور القاضي * وكيفية استيلائه على سيواس وتلك الاراضي *

وسبب قتل القاضي برهان الدين * مخالفة وقعت بينه وبين عثمان

قراءلوك رأس المعتبرين * وسيرد بيانها * اذ الى ذكرها * وعدنا

السلطان ايوبة كان قاضيا عند السلطان ارتنا حاكم قيصرية وبعض ممالك قرمان * وكان بين الامراء والوزراء في امكانة وامكان * وكان ابنه برهان الدين احمد المذكور في عنفوان شبابه * من طلبة العلم الشريف واصحابه * المجتهدين في تحصيله واكتسابه * فتوجه الى مصر لاقتناء العلوم * وضبطها من طريقي المنطوق والمفهوم * وكان ذا فطنة وقادة * وقريحة نقادة * ومقلة حيرة قادة * فحصل من العلوم عدة * في اقرب مدة * فبينما هو في مصر يسير * اذ هو بفقير جالس على الطريق كسير * فبادر له شيأ يسد به خلته * ويجبر به فقره وكسرته * فكاشفه ذلك الفقير بلفظ مفهوم * وكشف له عن السر المكتوم * وقال لا تقعد في هذه الديار فانك سلطان الروم * فصدع بهذا الكلام قلبه * فاخذ في اعداد الاهبة * وقطع العلائق * ودخل الطرق صحبة الرفاق * ولما وصل الى سيواس * ابتهج به والدرة واعيان الناس * وشيد له بين الخلق اشد بنيان واشد اساس * وشرع في القيام بالدروس * ومصاحبة الاعيان والرؤس * وكان فاضلا ابيه * وراجحة سنيه * ونفيس ركنه * وخصائل رزينه * وشمائل مزينه *

والتحريرشاف * وتقرير واف * يحقق كلام العلماء * ويدقق النظر
في مقالات الفضلاء * وله مصنفات في المعقول * ولطائف في المنقول *
ينظم الشعر الرقيق * ويعطي عليه العطاء الجليل * ويعجبه اللفظ
الرقيق * ويثيب عليه الثواب الجزيل * وهو في ذلك يتزيا بزي الاجياد *
ويسلك طريقة الامراء من الركوب والاصطياد * ويلازم ابواب السلطان *
ويتخير الخدام والاعوان * فمات السلطان عن ولد صغير * فاجلسوه
على السرير * وكان عنده من اعيان الامراء * ورؤس الوزراء *
اناس منهم غضنفر بن مظفر وفريدون وابن المؤيد وحاجي كلدي
وحاجي ابراهيم وغيرهم ومن اكبرهم ابو القاضي برهان الدين فصار
هؤلاء الامراء * والرؤس من الوزراء والكبراء * يدبرون مصالح
الرعية * ولا يفصلون الا بالاتفاق ما يقع من قضية * فمات ابو القاضي
برهان الدين وتولى ولده مكانه * وفاق بالعلم وحسن السياسة اباه
واقرانه * فتفرق ولايات ذلك الاقليم * على ابن المؤيد وحاجي كلدي
وحاجي ابراهيم * فبقي حوالي السلطان محمد * فريدون وغضنفر
وبرهان الدين احمد * ثم توفي السلطان محمد * عن غير ولد * فبقيت

الولاية بين الثلاثة * على سبيل الاشتراك وراثة * وقاما اتفق صوتان
على زوج واحد والتقتا * ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * وما بقي
فقير * يلتفون في حصير * وملكان لا يسعهما اقليم كبير * فاوقد برهان
الدين الاستبداد بالملك والاستقلال * فنصب لشريكيه اشراك الاحتيال *
اذا الملك عقيم * فرصد لذلك الطالع المستقيم * ونظر نظرة في النجوم
فقال اني سقيم * فرأى شركاءه ان العيادة عبادة * فطلبا بعيادته
الحسنى ورام هو الزيادة * فعاداه وقد عاداهما * وما راعاه ولكن
راعاهما وما راعاهما * فدخلا عليه وقد ارصد لهما رصدا * واعد لهما
من الرجال لمعة عدادا * وقتلهما وقد حصلا في قبضة الاشراك *
وخلص توحيد السلطنة الاحمدية من الاشراك * فقوي بالتوحيد
سلطانه * واضاء به للدين حجته وبرهانه * ولكن ناواه انداده *
وعصى عليه من النواب اكفاره واضداده * واظهر كامن العداوة
احداثه وحساده * وقالوا منذ مرتبة لم ينلها آباؤه ولا اجداده * ونحن
كلنا هبوا سيئة اذا انتمينا * فانى يكون له الملك علينا * وحسد الرياسة
هو الغل القتيل * وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل * فمنهم شيخ نجيب

صاحب توقات الغاسية * ومنهم حاجي كلدي وكان نائب آماسية *
فلما استقل بالملك تلقب بالسلطان * وكان قد استولى باذن اخيه
السلطان علاء الدين على ممالك قرمان * فقال السلطان بزمان الدين
ان رواة التواريخ حدثنا واسمعتنا * وكتب السير انبأتنا واخبرتنا *
ان مما جرى لنا من الممالك متعلق بنا * من سلطاننا وارثنا * ثم شرع
في استخلاص ما كان متعلقا بسلطانه * وجعل يشن الغارات على
من يتمادى في عصيانه * فقلع قلعة توقات من الشيخ نجيب قسرا *
واستصحبه معه طيبة وقهرا * وانحازت تتار الروم اليه وهم الجم الغفير *
وعثمان الملقب بقرا يلوك قال له انا تحت امرك امني وفي قيد
طاعتك اسير * فكان قرا يلوك من جملة خدمه * وفي حساب تراكمته
وحشمه * فكان يرحل فوره ومن معه من الناس * شتاء وصيفا بضواحي سيواس *

ذكر محو قرا يلوك عثمان آثار تواريه ان الدين

السلطان * بسبب ما اظهره من العدوان * وانهمرة حالة
العصيان * وقبض عليه لما عاد به الدهر وزمان *
ثم انه وقع بين قرا يلوك وبين السلطان منازعة * ادت الى المهاجرة *

والتهت الى المراسحة والمناظرة * فنقض العهود والتلم * واستنع من حمل التقاديم والخدم * وتمنع في الاماكن الحامية بمن معه من المتراكبة والحشم * فلم يكترث به السلطان * لانه كان اقل الاعوان * وجعل يتوجه تارة الى اماسية واخرى الى ارزنجان * وكان بالقرب من سيواس مصيف * منظره ظريف * وترابه نظيف * وماؤه خفيف * وهواؤه لطيف * كان الخلد خلع على اكناف رياضه سندس الاخضر * والفردوس فجر في خلال اشجاره من نهر الكوثر * على حدائقه من زهرات الجنات نشر * وفي ربوة جبهته للابصار درجات وللطيور نزه *

* قلت * شعر *

عليه شقيق فوقه كأنه * جفون عشيق اترصت بالعناير *

فقصده قوايلوك * وزحم في طريقه السلوك * فمر على سيواس فتربص القاضي ابو العباس * فجاز بركابه * ولم يكلمه بباب * فالتهب تموز قيظه * وكان يتحيز من تغيظه * وقال بلغ من ذل الغواة ان يلج برج الاسد * ويقيم فيه ايام اقامة واحل بهذا البلد * ثم امر جماعته بالركوب * ونصل عليه الوثوب * واستفزه الغضب والطيش * ان ركب

بالجيش * فقال له بعض من معه من الجماعة * لو بايتنا مولانا
السلطان بعافية * حتى يتلاحق العسكر * كان أحزم رأي وحق وأجدر *
وإن كان حرمة مولانا السلطان فيها كفاية ولها أيد * لكن قرايلوك
تركماني ذو دهاء وكيد * فلم يلتفت السلطان الى هذا الكلام * ولم يزل
ساجما وراءه حتى هجم الظلام * فكر عليه قرايلوك بجماعته * فقبض
عليه باليد من ساقيته * ولم يدر بحاله العسكر * وتفرق
أمراؤه وجنده شذر مذر *

ذكر ما كان من نزاع قرايلوك من الرأس المصيب *
ورجوعه عنه لسوء طويته بشيخ نجيب *

ثم ان قرايلوك عزم أن يجدد مع العهد والميثاق * ويقلع غراس
الخلاف ويؤسس بنيان الصداقة والوفاق * فيرده الى مكانه *
ويقرره كما كان لا من أنصاره وأعوانه * ويعلم بذلك السلطان أنه
له ناصح * فلا يسمع فيه كلام واش وكاشح * وانه يشيخ نجيب الذي
كان يتولى قلعة تورات * وجاء مرة السلطان وضيق عليه مسالك
المطرقات * ثم تحزب وعلمه * وراجت قلعته وبالكرامة اختصه *

وجد فرصة فانتهزها * وكان في قلبه كامن ضغينة فابرزها * فجاء
الى قرا يلوك * ووقف في خدمته كالمملوك * وقال اعيذك عالم عقلك
ان يزل * ودليل فهمك ان يضل * ومصيب رأيك ان يصاب * وجميل
فكرك ان يعاب * قد امكن الله من العدو * وانى لك مع
هذا سكون وقد * تلك * شعر *

* ما الدهر الا ساعة وتنقضي * والمرء فيها حازم او نادم *

فلئن ابقيت عليه لا يبقي عليك * ولئن نظرت اليه بعين الرحمة
فالله لا ينظر اليك * فانه رجل غبي * وبانواع المكر واصناف الخديعة عبي *
عمر الغيادر ابيك لا يتجع فيه الخير وابي * وحبك والعياذ بالله
مكانه منك * اكان يرقى لك او يصفو عنك * هيهات هذا والله محال *
فقد وقع لك مجال * فما كل اوان * يسمح بمراد الزمان * والدهر
فرص واثره غصص * فاياك ان تفوت العزمة * فتقع في الغصة
واي غصة * ولا ينفعك الندم * اذا لسعتك القدم * وتفكر فيما اقول *
واستنبط دليل هذه المسئلة من المعقول * واستبق مرفك الرفع بارفق
ترفيه * وحسن استدراجك بابتدائه حرمه * وتزكو يا اجير اخوة

كما بومن وشمكير * ولا زال ذلك الشيطان * يحسن له الرأي في قتل
السلطان * ويقول هذا الرأي النفع لك وعليك العود * كما فعل بسطام
أمير الكرد بقرايوسف لما قبض على السلطان احمد * ورجع قراياوك
عن رأيه لما أخذ عهودا * فقتل السلطان من غير امهال ولا توقف
رحمه الله * وكان قتل قرايوسف السلطان احمد بن الشيخ اويس
في عاشر شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثمانمائة والقصة مشهورة * وكان
السلطان رحمه الله كما ذكرا ولا * عالما فاضلا كريما متفضلا * محققا
في التقرير * مدققا في التحرير * قريبا من الناس * سمح كوفه
جميل الباس * رفيق الحاشية أديبا * محاظريفا لبيبا * جوادا
ممدادا * قرما مقداما * نهاب الدنيا وهابا * يهب الالوف ولا يبالي
يحب العلماء ويجالسهم * ويدني الفقراء ويكاتبهم * قد جعل يوم
الاثنين والخميس والجمعة للعلماء وحفاظ القرآن خاصة * لا يدخل
عليه معهم غيرهم في تلك الايام الخاصة * وكان قد اقلع قبل وفاته
عن جميع ما كان عليه * وتاب الى الله تعالى ورجع اليه * وله مصنفات
منها الترجيح في التلويح * وكان عنده تتبع للفضل كثير * بعد ان

في تاريخ اليميني في أخبار اليمين * السلطان محمود بن سبكتكين * وأن
هذا أحسن من ذلك أسلوبا * وأغزر يعبوبا * وأعذب مشربا *
مع أنهما ائتلفا عليها * ولا وصلت لقصر الباع اليها * ثم إن الشيخ عبد
العزيز مذ ابعد لهيب هذه النائرة * انتقل الى القاهرة * ولم يبرح
على الأيراح * ومعاقرة راح الأتراح * حتى خامرته نشأة الوجد
فصاح * وتردى من سطح عالٍ فطاح * ومات متنكسا ميتة
صاحب الصحاح * والله اعلم *

ذكر ما وقع من الفساد في الديار والدين * بعد قتل قرا يلوك
السلطان برهان الدين *

ولما قتل السلطان برهان الدين لم يكن في أولاده من يصلح للرياسة *
ويتفذ أحكام السلطنة والسياسة * فرجع قرا يلوك الى سيواس * ودعا
الى نفسه الناس * فلم يجيبوه * ولعنوه وسبوه * فاختفى عن صورهم
وعن أكدارهم * وبقي على ملوكهم وبعاندهم * فاستمد عليه التتار
فأمدوهم * واتبع طائفة منهم فنجدوهم * فكسرهم قرا يلوك فقروا *
واستنجدوا طوائفهم وكبروا * واقبلوا بالغض والقبض * وملأوا البقاع

والجنبعض * فلم يكن لقرا يلوك على جبهة قتا ليم طوق * فدخل عليهم
من تحتهم وجاءهم من فوق * وتوجه الى تيمور * وكان تحت جيشه
في اذربيجان تمور * وقتل يديه * وانتمى اليه * وجعل ينادي
الى ملك الملوك يزيد هو * كما فعل معه الامير يدكو * فحك لاقى الدبرة *
فاجابه اجابة برضيصا بامره *

ذكر مشاورة الناس من اهل سيواس انى يملكون ومن يملكون *

ثم ان اهل سيواس * والاعيان من رؤسائها والاكياس * تشاوروا
فيمن يملكون قيادهم * والى من يسلمون بلادهم * لسلطان مصر ام
لابن قرمان * ام للسلطان الغازي بايزيد بن عثمان * ثم اتفق رأيهم
السديد * على المرحوم يلدريم بايزيد * فارسلوا اليه قاصدا *
واستنهضوه اليهم واقدا * وانشدوه * وقد استنجدوه *

* شعر *

* وكم ابصرت من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختيارى *

فتوجه من ساعته اليهم * وقدم بالعساكر والجنود عليهم * ومهد القواعد
والاركان * وولى عليهم اكبر اولاده امير سليمان * وانضاف اليه

على تاريخ العتبى فى اليمين * السلطان محمود بن سبكتكين * وان من احسن من ذلك اسلوبا * واغزر يعبوبا * واعذب مشروبا * مع انى لم اقف عليها * ولا وصلت لقصر الباع اليها * ثم ان الشيخ عبد العزيز من ايعن لهيب هذه النائرة * انتقل الى القاهرة * ولم يبرح على الابراح * ومعاقرة راح الاتراح * حتى خامرته نشأة الوجد فصاح * وتردى من سطح عال فطاح * ومات منتاسرا ميتة صاحب الصحاح * والله اعلم *

ذكر ما وقع من الفساد فى الديار والدين * بعد قتل قرايلوك السلطان برهان الدين *

ولما قتل السلطان برهان الدين لم يكن فى اولاده من يصلح للرياسة * وينفذ احكام السلطنة والسياسة * فرجع قرايلوك الى سيواس * ودعا الى نفسه الناس * فلم يجيبوه * ولعنوه وسبوه * فاخذ يحاصرهم ويناكدهم * ويضيق عليهم ويعاندهم * فاستمدوا عليه التتار فامدوهم * واتت طائفة منهم فنجدوهم * فكسرهم قرايلوك ففروا * واستنجدوا طوائفهم وكروا * واقبلوا بالقبض والقضيض * وملأوا البقاع

والبعض * فلم يكن لقرا يلوك على جبهة قتاليهم طوق * فدخل عليهم
من تحتهم ونجاءهم من فوق * وتوجه الى تيمور * وكان تحرك جيشه
في اذربيجان تيمور * وقفل يديه * وانتمى اليه * وجعل يناديه
الى ملء البلاد ويدعو * كما فعل معه الامير ايدكو * فحك له في الدبرة *
فاجابه اجابة برضيها ابامرة *

ذكر مشاورة الناس من اهل سيواس الذي يملكون ومن يملكون *

ثم ان اهل سيواس * والاعيان من رؤسائها والاكياس * تشاوروا
فيمن يملكون قيادهم * والى من يسلمون بلادهم * لسلطان مصر ام
لابن قرمان * ام للسلطان الغازي بايزيد بن عثمان * ثم اتفق رأيهم
السديد * على المرحوم بادريم بايزيد * فارسلوا اليه قاصدا *
واستنهضوا اليهم واثقا * وانشدوه * وقد استنجدوه *

* شعر *

* وكم ابعدوت من حصين ولكن * عليك من الورى وقع اختيارى *
فتوجه من ساعته اليهم * وقدم بالعساكر والجنود عليهم * ومهد القواعد
والاركان * وولى عليهم اكبر اولاده امير سليمان * واضاف اليه

خمسة انفار * من امرائه الكبار * يعقوب بن اورانجس وحمزة
بن بيار وقوج علي ومصطفى ردوادار * واستمال خواطر الاهالين *
وتوجه الى ارزنجان * فهرب منها طهرتن المذكور * وقصد في انهزامه
تيمور * فاستولى ابن عثمان على مدينة ارزنجان * واخذ اموال
طهرتن وذخائره وحرمه * ومكن منهن سواسه وعاماته وخدمه *
ورجع بالاموال والحمول * واشتغل بمحاصرة استمبول *

* فصـــــل *

فنبه قرايلوك وطهرتن * من تيمور نائم الفتن * وان كان المتحرك منه
في الفساد ما سكن * حتى توجه الى مدينة البلاد * وعم فساده البلاد
والعباد * فوصلوا الى ارزنجان واردبين * ثم ارتحلوا ونزلوا مغيث بن
عاردين * فعصى عليه الملك الظاهر * لما كان ناله أو لا من طاعة
ذلك الغادر * فندم على اطلاقها اول مرة * كما سيندم يوم القيمة
ولم تنفعه الندامة والحسرة * وكان ذلك في سنة اثنين وثمانمائة *
والخلف قد وقع بين العساكر الشامية والمصرية والعساكر الى كل فئة *
وتفرقت آراؤهم ايادي سبا * وصار هواكل منهم الى دبور وشمال

وصبا * واهملوا امور الرعايا * وعطلوا من حلول الزايا *

قلت * شعر *

* من بعمل الاعذار يأمن كيدهم * مثل النوم وراءه مستيقظ *

قلت * شعر *

* والليث ليس له دليل سائر * نحو الذي يبغي كنوم الحارس *

ثم قتل هو وتنم ملك الامراء بالشام المحروس * اعيان الامراء والاعلام
الرؤس * في شهر رمضان من العام المذكور * وبيان هذه الامور
في كتب التواريخ مسطور *

قلت * شعر *

* واذا العرين تضرعت آساده * عوت الثعالب فيه امنة الرد *

ذكر تصدى تلك الفدار * حيوا من وما يليها من هذه الديار *

ثم ان تجوز وجه هنان الياس * نحو مدينة حيواس * وبها كما ذكر امير
سليمان * بن بايزيد بن مراد بن اورخان بن عثمان * فارسل تخبره باه
بهذا الامر المهول * ويستنجده وهو اذ ذاك محاصر استنبول * فلم يطق ان يصل
اليه بنفسه * لاحتياجه الى المدد ولحفظ الثغور منه * فاستخلف من جنده

أهل المنعة * وحصن المدينة والقلعة * واستعد للقتال واستد
للحصار * وفرق رؤس أمرائه على أبواب الأسوار * وجهز تيمور
من جيشه العيون * ليتحقق ما عنده مظنون * ولما كشفت جيوشه
لأمير سليمان زينها * فلما ان رأى عينها * عزم على التوجه الى أبيه *
واشترط مع أمرائه وذويه * انهم يحفظون له البلد * وبما يجهزلهم
العدد والعدد * فلم يمنعهم إلا الموافقة * والتخلف وعدم المرافقة *
فرام لنفسه الخلاص * وأفلت وله حراص * فوصل اليها تيمور بتلك
السيول الهامية * سابع عشر ذي الحجة سنة اثنين وثمانمائة *
ولما حل بميدان رحله الشومي * قال انا فاتح هذه المدينة في ثمانية
عشر يوما * ثم اقام في محاصرتها علامات العشر * وفتحها في اليوم الثامن
عشر * بعد ما عشى فيها وعاث * وذلك يوم الخميس خامس المحرم
سنة ثلاث * وبعد ان حلف للمقاتلة ان لا يريق دمهم * وانه يرعى
ذممهم ويحفظ حرمهم وحرمهم * ولما فرغ من المقاتلة * واستكن
من المقاتلة * ربطهم في الوثاق مربا * وحفر لهم في الارض مربا * والقاهم
أحياء في تلك الاخاديد * كما ألقي في قليب بدر الصناديد * وعدد

ثم ألقي في تلك الحفر * كان ثلاثة آلاف نفر * ثم أطلق عنان النهب * واتبع النهب الأسر والحراب * وكانت هذه المدينة من أطرف الأمصار * وفي أحسن الأقطار * ذات مصانع مكينة * وأماكن حصينة * ومآثر مشهودة * ومشاهد للخير معهودة * مأوى فارقي * وموئل لامزجة موافق * وسكانها من أحشم الخلائق يتعاونون التوقير والاحتشام * ويتعاطون آداب التأدب والاحترام * وهي متاخمة لثلاث قوم * الشام وأذربيجان والروم * وأما الآن فقد خلت بها الغير * وتفرق أهلها شذر مذر * وانحطت مواسم نورها فهي عارية على عروشها *

ذكر انصرام صوارم ذلك الملاء الطام *

من حسام الغرام على فرق مماليك الشام *

ولما استنقى هيوامن لحمها ورقيها * واستوفى ما خضد ورمها * فوق سهام الانتقام الى نحو مماليك الشام * بجنود إن قيل كالجراد المنتشر * فالجراد كان من صوانها * او كالسيل المنهمر * فسيل الدماء جار من نزفها وخرصانها * او كالفراش المبثوث فالفراش تحترق عند تطايرها سهامها * او كالقطر الهامي فالدم تفصيل عند انعقادها قتامها *

رجال توران * وابطال ایران * ونمور ترکستان * وببر الخیلان *
وصقور الدهشت والخطا * ونمور المغول وکواسر الختا * وافاعی خجند
وثعابین ایلاکان * وضراغم خوارزم وجوارح جرجان * وعقبان
جغانیان * وصوارم حصار شادمان * وفوارس نارس وامود فراسان *
وضباع الجبل وذیوث مازندران * وسباع الجبال وتماسیح رستمدار
وطالقان * واصل قبائل غوز وکزمان * وطلس ازرباب طیالسة
اصبهان * وذئاب الری وغزنی وقندهار * وافیال الهند والسند
وملتان * وکماش ولایات البلور * وشیران شواهق الغور * وعقارب
شهرزور * وجرارات عسکر مکرم وجندی سابور *

* شعر *

* قوم اذا الشر بدا ناجذیه لهم * طاروا الیه زرافات ووحدانا *
مع ما اضیف الیهم من اعیان الخدم * وفرا علی التراکمة والاوباش
واللحم * وکلاب النهاب من رماع العرب وهمج العجم * وعمالة
عباد الاوثان وانجاس مجوس الامم * مالا یکتنفه بوادن * ولا یحیط
به دفتر حسبان * وبالجملة فانه الدجال ومعه یاجوج وماجوج *

والرياح الدقيقة البرج فتوجه النصر قاتلا والشدائد زائلا فوافاه
والفتح رسمًا بعده * ومشيئة الله تعالى سابقة * وإرادة الله عز وجل
في تدبير العباد والبلاد سابقة * فبلغ خبره البلاد الشامية * واتصل
ذلك بالديار المصرية * فورد مرسوم شريف الى نائب الشام * وسائر
النواب والحكام * وعزاة الدين وكماة الاسلام * ان يتوجهوا الى
حلب * ويقيموا عليه الجلب * ويجتهدوا في دفعه * ويتعاونوا على
منعه * فتجهز نائب الشام سيدي مودون مع النواب والعسكر * ورحلوا
الى حلب سنة ثلث وثمانمائة في شهر صفر * ووصل تيمور الى بهسنا *
فنهب ضواحيها ولم يبق بها سنا * وحاصر قلعتها ثلاثة وعشرين ليلة *
فاخذها ولكن كف عنها للطيفة ربانية تبورة وويله * ثم وطأ مدينة
ملطية فاباداها * ودك اطوادها * ثم حل بعمه المشوم ببقاعة الروم *
وكان لائبها الناصري * محمد بن موسى بن شهري * وسنذكر ما جرى له معه
شمعا * وكيف اجتهد في مجاهدته وسعى * فاقام بها يوما * فلم
ينتج له رومًا * ولم يحتمل لها بجعا ورياح * وقال هي امون على من
نها له على التجاريح * وذلك انه لما رآها من بعيد * قال فيها ما قاله

فمن لم يصل الى العناد * والحق انه لا زاما * قال ان الله لا بناما *
انه خرما لنفسه وانطفا ما * ثم انجاب ذلك السحاب * الى عين تاب *
وكان فانبها اركما من * زجلا شديد الباس * فحصنها واعتقد *
وباشر القتال بنفسه واعتقد * ثم خرج فهرب الى حلب *
فلم يزل وراءه الطلب *

ذكر ما ارتحل من كتاب وشنيع خطاب * الى النواب
بحلب وهو في عين تاب *

فارتحل الى النواب * قاصدا وهو في عين تاب * وصحبته مرسوم *
وانواع التفخيم موسوم * وباصناف التهويل مرقوم * ومن جملته
ان يطيعوا اوامره * ويكفوا عن القتال والمشاجرة * ويخطبوا باسم
محمود خان * وباسم الامير الكبير تيمور كوركان * ويرسلوا اليه
الملابيش التي كان عنده فخان * واقتبضه التركمان * وارتحله الى مصر
لحضرة السلطان * والملابيش من ازرج بنت اخت تيمور * وكان جاء
الى الشام قبل وقوع هذه الشرور * وبما بين ذلك امور * كان لها بطون
بعد ولها ظهور * وكان اول لاني مقرونا مخصوصا * ونال حظوا وبوصا *

ثم صار معززا مكرما * معظما مقدما * وكان تيمور عليه مغضبا *
وجعل ذلك حجة للمعاداة وسببا * ثم شرع يقول * وموتجول *
في ميدان مملكة الرسالة ويصول * انه مولى بسياسة الانام * وان
من نصبه مولى الخليفة والامام * وانه ينبغي ان يكون مولى المتبوع
والمطاع * وما سواه من ملوك الارض له خدام واتباع * وانى لغيره
رتبة الرياسة * وكيف تعرف الجراكسة طرق السياسة * مع كثير
من التهويل * والحشو والتطويل * وكان يعلم ان اجابتهم سؤاله محال *
وانه طلب منهم ما لا ينال * ولكن قصد بذلك قرع باب الجدال *
وتركيب الحجة عليهم في فتح حجرات القتال * فلم يجيبوه بالمقال *
ولكنهم قضوا مرادهم بالفعال * ولم يلتفتوا سيد يسودون لما يقول * وضرب
على رؤس الاشهاد عنق الرسول * واستعدوا للمبارزة * واستمدوا للمناجزة

ذكر ما تشاوروا عليه النواب * وهم في حلب وتيمور في عين تاب *

ثم ان النواب والامراء * ورؤس الاجناد والكبراء * تشاوروا كيف
يكافحونه * وفي اي معاقل يناطحونه * فقال بعضهم عند ما رأوه
لا بد ان نحصن البلد * ونكون على اسوارها بالرصد * نحرس بروج

أفلاكها * حراسة السماء بأملاكها * فإن رأينا حواليها من شيا طير
العدو واحدا * أرسلنا عليه من رجوم السهام ونجوم المكاحل شهابا
رصدا * وقال آخر هذا عين الحصر * وعلامة العجز والكسر * بل نحلق
حواليها * ونمنع العدو أن يصل إليها * ويكون ذلك أقطع للمجال *
وأشرح للمجال * ثم ذكر كل من أولئك * ما عنده في ذلك *
وحلطوا غث القول بسمينه * وساقوا هجان الرأي مع مجينه * فقال
الملك المؤيد * شيخ الخاصكي وكان ذا رأي مسدد * وهو إذ ذاك
نائب طرابلس يا معشر الأصحاب * وأسود الحرب وفوارس الضراب *
اعلموا أن أمركم خطر * وعدوكم داهر غير * داهية دهياء *
معضلة عضلاء * جندة ثقيل * وفكرة وبيل * وصابه عريض طويل *
فخذوا حذركم * واعملوا في دفعه بحسن الحيلة فكركم * فإن صائبة
الأفكار * يفعل ما لا يفعله الصارم البتار * ومثاورة الأذكياء *
مقدحة الفكر * ومباحثة العلماء * مقدمة النظر * إن هذا البحر
ما يحمله بر * وجيشه عدد كالقطر والذر * وهو وإن كان كالوابل الصيب *
لكنه أعمى لا نه في بلادنا غريب * فعندي الرأي الصائب * أن نحصن

المدينة من كل جانب * وتكون خارجها مجتمعين في جانب واحد *
وكلنا له مراقب مراصد * ثم نحفر حولنا خنادق * ونجعل أشوارها
البياذق والبوارق * ونطير الى الآفاق أجنحة البطائق * الى الأعراب
والأكراد * والتراكمة ومعاشر البلاد * فيتسلطون عليه
من الجوانب * ويثب عليه كل راجل وراكب * ويصير ما بين
قاتل وناهب * وخائف وهارب * فان أقام وأتى له ذلك ففي
شر مقام * وان تقدم الينا صافحناه بمواضي الأسنة وأكف الدرق
وأنامل السهام * وان رجع وهو المرام رجع بخيبة * واقيمت لنا عند
سلطاننا الحرمة والهيبة * وان كان بسلطانه علينا عرج * قلنا نحمل
الله سلطان وفي سلطاننا فرج * وأقل الأشياء أن نمادة ونتحرز من جنده *
فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده * وهذا الرأي الأسد * بعينه
ان رأي شاه منصورا الأسد * فقال تمرداش وهو نائب المدينة * ما هذه
الآراء مكينة ولا هذه الأفكار رصينة * بل المناضلة خير من المطاولة *
والمناجزة * في هذه المواطن قبل المحاجزة * ومقام المنازلة * لا تجدي
فيه المغازلة * ولكل مقام مقال * ولكل مجال جدال * وهذا طير

في قفص * وصيد مقتنص * فاغتنموا فيه الفرص * وناوشوه بالحرب *
وسابقوه بالطعن والضرب * لئلا يتوهم فينا الخور * ويستنشق من وكره
ريحنا عرف الظفر * فاجمعوا امركم واعجلوا * ولا تنازعوا فتفشلوا *
وانهضوا وثابروا * واصبروا وصابروا * فانتم بحمد الله اهل النجدة *
واولوا البأس والشدة * وكل منكم في فئة المناضلة مغن ومختار * وعلمه
في افاضة دماء الاعداء مناره * وله في ذلك كفاية * ولعدايته نهاية *
وغيره له بداية * وهو لجمع الاسلام كنز واب وجامع كاب وواقاية *
فتحوا لسنة سيوفكم الى تكليم الروس فهي في لفظها كافية شافية *
وتصرف اسنان اسنتكم في مضاعفة كل ذي فعل معتل فهي في تصريفه
عليها شافية كافية * فان كسرناه فزنا بالمنال * وكفى الله المؤمنين
القتال * وتلك من الله معونة * وقد كفينا عساكر المصريين المؤنة *
وكان ذلك اطى لحرمتنا * واقوى في ورود النصر لشوتنا * واذكى
لريح نصرنا وازكى * وابكى لعينه السخينة واشكى * وان كانت والعياذ
بالله الاخرى * فلا علينا اذا بذلنا مجهودا واقمنا عذرا * ومحل ومنا
يدرك ثارنا * ويحمي آثارنا * فتوكلوا على الله العزيز الجبار *

واستعد والملاقاة هؤلاء الاشرار * واذا لقيتموهم زحفا فلا تولوهم
الادبار * ولا زال تمرداش * يحسن لهم هذا الرأي اللاش * حتى اجمعوا
عليه * واتفقوا على الخروج اليه * لانه كان صاحب الملك * وعلى كلامه
المعول والمعتمد * وكان تمرداش قد خالف الجمهور * ووافق الناظر
تيمور * وهذه كانت عادته * وعلى المراوغة جبلت طينته * فانه كان
كالشاة العائرة * والمرأة العاهرة العائرة * اذا التقى عسكران فلا تكاد
تثبت على حال مما جبنا منه ومكرا * بل يعير الى هذا مرة والى هذا اخرى *
مع انه كان صورة بلا معنى * ولفظا بلا فحوى * فاعتمد تيمور عليه *
وفوض الامور اليه * وكذلك عساكر الشام * وجنود الاسلام *
ثم حصنوا المدينة واوصدوا ابوابها * وضيقوا شوارعها وربابها *
ووكلوا بكل حارة ومحلة اصحابها * وفتحوا الابواب التي تقابل
ملتقاه * وهي باب النصر وباب الفرج وباب لقناه *

ذكر ما صنعه من صواعق البيض والبلب على العساكر الشامية عند وصوله الى حلب *

ثم ان تيمور ثقل الركاب * فوصل في سبعة ايام الى حلب من عين تاب *

فحمل بذلك الخميس * تاسع شهر الربيع الاول يوم الخميس * وبرز من ذلك
العسكر * طائفة نحوا من الفي نفر * فتقدم لهم من الامير الشامية *
نحو من ثلثمائة * فقتلوهم بالصفاح * وشلوهم بالرماح * فبددوهم
وطردوهم * وحدروهم وشردوهم * ثم اصبحوا يوم الجمعة فبرز
من عسكره نحو من خمسة آلاف * الى مصاف القفاف * فتقدم اليهم
طائفة اخرى * ارسالا وتترى * فالتحم بينهم النطاح * واشتبكت
بين الطائفتين انامل الرماح * فازدحموا واقتحموا * واشتدوا والتحموا *
ولا زالت اقلام الخط * في الواح الصدور تخط * والقضبان الصوارم لرؤس
تلك الاقلام والاعلام تقط * ومشاريط النبال لمداميل الدماميل تبط *
والارض من اثقال اجبال القتال تئط * حتى سجى ليلا الظلام والقتام
وغطشا * فتراجعوا وقد اعطى الله النصر لمن يشا * وجرى من دماء العدو
مع فرق نهران * وفقد من العساكر الاسلامية نفران * ثم اصبحوا يوم
السبت حادي عشره وقد تعبت الجنود الشامية * والعساكر الاسلامية
السلطانية * بالعدة البالغة * والاهبة السايغة * والخيول المسومة *
والرماح المقومة * والاعلام المعلمة * ولم يفوزا بتلك الصناديد *

هوى شتّى من النصر والتأييد * فتحوا قصده * وقصد واردة وصدره *
واقبلت عساكره والسعد الميمون طائره * والقضاء موازره والقدر
مظاهره * بالجنود المذكورة * والجيوش المعهودة المنصورة *
تؤمهم الاقيال * واقيال القتال * واذا به قد اضمر لهم الويل *
وعبّى عساكره تحت جنح الليل * وبثهم فيهم وارسل عليهم وقابلهم بحد متيم
وشغلهم بأوائلهم * واحاط الباقون بهم فاتوهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم * فمشى عليهم مشي الموسى
على الشعر * وسعى سعي الدلو باطلي الزرع الاخضر * وكان هذا الجولان *
على قرية حيلان * ولما امتمش امر النامس وماش * وجاشت الهوشة
والامتماش * وتهارشت الاسود وانتطحت الكباش * فرّت الميمنة
وكان رأسها تمرداش * فانكسر العسكر وطاش * واخذ الابطال من الدهشة
الارتعاش * وغلبتهم الحيرة والانبهار * فلم يلبثوا ولا ساعة من نهار *
ثم ولوا الدبر * وصارت الاقلام ترمي وجوههم الزبر * واستقبلوا امامهم
بثوا ثبون * وعسكره وراءهم يتخاطبون *

يعني ما قلت * شعر *

* جعلنا ظهورنا القوم فى الحرب أوجها * رقصنا بها ثغرا ومينا وحاجبا *
فقصدوا المدينة من الباب المفتوح * وهم مابين مهشوم ومجروح *
والسيوف تشقهم * والرماح تدقهم * وقد سالت بين ما بهم الاباطح *
وفتر من سائر لحمهم كل كاسر وجارح * فوصلوا الى باب المدينة وانكسروا *
وصحوا فيه يدا واحدة وتكردسوا * ولا زال يدوس من بعضهم بعضا *
حتى صارت العتبة العليا من الباب ارضا * فانسدت الابواب بالقتلى *
ولم يمكن الدخول منها اصلا * فتشتتوا فى البلاد * وتفرقوا فى المهامه
والاطواد * وكسر باب انطاكية المماليك الاغتام * وخرجوا منه
قاصدين بلاد الشام * فوصل خبرهم الى دمشق فى اسبع صورة * وحكوا
فى كيفية هذه الوقعة اشنع سيرة * وصعد النواب الى قلعة حلب وتحصنوا *
فضاقت عليهم الارض بما رحبت فاستأمنوا * ونزلوا بواسطة تمرداش
اليه * وقد قبل كل منهم من الحجوة يده * ثم انه مشى على هينته *
مع وقاره ورزانته وسكينته * ودخل حلب * ونال منها ما طلب *
وفاز بالروح والسلب * ولما نزل النواب اليه * قبض على سيدي
مرون وشيخ على الخاصكي وابن تمرداش فخلع عليه * وقبض

على تولبغا الشمساني نائب صفد * وولي عمر بن الطحان نائب غزة جعل
الكل في صفد * وشرع في اختلاس الاموال * وضبط الاثقال
والاثقال * وقد ملأت القلوب مواجس هيبته * وانتشر في الآفاق
شرار صولته * ثم انه لم يكتف بما ازهقه من النفوس * حتى بنى الميادين
من الرؤس * وسبب ذلك ان ذا قرابة البريد الذي ارسله الى
حلب * وضرب نائب الشام عنقه وسلبه السلب * ذكر تيمور بقصته *
واراد القود من اهل حلب لذي قرابته * فاجاب سؤاله فمكنه * فهمن
يختار منهم ان يفعل فيه ما استحسنه * فقتل طائفة منهم وبنى
من رؤسهم كذا وكذا ميذنة *

زيادة ايضاح لهذه المحنة * مما نقلته من تاريخ ابن الشحنة *

قال اخبرني الحافظ الخوارزمي ان من كتب في الديوان من عساكر
تيمور ثمانمائة الف نفس ومنه ان تيمور قصد قلعة المسلمين وكان
بابها الناصري محمد بن موسى بن شهري وانه حصر عليه وكان يخرج
للغارات ثم قال ما نصه نحروه وكان قد ابدع بجيائع تمرلنك وطراشته
وقتل من بعضها وقتل منهم جماعة وارسل رؤسهم الى حلب

وكسرتهما فكان جهزه اليه اقبح كسرة حتى رمى غالب جماعته بالتقليم
في الغراة وجهز تمرلنك كتابه الى المشار اليه ونصه يقول فيه اني خرجت
من اقصى بلاد سمرقند ولم يقف احد امامي وما زر ملوك البلاد حضروا
الي وانت سلطت على جمائعي من يشوش عليهم ويقتل من ظفر به
منهم والآن فقد مشينا عليك بعساكرنا فان اشفقت على نفسك ورعيتك
فاحضر الينا لترى من الرحمة والشفقة ما لا مزيد عليه والا نزلنا عليك
وخربنا بلدك وقد قال الله تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون فاستعد لما يحيط بك
ان ابيت الحضور * فامسك المشار اليه الرسول وحبسه ولم يلتفت
الى كلام تمرلنك فمشى اليه اوائل عشرة فبرز اليهم المشار اليه وقاتلهم
وكسرهم وفي اليوم الثاني حضر تمرلنك على قلعة المسلمين وبرز اليه
المشار اليه وقاتله قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة رأى فيها منه
تمرلنك شدة حزم ورجع عن محاربته واخذ في محادعته وملاطفته
وطلب منه الصلح وان يرسل اليه خيلا ومالا لاجل خرسه لعلم بخدعه منه
وتنازل معه الى ان طلب منه جانبا فلم يعطه وعاد خائبا واخذ

المقار اليه في اواخره قتلا ونهبا واسرا كل ذلك وباب قلعته مفتوح لم يغلقه يوما واحدا وانشد فيه لسان الحال *

* شعر *

* هذا الامير الذي صحت مناقبه * ليث الوغى عمت الدنيا مفاخره *

* ولى تمرلنك مكسورا اوائله * منه مرارا ومن عورا اواخره *

وكان حصول تلك السعادة للمشار اليه دون غيره من الملوك واصحاب الحصون لما كان فيه من العلم والديانة والاخلاص والصيانة ولكونه من السلالة الطاهرة العمرية رضي الله عنها * ولما كان يوم الخميس تاسع ربيع الاول نازل تمرلنك حلب وكان نائبها المقر السيفي تمرداش وقد حضرت اليه عساكر البلاد الشامية وعسكر دمشق مع نائبها سيدي محمد دون وعسكر طرابلس مع نائبها المقر السيفي شيخ الخاصكي وعسكر حماة مع نائبها المقر السيفي دقماق وعسكر صفد وغيرها فاختلفت آراؤهم فمن قائل ادخلوا المدينة وقاتلوا من الاسوار ومن قائل اخرجوا خارج البلد تلقاء العدو بالخيام فلما رأى المقر السيفي اختلافهم اخذ لامثل حلب في اخلائها والتوجه حيث شاء وكان نعم الرأي *

فلم يوافقوه على ذلك وضربوا خيامهم ظاهر البلد تلقاء العدو
وحضر قاصد تمرلنك فقتله نائب دمشق قبل ان يسمع كلامه ويوم
الجمعة حصل بين الاطراف تناوش يسير فلما كان يوم السبت حادي
عشر شهر الربيع الاول زحف تمرلنك بجيوشه وقبيلته فولى المسلمون
نحو المدينة وازدحموا في الابواب ومات منهم خلق عظيم والعدو
وراءهم يقتل ويأسر واخذ تمرلنك حلب عنوة بالسيف وصعد نوابه
المملكة وخواص النائب الى القلعة وكان اهل حلب قد جعلوا غالب
اموالهم فيها وفي يوم الثلثاء رابع عشر شهر ربيع الاول اخذ القلعة
بالامان والايمان التي ليس معها ايمان وفي ثاني يوم صعد اليها
وآخر النهار طلب علماءها وقضاتها فحضرنا اليه ثم اوقفنا ساعة
ثم امر بجلوسنا وطلب من معه من اهل العلم فقال لا بيرم عندنا
وهو المولى عبد الجبار بن العلامة نعمان الدين الحنفي والد من العلماء
المشهورين بسمرقند قل لهم اني سائلهم عن مسئلة سألت عنها علماء
سمرقند وبخارا وهراة وسائر البلاد التي افتتحتها فلم يفصحوا من جواب
فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبني الا اعلمكم وافضلكم وليعرف ما بينكم فاني

فقالت العلماء ولي بهم اختصاص وألفة ولي في اليمن كتب قد بعث
وكان بلغنا عنه انه يتعنت العلماء في الاسئلة ويجعل ذلك سببا لقتلهم
او تغليبهم فقال القاضي شرف الدين موسى الانصاري الشافعي عنيي هذا
شيخنا ومدرس هذه البلاد ومفتيها سلوه والله المستعان فقال لي عبد الجبار
سلطاننا يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا ام قتيلكم
فوجم الجميع وقلنا في انفسنا هذا الذي بلغنا عنه من التعنت وسكت
القوم ففتح الله علي بجواب سريع بديع وقلت هذا سؤال سئل عنه سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا مجيب بما اجاب به سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي صاحبي القاضي شرف الدين
موسى الانصاري بعد ان انقضى الحادثة والله العظيم لما قلت هذا
سؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا محدثك
قلت هذا عالم قد اختل عقله وهو معذور فان هذا سؤال لا يمكن الجواب
عنه في هذا المقام ووقع في نفس عبد الجبار مثل ذلك والقى تمر لتلك
الليلة سمعه وبصره وقال لعبد الجبار يتحدر من كلامي كيف سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذا وكيف اجاب قلت وجاء اعرابي

ان رسوله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل
حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فاينا في سبيل الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا
فهو الشهيد ثم قال تمولنك خوب خوب وقال عبد الجبار ما احسن
ما قلت وانفتح بابه المؤانسة وقال اني رجل نصف آدمي وقد
اخذت بلاد كذا وكذا وعدد ما ترى ممالك العجم والعراق
والهند وسائر بلاد التتار فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك
عن هذه الامة ولا تقتل احدا فقال والله اني لا اقتل احدا قصدا
وانما انتم قتلتم انفسكم في الابواب والله لا اقتل احد منكم وانتم آمنون
على انفسكم واموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة مني فطمع كل
من الفقهاء الحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسة
والقاضي شرف الدين ينهاهم ويقول لهم يا لله اسكتوا ليجاوبني
هذا الرجل فانه يعرف ما يقول وكان آخر ما سأل عنه ما تقولون في طي
ومعاوية ويزيد فامر القاضي شرف الدين وكان الى جانبي ان اعرف
كيف تجاوبه فانه شيعي فلم افرغ من سماع كلامه الا وقد قال القاضي

علم الدين القضي المالكي كلا ما معناه ان الكل مجتهدون فغضب
من ذلك غضبا شديدا وقال علي على الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وانتم
تلعبون تبع لاهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فاخذت في
ملاطفته والاعتذار عن المالكي بانه اجاب بشيء وجده في كتاب لا يعرف
معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط واخذ عبد الجبار يسأل مني
ومن القاضي شرف الدين فقال عني هذا عالم مليح وعن شرف الدين
هذا رجل فصيح فسألني تمر لنك عن عمري فقلت مولدي سنة تسع
واربعين وسبع مائة وقد بلغت الآن اربعا وخمسين سنة فقال للقاضي
شرف الدين وانت كم عمرك فقال انا اكبر منه بسنة فقال تمر لنك
انتم في عمر ولادي انا عمري اليوم بلغ خمسا وسبعين سنة وحضرت
صلوة المغرب واقيمت الصلوة وامنا عبد الجبار وصلى تمر لنك الى جانبي
قائما يركع ويسجد * ثم تفرقنا وفي اليوم الثاني عد كل من في القلعة
واخذ جميع ما كان فيها من الاموال والاقمشة والامتعة ما لا يحصى *
اخبرني بعض كتابه انه لم يكن اخذ من مدينة قط ما اخذ من هذه
القلعة وعوقب طالب المسلمين بانواع من العقوبة وحبسوا بالقلعة

ما بين مقيد ومزنجر ومسجون ومرمي عليه ونزل تمرلنك من القلعة
واقام بدار النيابة وصنع وليمة على زي المغل ووقف سائر الملوك والنواب في
خدمته وادار عليهم كؤوس الخمر والمسلمون في عقاب وعذاب
وسبي وقتل واسر وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم في هدم وحرق
وتخريب ونبش الى آخر شهر الربيع الاول * ثم طلبني ورفيقي القاضي
شرف الدين واعاد السؤال عن علي ومعاوية فقلت له لاشك ان الحق
كان مع علي وليس معاوية من الخلفاء فانه صح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقد تمت بعلي
فقال تمرلنك قل علي على الحق ومعاوية ظالم قلت قال صاحب الهداية
يجوز تقليد القضاء من ولاة الجور فانا كثيرا من الصحابة والتابعين
تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع علي في نوبته فانسرلك
وطلب الامراء الذين عينهم للاقامة بحلب وقال ان هذين الرجلين
نزول عندكم بحلب فاحسنوا اليهما والى ازامهما واضحابهما ومن
ينضم اليهما ولا تمكنوا احدا من ايذيتهما وارتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما
في القلعة بل اجعلوا اقامتهما في المدرسة يعني السلطانية التي انشاها

القلعة نفعلوا ما أوصاهم به إلا أنهم لم ينزلونا من القلعة وقال لنا الذي
ولي الحكم منهم بحلب وكان يدعى الأمير موسى بن حاجي طغاي
التي أخاف عليكما والذي نبهته من مياق كلام تمرلنك أنه إذا أمر بشيء
فعل بسرعة ولا يحيد عنه وإذا أمر بخير فالأمر فيه لمن وليه *
وفي أول يوم من الربيع الآخر برزنا الى ظاهر البلد متوجهين نحو دمشق
وثاني يوم ارسل يطلب علماء البلد فروحنا اليه والمسلمون في أمر مريب
وقطع رؤس فقلنا ما الخبر فقيل إن تمرلنك ارسل يطلب من عسكره رؤسا
من المسلمين على عادته التي كان يفعلها في البلاد التي اخذها فلما
وصلنا اليه جاءنا شخص من علمائه يقال له المولى عمر فسألناه عن طلبنا
فقال يريد بمشورتكم في قتل نائب دمشق الذي قتل رسوله فقلت
في نفسي رؤس المسلمين تقطع وتحضر اليه بغير استفتاء وهو حلف ان لا يقتل
منا أحدا قصدا فعاد اليه ونحن ننظره وبين يديه لحم سليق في طبق
يأكل منه فتكلم معه يسيرا ثم جاء الينا شخص بشيء من ذلك اللحم فلم
نفرغ من أكله إلا وزعجة قائمة وتمرلنك صوته عال وساق شخص هكذا
وآخر هكذا وجاءنا أمير يعتذر ويقول إن سلطاننا لم يأمر بما فعلوه

رُؤُسِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا أَمَرَ بِقَطْعِ رُؤُسِ الْقَتْلَى وَأَنْ يُجْعَلَ مِنْهَا قُبَّةٌ إِقَامَةً
لِحُرْمَتِهِ عَلَى جَارِي عَادَتِهِ فَفَهِمُوا مِنْهُ غَيْرَ مَا أَرَادَ وَإِنَّهُ قَالَ أَطْلِقُكُمْ
فَامْضُوا حَيْثُ شِئْتُمْ * وَرَكِبَ تَمُرْلِنْكُ مِنْ سَاعَتِهِ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ دِمَشْقَ
فَعُدْنَا إِلَى الْقَلْعَةِ وَرَأَيْنَا الْمَصْلَحَةَ فِي الْإِقَامَةِ بِهَا وَأَخَذَ الْأَمِيرُ مُوسَى
أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْنَا وَقَبُولِ شَفَاعَتِنَا وَتَفَقُّدِ أَحْوَالِنَا مُدَّةَ
إِقَامَتِهِ بِحَلَبَ وَقَلْعَتِهَا وَتَجَهَّزْنَا الْأَخْبَارُ أَنَّ سُلْطَانَ الْمُسْلِمِينَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ
فَرَجٍ قَدْ نَزَلَ إِلَى دِمَشْقَ وَإِنَّهُ عَسْكَرَ تَمُرْلِنْكُ وَمَرَّةً تَجِيءُ بِالْعَكْسِ إِلَى أَنِ
انْجَلَتِ الْقَضِيَّةُ عَنْ تَوَجُّهِ السُّلْطَانِ إِلَى مِصْرَ بَعْدَ أَنْ قَاتَلَ مَعَ تَمُرْلِنْكَ
قِتَالًا عَظِيمًا اشْتَرَفَ تَمُرْلِنْكُ مِنْهُ عَلَى الْكَسْرِ وَالْهَزِيمَةِ وَإِنَّمَا حَصَلَ مِنْ بَعْضِ
أُمَرَائِهِ خِيَانَةٌ كَانَ ذَلِكَ سَبَبَ تَوَجُّهِهِ آخِذًا بِالْحَزْمِ وَدَخَلَ تَمُرْلِنْكُ إِلَى
دِمَشْقَ وَنَهَبَهَا وَأَحْرَقَهَا وَفَعَلَ فِيهَا فَوْقَ مَا فَعَلَ بِحَلَبَ وَلَمْ يَدْخُلْ طَرَابُلُسَ
بَلْ أَحْضَرَ لَهُ مِنْهَا مَالٌ وَلَا جَاءَ زَرْ فَلَسْطِينَ وَعَادَ نَحْوَ حَلَبَ رَاجِعًا طَالِبًا
بِلَادَهُ * وَلَمَّا كَانَ سَابِعَ عَشَرَ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ وَصَلَ تَمُرْلِنْكُ
عَائِدًا مِنَ الشَّامِ إِلَى الْجَبُولِ غَرْبِيَّ حَلَبَ وَلَمْ يَدْخُلْهَا بَلْ أَمَرَ الْمُقِيمِينَ
بِهَا مِنْ جِهَتِهِ بِتَخْرِيبِهَا وَإِحْرَاقِ الْمَدِينَةِ فَفَعَلُوا وَطَلَبَنِي الْأَمِيرُ

عزالدين وكان من اكبر امرائه وقال ان الامير رسم باطلاقك واطلاق
من معك فاطلب من شئت وكثر لا روح معكم الى مشهد الحسين واقيم
عندكم حتى لا يبقى من عسكرنا احد وكان القاضي شرف الدين
لا يفارقني فطلبنا باقي القضاة واجتمع معنا نحو من الفي مسلم وتوجهنا
الى مشهد الحسين صحبة المشار اليه واقمنا ننظر الى النار وهي تضرم
في ارجائها وبعد ثلاثة ايام لم يبق بها احد فنزلنا اليها فلم نر بها احدا
فاستوحشنا وما قدرنا على الاقامة بها من النتن والوحشة
ولم نقدر على السلوك في الطرقات من ذلك *

* شعر *

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر *
وكانت تواب بلاد الشام معه مأسورين وانفلتوا اولا باول وباتوا
يسيرون بالبطن معه في قبة يلبغا واستقر في نيابة دمشق بنكري وردي
والله اعلم * هذا ما نقلته من كلام ابن الشحنة *

كما وجدته *

تم كرر ورود هذا الخبر الذي اقلق * ووصول امتعة يلبغا الى داره *

وعبد القصار الى جلق *

فورد من حلب استنبوغا الدوادار * والفتح الماهر المذكور بعيد القصار * وقالا معاشر المسلمين * الفرار مما لا يطاق من نصر المرسلين * من يقتل رطن جنا * فليطلب لنفسه طريق النجا * ومن اطاق ان يشعر ذيله فلا يبيتن في دمشق ليله * ولا يغالط نفسه بالمداهنه * فليس الخبر كالمعاينه * فتفرقت الآراء * واختلفت الاهواء * وماج امر الناس موجا * وتفرقوا كما مودأ بهم فوجا فوجا * فبعض الناس انتصح * وجهز امره وانتزح * وبعضهم كابر وآصر * وكثر انيابه لاستنبوغا وعبد القصار وقر * وارادوا رجم هذين الناصحين * وان يسقوهما كاس حنين * وقالوا انما اردتما بذلك تمديد الناس وتشريدهم * واجلاءهم من اوطانهم وتجريدهم * وتفريق كلمتهم وتمزيق جلدتهم * والا فلا من حاصل * والسلطان نصب اقواسه * والنواب في حلب كانوا شرذمة قليله * ولم يتم لهم سعة الفكر والحيله * مع انه حصل من بعضهم مخامرة * ولم يوجد من الباقين مناصحة ومظاهرة * ولم يكن لهم رأس * فلاتأخذه رأفة في فك المسئلة والقياس *

وأما عساكر مصر فانهم كملوا العدة * وساعفوا العدة * وفيهم للمسلمين فرج بعد الشدة * فقالا نحن بعد الله والله من شره علمنا * وما شهدنا الا بما علمنا * وكل منا انصح عما أدى اليه اجتهاده وأبان * وبالله انه في نصيحته المسلمين النذير العريان * وقد نصحنا كم ان كنتم مفلحين * ولكن لا تحبون الناصحين * واستمروا الناس في الترديد والتشاغب * والتفرق والتبديد والتشاغب * فبعضهم توجه نحو الاماكن القديمة * وتوجه بعض الى الديار المصرية * وبعض تشبث باذيال الجزر العاصية * وتحصن آخرون بالاماكن الغامضة القاصية *

ذكر خروج السلطان الملك الناصر * من القاهرة بجنود الاسلام والعساكر *

ثم ان السلطان * خرج من غيرتوان * وتوجه بالعساكر والاستعداد التام * الى جهة بلاد الشام * فلما بلغ الناس ذلك تمكن جاشهم * وزال استيحاشهم * وردد طالب من كان برح منهم * وانفرج الكرب والضيق عنهم * واما اولوا العزم * وذوو الرأي السديد والحزم * فلم يلتفتوا الى عزم السلطان * بل طلبوا انفسهم الامان * وانتظروا

ما يتولد من حادثات الزمان * وكأن اناملك الدهر الدائر * كتبت

لهم على مرآة الخاطر ما انشده الشاعر * شعر *

* الا انما الايام ابناء واحد * ومذ الليالي كلها اخوات *

* فلا تظلمن من عند يوم وليلة * خلاف الذي مرت به السنوات *

وقلت * شعر *

ان اختلفت ما في الزمان الآتي * فقس على الماضي من الاوقات

* فصل *

ولما تجز تيمورا مرحلب * ضبط اثقالها وما اخذ منها من مال وسلب *

ووضعه في القلعه * ووكل به بعض امرآئه من ذوي الشجاعة والمنعه *

وهو الامير موسى بن حاجي طغاي * وكان ذا عزم شديد ورأى *

وتوجه بالك البحر الطام * غرة شهر الربيع الآخر الى جهة الشام *

فوصل الى حماه * ونهب ما حوت يداه * ولم يحتفل بامر نهب واسير *

ولا باسراع في مسير * بل سار رويدا * وهو يكيد كيدا وهم يكيدون كيدا *

* حكاية *

رأيت حين توجهت الى بلاد الروم في اوائل شهر الربيع الاول سنة

تسع وثلاثين وثمانمائة عندرحيلنا الى حماة بالجامع النوري بها
من الجانب الشرقي على حائطه القبلي نقشا على رخامة بالفارسي
ما ترجمته * وسبب تحريره * هذا التعطير * هو ان الله تعالى يسر لنا
فتح البلاد * حتى انتهى استخلاصنا الممالك الى العراق وبغداد *
فجاورنا سلطان مصر ثم راسلناه وبعثنا اليه قصادنا بانواع التحف
والهدايا فقتل قصادنا من غير موجب لذلك وكان قصدنا بذلك
ان تنعقد المودة بين الجانبين * وتأكد الصداقة من الطرفين *
ثم بعد ذلك بمدة قبض بغض التراكمة على اناس من جهتنا وارسلهم
الى سلطان مصر برقوق فسجنهم وضيق عليهم فلزم من هذا انا توجهنا
لاستخلاص متعلقينا من ايدي مخالفينا واتفق لذلك نزولنا بحماة
في العشرين من شهر الربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة *

* فصل *

ثم وصل الى حمص فلم يتعرض بها لتشتيت وتمديد * ووهبها السيد
خالد بن الوليد *

قلت بديها * شعر *

* ألا لا تجاوز سوء التخير * بين جنا وكن جا رمم في القبور *
* ألم تر حمص وسكانها * نجوا من بعاز بلا يا ثمور *
* لأنهم جاوروا خالدا * ومن جاور الاتقيا لا يبور *
وخرج اليه شخص من آحاد الناس * يدعى عمر بن الرواس *
فاستجلب خاطره * وكأنه قدم اليه تقدمة فاخرة * فولاه امور
البلد * وركن اليه واعتمد * وولى قضاء تلك البلاد * رئيسا يسمى
شمس الدين بن الحداد * ونادى بالامان * للقاصي والداني *
وقابعوا بها وتشاروا * وفي اعتماد زيح الامن لم يتحاوروا * ثم ان نائب
الشام ضعف معه وما ت على قلبه يلبغا * ونائب طرابلس هرب منه
والخلاص ابتغى * فوصل الى مدينته * واستقر في ولايته * فاضطرم
غضبا * واستشاط لهبا * واشتعل غيظه * وقتل كل من وكله بحفظه *
واسعر بهم سقر * وكانوا ستة عشر * واما عمر الرواس فانه داراه ومارى *
وهرب منه في قارا * واستمر ملاء الدين التونبغا العثماني نائب صفد *
وزين الدين نائب غزة وغيرهما معه في صفد * ثم سار وما ارتبك *
حتى نزل على بعلبك * فخرجوا اليه وحملوا عليه * وترامى الطائفتين

الصلح بين يديه * فلم يلتفت الى هذا المقال * وارسل فيهم جوارح
النهب والاستيصال * ثم ارتحل مجريا ذلك البحر الزخار * والسيل
الديار والطوفان الثرثار * حتى اشرف على دمشق من قبة سيار *
ووصلت العساكر المصرية * والجنود الاسلامية * وقد ملأوا الفضاء *
واشرق الكون منهم واضاء * فيا لق بها يهابها لحب قلب من نوى
الخلاف فالقه * وصواعق سيوفها في عقاص كل عقص ماحقه *
واسنة رماحها لرتق سماء الارواح من ارض الاشباح فاتقه *
وقد طلبوا الاطلاب * وحزبوا الاحزاب * وعبوا الميمنة والميسرة *
ورتبوا المقدمة والمؤخرة * وسووا القلب والجناح * وملأوا البطاح
والبراح * وساروا بالمقانب المكتبة * والكتائب المقنبة * والكواكب
المكوكبة * والمراكب الموكبة * والمراتب المقربة * والمقربات
المرتبة * والسلاهب المجنبة * والنجائب التي هي طول اكل اللجم
مستلهمة * وفي كل كتيبة من الاسود الضراغم * ومن النسور
القشاعم *

* قلت * شعر *

* ورُبَّ ذي عَجَبٍ كالطَّود ذي حَنَقٍ * كأنَّهُ البَحْرُ في أثنائهِ غاباتُ *

* بَحْرانِ في كُلِّ موجٍ منهما أسَدٌ * يُلاعِبُ الموتَ في كَفَّيهِ حَيّاتُ *

* كُلٌّ يَرى العَيْنُ مَعْنًى من صُورَتِهِ * عِندَ النِّزالِ وإن يَنزِلْ فَشَظْفاتُ *

* إن يَسْرِ تَلْقَ السُّمَا في الأرضِ دائِرَةً * أو سارَ تَعْقِدُ أرضًا منه غَبَراتُ *

وقد تَنَكَّبُوا هَنايا المَنايا وتَقَلَّدُوا سُيُوفَ الحُتُوفِ واعتَقَلُوا القَنَا وابلَ النَّوامِلِ * وأثبَتُوا حَيْثُ نَبَتُوا وكأنَّهُم خُلِقُوا من كَوامِلِ الصَّوامِلِ *

* قلت * شعر *

* كأنَّ الجَوْثَوبَ لازَرْدِي * يُزَرْكِشُ نَسْجَهُ قَصَبُ الرِّماحِ *

فإن عَقَدَ القَتامُ عليه ليلاً * أرَتْكَ صِفاحُهُ لَمْعَ الصَّباحِ *

* كأنَّ نُجُومَهُ النُّشّابُ تَرْمِي * شَياطِينَ الكِفاحِ لَدَى النِّطاحِ *

ولا زالَتْ أفواجُ هذِهِ الأمواجِ * على هذا المِنهاجِ مُتَلاطِمَهْ * والفَجُّ هذا البَحرِ العَجّاجِ * تَحْتَ العَجاجِ مُتَصادِمَهْ * وكُلٌّ يُنادِي بطَريقِ المَفْهُومِ * وما مِنّا إلّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ * فوَصَلَتْ خَيلانُ الوَغى * إلى تُخُومِ يلمغا * يومَ الأحَدِ العاشِرِ * من شَهْرِ الرَّبيعِ الآخِرِ * عامَ ثَلاثَةٍ وثَمانمائةٍ من الهِجرَةِ * فنَزَلَ كُلٌّ من العَساكِرِ يَمْنَةً ويَسْرَةً * واستَقَرَّتِ العَساكِرُ

والأمراء الإسلامية * في البيوت والمعاقل * ونزلت الجنود *
التتار به * غربي دمشق من داريا والغوطة وما يلي تلك الأماكن *
ودخل بعض أثقال السلطان الى البلد * وتحصنت القلعة والمدينة
بالسلاح والعدد * ثم أخذ كل من الجيشين حذره * ونجز للمقابلة
والمقاتلة أمره * وحفروا الخنادق * وسد كل على الآخر أفواه المضائق *
وشرعوا في المهاوشة والمناوشة * والمهارشة والمعانشة * ثم أمر السلطان
العساكر * بالبروز من المدينة الى الظاهر * وجعل يخرج من المدينة
رؤساء أعيانها * وتنحاز في المقاتلة الى سلطانها * والأطفال الصغار
والرجال * يجأرون الى الجبال * وينادون بحرقة * كل ليلة في الأزقة *
يا الله يا رحمن * انصر مولانا السلطان * والناس في اضطراب
وحركات * يستنزلون النصر والبركات * ويستغيثون الليل والنهار *
يا مجاهدون الأسوار * واستشهد من رؤساء البلد في تلك الأيام *
قاضي القضاة برهان الدين الشافعي المالكي الحاكم بالشام * وشلت
يد قاضي القضاة شرف الدين يحيى المالكي بضربة حسام * وجعلوا
يأتون بمن يظفرون به من العدو فيقتلونه * وبما غنموا منهم من ناطق

وما مِنْ فيشهرونه *

ذكروا قعة وقعت * ومعركة صدمت * لو انها نفعت *

ثم في بعض الايام * تقدم من اولئك الاغتام * نحو من عشرة آلاف *

وزحفوا الى ميدان المصاف * فنهض لهم من العساكر الشامية *

نحو من خمس مائة * ثم اتبعهم الامير استنباي في نحو من ثلاث مائة *

* شعر *

* اسودٌ اذا لاقوا ظباءً اذا عقوا * جمالٌ اذا ارسوا بحارٌ اذا سروا *

* شموسٌ اذا الاحوال رُدّوا انجلوا * رياحٌ اذا هبوا غمامٌ اذا هموا *

* صقورٌ اذا انقضوا نسورٌ اذا سموا * رعودٌ اذا صاحوا صواعقٌ ان رموا *

مع كلٍّ منهم خطارٌ تعجز قدود الملاح لخطراته * وبتارٌ يتعلم سفك

الدماء من لحظاته * وجنيةٌ تضاهي حاجبه * وهمامٌ في تشبهها

بأجفانه صائبه * وترك ليّن اللمس * اذا تغطى به رأيت البدر على

شمس * وعليه خودٌ * كأنها من لمعان وجنته ماخوذة * او من بوارق

طلعته مغلوذة * اذا نظر الطرف اليها يأخذ الابصار * يكاد سنا برقها

يذهب بالابصار * ولبوس اشته لابسه * وصار ملابسه ظاهره حرير

ناعم كبشرته * وباطنه حديد كقلبه في قسوته * وقد امتطوا الفحول *
من نجائب الخيول * كأن بدورتلك الجموع * مع الرماح المنتهية
الاسنة عروس تجلى تحت الغموع * وتوجهوا الى حومة
الوغى * وتلا قوا في وادٍ خلف قبة يلبغا *

* فصـــــل *

ولما رأت هذه الاسود تلك الذئاب والكلاب * كانوا كالمؤمنين وقد رأوا
الاحزاب * فبان منهم صحيح الضرب وعليله * وقالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله * فاحاطوا تلك بهؤلاء لكثرة الغلبه * وأداروا لقرضهم
على هذه البحور الدائرة المجتلبه * وحين صاروا في خبن هذه الدائرة
كالعروض * اشتغلوا بالضرب وتقطيع الدائرة بالحرب العضوض *
فاولا ما اضمروا لهم في ذلك الزحف * قطف الرأس وخبل العقل وقطع
الكف * فسلموا بالرمح الطويل عقلهم * وثلموا بالرشق المديد
شكلهم * وبتروا بالعضب البعيط وافرهم * وشتروا بالسهم السريع
كاملهم * فخذلوهم وقصموهم * وخرموهم وشعثوهم وثرموهم *
وهتموهم ووقصوهم وعصموهم * وعقصوهم وخزلوهم ونقصوهم *

فردّوا صدورهم على الأعجاز * وسدّوا على حقيقة الخلاص منهم المجاز * فانكشفوا عنهم وهم ما بين مشطور ومقطوع ومخذوف * ومجزوم ومنهوك وموقوف * ورجع استنباء المشار اليه وقد اقتضب بحربه المتدارك خسيفهم * واجتث بضربه المتقارب المتماسك ثقيلهم وخفيفهم * وتسبيغ سوابغهم بالنصر مرفل * وبالتمكين التام مذيل * وبيت دائرتهم المتفقة آمن من الخلل * وعروضه وضربه سالم من الزحاف والعلل *

ذكر ما افتعله سلطان حسين * ابن اخت تيمور من المكر والمين *

ثم ان سلطان حسين وهو ابن اخت تيمور * اظهر انه خالف على خاله وجاء الى السلطان وفي باطنه امور * وكان شابا ذا شجاعة * وعنده طيش ورقاعة * واظهروا بقدومه الفرح واستشعروا النصر والمرح * وكان في رأس حمة شعر فازالوه * وخلعوا عليه وفي زيهم اظهروه *

* فصل *

ثم ان تيمور اشاع انه خار وتتعتع * فرحل قليلا ورجع القهقرى

وتكعكع * كل ذلك من مكائده * وحبائل مصائده * وبيان ذلك انه بلغه ان الخلاف واقع بين العساكر المصرية وانهم سيغدرون * فيغدرونه اذ ذاك فاظهر الخون * وشيع انه راحل ليثبتهم * وعن الفرار يثبطهم * فلما عزموا على الفرار * لم يبن لهم ثبات ولا قرار *

ذكر ما نجم من النفاق * بين العساكر الاسلامية وعدم الاتفاق *

وكان اتابك العساكر * وكافل الملك الناصر * الامير الكبير باش بيك وتحت يده الاكابر والاصاغر * والجند وان كان مددهم كثيرا * والجيش وان تراآى عددهم غزيرا * لكن كان كل منهم اميرا * ولم يكن شئ منهم سوى الرأس صغيرا * فتشتت آراؤهم * وتصارمت اهواؤهم * وانتقلت اشعارهم من الدائرة المؤتلفة * الى الدائرة المختلفة * ونقل كل منهم عن وزن بيته الى اعاريض * واخذ في عرض صاحبه بالتعاريض * وظهرت تلك الساعة آيات الرحمن * في اختلاف الالسنة والالوان * وصاروا في رعاية الرعية كالذئب والضبع * وسلطوا على مرعى مزيلها النمر الغضوب والسبع * ولحق في سند هذا الحديث الاصاغر بالاكابر * والاسافل بالاعالي

والأوائل بالأواخر * وصاروا كما قال الشاعر *

* شعر *

* تفرقت غنمي يوما فقلت لها * يا رب سلط عليها الذئب والضبعا *
وتوجه منهم رؤس الى القاهرة * تاركا كل منهم قرته وناصرة * وصدقوا
تيمور في نفيه عنهم معرفة السياسة * والدربة في سلوك طرائق الرياسة *

* فصل *

ولما علم الغابرون * ما فعله السائرون * لم يسعهم غير تشمير الذيل *
واتباعهم تحت جنح الليل * ومن تخلف عن قوم * اوا خذته سنة
او نوم * وقع في الشرك * وهوى الى اسفل الدرك * وكان الناس
في الليل والنهار * ملازمين الاقامة على الاسوار * وكل قد فرح
وابتهج * وتيقن انه حصل له من سلطانه فرج * ففي بعض الليالي *
صعد الناس الى مكان عالي * واذا بماكن مخيم السلطان * قد ملئت
من النيران * ولم يعرف احد ما الخبر * غير ان الدنيا ملئت بالشر
والضرر * واصبحوا وقد خلت الديار * ولم يبق في قبة يلبغا نافخ نار *
فخشعت اصواتهم وتكسرت حركاتهم * فجعلوا بيتها فتون وفيما بينهم

بثنها فتون * وماج الشر واضطرب * وقال الناس السلطان هرب *
فانقصم ظهر الناس * وايقنوا حلول البأس * وتفاقمت الهموم *
وتعاظمت الغموم * وتقطعت بهم الاسباب * وشمل الخلائق انواع
العذاب * وضاقت الحيل كالصدور * وتخبطت الاوامر والامور *

* فصل *

ثم ان تيمور رحمد ربه * ورحل من مكانه ونزل القبه * والقى عصاه *
ونام مستريحا على قفاه * ونادى بمعنى ما قلت * * شعر *
* الحمد لله نلنا ما نؤمله * والضد ادبر واما مول قد حصلا *
وحفر الخنادق حوله * وبث في الاطراف رجله وخيله * وارسل
الطلب * وراء من هرب * وصار كلما اتي باحد من اجناد الرجال *
امر بالقائه بين يدي تلك الافيال * فتفعل معه الافيال في تلك
الفلاة * ما تفعله المواشي يوم القيامة في مانع الزكوة *

* فصل *

واما السلطان فانه لم يصبه من احد ضيم * لانه نشز نشوز الغيم *
وانصاب انصياب الايم * وتوجه على وادي التيم * فانتشرت شياطين

تيمور في الارض * و ملأت الطول والعرض * و وصلت طوائفهم
الى اطراف البلاد وضواحيها * وعامة القرى ونواحيها * و جعلوا
من كل حدب ينسلون في مشارق الارض ومغاربها التي باركَ الله فيها *
و تقدموا الى المدينة * وكانت كما ذكر بالامنة حصينة * وبانواع
الاستعداد مكينة * ممدودة الحجاب * مغلقة الابواب * فتمنع اهلها
عليهم * ولم يسلموا اليهم * رجاء ان ينشوا من النجدة الارج *
او يمن الله عليهم بعد الشدة بالفرج * فاستمروا على ذلك نحوا من يومين *
ثم استيقنوا من رجائهم الخيبة ومن ظنهم المين * فكان قدوم السلطان
وذهابه بالعساكر * كما قال الشاعر *

كما ابرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها اقشعت وتجلت *

ذكر خروج الاعيان * بعد ذهاب السلطان * وطلبهم من تيمور الامان *

ولما خانتهم الظنون * وعلموا انه حل بهم ريب المنون * اجتمع
من المدينة الكبراء * والموجود من الاعيان والرؤساء * وهم قاضي القضاة
محيي الدين محمود بن العز الحنفي وولده قاضي القضاة شهاب الدين
وقاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي وقاضي القضاة

شمس الدين محمد الحنبلي النابلسي والقاضي ناصر الدين محمد بن
أبي الطيب كاتب السر والقاضي شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير
وكان منصب الوزارة اذ ذاك له ابهة ما في الجملة والقاضي شهاب الدين
البجيائي الشافعي والقاضي شهاب الدين ابراهيم بن القوشة الحنفي
نائب الحكم رحمهم الله فاما القاضي الشافعي وهو علاء الدين ابن
أبي البقاء فانه هرب مع السلطان وقاضي القضاة المالكي وهو برهان
الدين الشاذلي فانه استشهد كما ذكر فخرج هؤلاء الاعيان *
وطلبوا منه الامان * بعد ما وقع المشاورة منهم والاتفاق * ونظمت
كلمتهم في سلك الوفاق *

* فصل *

ولما اقلع السلطان بفلك عساكره المشحون * وقع في بحر العساكر التيمورية
قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون * وكان من اعلام الاعيان *
وممن قدم مع السلطان * فلما قتل السلطان وانفرك * كأنه كان غافلا
فوقع في الهرك * وكان نازلا في المدرسة العادلية * فتوجه هؤلاء
الاعيان اليه في تلك بيرم في القضية * فوافق فكرة فكرهم * فملكوه

في ذلك امرهم * وما وسعهم * الا استصحابه معهم * وكان ما لكي المذهب والمنظر * اصغي الرواية والمخبر * فتوجه منهم بعمامة خفيفة * وهيئة ظريفة * وبرنس كهو رقيق الحاشية * يشبه من دامس الليل الناشية * فقدموه بين يديهم * ورضوا باقواله وافعاله لهم وعليهم * وحين دخلوا عليه * وقفوا بين يديه * واستمروا واقفين * وجلس خائفين * حتى سمح بجلوسهم * وتسكين نفوسهم * ثم مشى اليهم * ومرضاحكا عليهم * وجعل يراقب احوالهم * ويسبر بمسبار عقله اقوالهم وافعالهم * ولما رأى شكل ابن خلدون لشكلهم مبائنا * قال هذا الرجل ليس من هاهنا * فانفتح للمقال مجال * فبسط لسانه وسنذكر ما قال * ثم طوّوا بساط الكلام * ونشروا بساط الطعام * فكوموا تلالا من اللحم السليق * ووضعوا امام كل ما يليق * وبعض تعفف عن ذلك تنزها * وبعض تشاغل عن الاكل بالحديث لها * وبعض مد يده واكل * وما جبن في مصاف الالتهام ولا نكل * والى الاكل ارشدهم * وناداهم وانشدهم *

* شعر *

* كلوا آكل من ان عاش اخبرا عنه * وان مات يلق الله وهو بطين *

وكان من جملة الاكلين * تابعي القضاة ولي الدين * وكل ذلك وتيمور

يرمقهم * وعينه الخزراء تمرقهم * وكان ابن خلدون ايضا

يصوب نحو تيمور الحدق * فاذا نظر اليه اطرق * واذا ولى عنه

رمق * ثم نادى وقال * بصوت عال * يا مولانا الامير * الحمد لله العلي

الكبير * لقد شرفت بحضور ملوك الانام * واحييت بتوارخي

ما ماتت لهم من الايام * ورأيت من ملوك العرب فلانا وفلانا *

وحضرت كذا وكذا اسلطانا * وشهدت مشارق الارض ومغاربها *

وخاطبت في كل بقعة اميرها وناثمها * ولكن لله المنة اذا متدبي زماني *

ومن الله علي بان احياني * حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة *

والملك شريعة السلطنة على الطريقة * فان كان طعام الملوك يؤكل

لدفع التلف * فطعام مولانا الامير يؤكل لذلك ولنيل الفخر والشرف *

فاهتز تيمور عجبا * وكاد يرقص طربا * واقبل بوجهه الخطاب اليه *

وعول في ذلك دون الكل عليه * وسأله عن ملوك العرب واخبارها *

وايام دولتها وآثارها * فقص عليه من ذلك ما خدع عقله وخلبه *

وجلب لبه وعقله * وكان تيمور في سير الملوك والامم امه * وبالتاريخ شرقا وغربا راسه * وسنذكر لهذه المعاني * بديع بيان *

* فصل *

وبينما هم يوما قاعدون في حضرة ذلك البصير * اذا بالقاضي صدر الدين المناوي في ايديهم اسير * وكان قد تبع السلطان في الهرب * فادركه في ميعلون الطلب * فقبضوا عليه * واحضروه بين يديه * واذا هو بعمامة كالبرج * وازدان كالخرج * فتخطى الرقاب * وجلس من غير اذن فوق الاصحاب * فاستشاط تيمور غضبا * وملأ المجلس لهبا * وانتفخ سحره * وسجر غيظا نهره * وشخر ونخر ومخر بحوحته وزخر * وامر طائفة من المعتدين * بالتنكيل بالقاضي صدر الدين * فسحبوه سحب الكلاب * ومزقوا ما عليه من ثياب * واوسعوه سبا وشتما * واشبعوه ركلا ولكما * ثم امرهم بنشدين امره * وتجديد كسره * وتزاد في الاساءة اليه * وتضاعف الكسرات على رغم التصريفيين عليه * فاخرج اخراج الظالم * يوم يولي مدبرا ما له من دون الله من عاصم * ثم تراجع تيمور الى ما كان فيه * من ترتيب غوائله ودواهيه *

فالبس كلا من هؤلاء الاعيان خلعه * واقامه عنك وفي عزة ورفعه *
ثم رد هم منشرحي الصدور * في دعة وسرور * وفي غاية
حبور * وامور تسر * فساروا * وقد حاروا *

* قلت * شعر *

* كالهدي زينة المهدي وعظمه * وعن قريب لضيف الموت اطعمه *
وشرط لهم ولذويهم الامان * على ان يدفعوا اليه اموال السلطان *
وماله وللامراء من اثقال * وتعلقات واموال * ودواب ومواش * ومماليك
وحواش * ففعلوا ما به امر * ورفعوا اليه ما بطن من ذلك
وما ظهر * فاما القلعة فانها استعدت للحصار * وكان نائبها يدعى
ازدمر * فحصنها * وبالاهبة الكاملة مكنها * وانتظر من السلطان
نجدة * او مانعا ربانيا يفرج عنه الشدة * فلم يلتفت تيمور في اول
الامر اليها * ولا احتفل بها ولا عرج عليها * بل صرف همه الى تحصيل
الاموال * وترتيب الاحمال بالاثقال * فلما حصل الثقل والى
نزائنه انتقل * طرح على المدينة اموال الامان * واستعان على
تخليصها بهؤلاء الاعيان * واقام عليهم دار بينه وكتبته * واهل

الضبط والحرص من مباشريه وحسبته * وفوض ذلك الى كفاية الله داد *
اسعد اركان دولته ومن عليه الاعتماد * وهو خوسيف الدين المار ذكره *
في اول الكتاب لامته * واقام معهم كل جبار عنيد ومن نشأ في حجر الفظاظة
ورضع ثدي ظلمه * وناداهم بالامان والاطمئنان * وان لا يبغي
انسان على انسان * فهدأ بعض الجفتاي يده الى غارة * بعد ما سمعوا
هذا النداء واشتهاره * فبلغ ذلك تيمور * فامر بصلبهم في مكان
مشهور * فصلبوهم في الحريريين * برامي سوق البزوزيين *
ففرح الناس بهذه الفعله * واملوا خيره وعدله * وفتحوا من ابواب
المدينة الباب الصغير * وشرعوا يحررون امر المدينة على التقدير
والتقطير * فوزعوا هذه الاموال على الحارات * وقنادها هل
الظلم والعدوان من القريب والغريب يا للتارات * وجعلوا دار الذهب
مكان المستخلص * وطفقوا يلقون الناس في ذلك المقنص * وتسلط بعض
الناس على بعض * واحتطادا رايب الارض بكلاب الارض *
وكان فصل الخريف كجيش مصر قد قفل * وفصل الشتاء بزمهريره
كجند تيمور بشير انه على العالم قد نزل * فانتقل الى القصر الابلق *

ثم الى بيت الامير بخاص وامر بالقصر ان يهدم ويحرق * ودخل الى المدينة من الباب الصغير * في جمع كثير * وصلى الجمعة في جامع بني اميه * وقدم الحنفية على الشافعية * وخطب به قاضي القضاة محب الدين محمود بن العز الحنفي المذكور * وجرى ما يطول شرحه من امور وشرور * ووقع بين عبد الجبار بن النعمان الخوارزمي المعتزلي * وبين علماء الشام لاسيما قاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي * مناظرات ومناقشات * ومباحثات ومراجعات * وهو في ذلك كترجمانه * يخاطبهم في جميع ذلك بلسانه * فمنها وقائع علي ومعاويه * وما مضى بينهم في تلك القرون الخاليه * ومنها امور يزيد وما يزيد * وقتله الحسين السعيد الشهيد * وان ذلك ظلم وفسق بلا نكر * ومن استحله فهو واقع في الكفر * ولا شك ان ذلك الفعل الحرام * كان بمظاهرة اهل الشام * فان كانوا مستحلين فهم كفار * وان كانوا غير مستحلين فهم عصاة وبغاة واشرار * وان الحاضرين * على مذهب الغابرين * فحصل منهم في ذلك انواع الاجوبه * فمنها ما رد * ومنها ما اعجبه * الى ان اكلمني كاتب السر

واجاد * واصاب فيما قال لو افاد * اطال الله البقاء مولانا الامير *
اما انا فنسبي متصل بعمر وعثمان * وان جدي الاعلى كان من اعيان
ذلك الزمان * وحضر تلك الوقائع * وخاض ما تيك المعامع * وكان
من رجال الحق * وابطال الصدق * ومما تواتر من فعله * وتوفيقه
الشيء في محله * انه توصل الى رامس سيدنا الحسين * ونزمه
عما حصل له من ابتذال وشين * ثم نظفه وغسله * وعظمه وقبله
وطيبه وبجله * ووراه في تربه * وعد ذلك عند الله تعالى
من افضل قربه * فلذلك ايها الغمام الصيب * كنوه بابي الطيب *
وعلى كل تقدير * ايها الامير * فتلك امة قد خلت * وغموم غيوم انجلت *
وبما جرعت انقضت * وبما اذاقت مرسا وحلت * وفتن ازاحنا الله
اذ ازاحنا عنها * ودماء طهر الله سيوفنا منها * واما الساعه *
فاعتقادنا اعتقاد اهل السنة والجماعه * فلما سمع هذا الكلام قال يا لله
العجب * وما سميتم بابي الطيب الا لهذا السبب * قال نعم
ويشهد لي بذلك القاصي والداني * وانا محمد بن عمر بن محمد بن ابي
القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن ابي الطيب العمري العثماني * فقال

لك المعذرة * ياطيب الاسلاف * لولا اني ظاهر العذر لحسنك على ما تقي
والاكتاف * ولكن ستر ما افعله معك ومع اصحابك من التكريم
والالطاف * ثم انه ودعهم * وبالتعظيم والاحترام شيعهم * ومنها انه
سألهم كنايه * سؤال اضرار ونكايه * فقال ما اعلى الرتب * درجة
العلم او درجة النسب * فاذكروا فصدقوه وفهموا * لكن عن رد الجواب
وجموا * وعلم كل منهم انه قد ابتلي * فابتدر بالجواب القاضي
شمس الدين النابلسي الحنبلي * وقال درجة العلم اعلى من درجة
النسب * لرتبتها عند الخالق والمخلوق اسنى الرتب * والعجب
للفاضل * يقدم على العجان الجاهل * والعرف المنيف * اولى
للامامة من العبد الشريف * والدليل في هذا جلي * وهو اجماع
الصحابة على تقديم ابي بكر على علي * وقد اجمعوا على ان ابا بكر
اعلمهم * واثبتهم قدما في الاسلام واقدمهم * واثبات هذه الدلالة *
من قول صاحب الرسالة * لا تجتمع امتي على ضلالة * ثم اخذ في نزع
ثيابه * مصيخا لتمور وما يصدر من جوابه * فتفكك ازراره * وقال لنفسه
انما انت عاره * وكاس الموت لابد من شربها * فتراءى ما بين بعد ما

وقربها * والموت على الشهادة * من افضل العبادة * واحسن اقوال
من اعتقد انه الى الله صائر * كلمة حق عند سلطان جائر * فسأل
ما يفعل * هذا المهمل * فقال يا مولانا الجليل * ان فرق عساكرك
كانم بني اسرائيل * وفيهم من ابتدع بدعا * وتقطعوا في مذهبهم
قطعا * وفرقوا دينهم وكانوا شيعا * ولا شك ان مجالس حضرتك تنقل
وعقائل مباحثها تحل الصدور فتعقل * واذا ثبت هذا الكلام عني *
ووعاه احد غيري * خصوصا من ادعى موالاة علي * ويسعى
في رفضه ابا بكر بالرافضي * وتحقق مني يقيني * وانه لانا صبي يقيني *
فانه يقتلني جهارا * ويريق دمي نهارا * واذا كان كذلك فانا
استعد لهذه السعادة * اختم احكام القضاء بالشهادة * فقال لله هذا
ما افصحه * واجرأه في الكلام واوقحه * ثم نظر الى القوم * وقال

لا يدخلن هذا محلي بعد اليوم

فصل

وهذا الرجل يعني عبد الجبار كان عالما تبحورا امامه * ومن يخوض
في دماء المسلمين اقدامه * وكان عالما فاضلا * فقيها كاملا * بحاثا محققا *

اصوليا جدليا مدققا * وابو حنيفة النعمان * في عصره كان * وهو
في فروع من اعلم اهل الزمان * حتى كان يقال له النعمان الثاني *
وكان من القائلين بعدم الرؤية في الاخرى * فاعمى الله تعالى
بصره كبصيرته في الدنيا * واكثر علماء عصره بما وراء النهر قرأ عليه
الفروع و نقل عنه مسائل المشروع * ولا خلاف في الفروع
بين اهل السنة واهل الاعتزال * وانما اختلافهم في اصول الدين
في مسائل معدودة سلكوا فيها سبيل الضلال *

* فصل *

وتصدى لاستخلاص الاموال من اهل الشام * كل غشوم ظلام وكفور
حرام * وكان في قلة وفاقه * كصدقة بن الحارثي وابن المحدث
وعبد الملك بن التكريتي المنبوز بسماقه * وغيرهم من نظرائهم *
من عواقب الظلم وابنائهم * مع حضور اكابر المدينة واعيانها *
الماردكرهم ورؤساء قطانها * فانه لم يمكنهم في ذلك ان يتخلفوا *
ولا يتقاعسوا لحظة ولا يتوقفوا * وحضور ذوي وجه وحسابه *
وضابطي امور خزائنه وكتابه * ومنهم خواجه مسعود السناني *

ومولانا نصير الدين الطغاني * كل ذلك في دار الذهب وهو مكان مشهور * ونزل لقه داد داخل الباب الصغير في دار ابن مشكور * وجمع كل من في قلبه من احد ضغينه * او شحنة دفينه * او غل او حسد * او حقد او نكد * يغمز على اخوته اولئك الظلمة الغلاظ * والزبانية الشداد الغلاظ *

* شعر *

لا يسألون اخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا *

بل بادني اشارة * واقل عبارة * يمنون على ارض وجود ذلك المسكين من جبال النكال قصورا شواهق * وينشئون على حد الحق ذا تمن سماء العذاب سحاب عقاب ترعد عليه صواعق * وتبرق له من الدمار والبوار بوارق *

* فصل *

ثم انه صار في هذه البلدة * يحصن القلعة ويعد لها ما استطاع من عدة * وامر ان يبنى مقابلتها بناء يعلوها * ليصعدوا عليه فيهدموها * فجمعوا الاخشاب والاحطاب وعموها * وصبوا فوقها الاحجار والتراب

دكوفا * وذلك من جهتي الشام والغرب * ثم علوا عليه وناوشوها
القتال والضرب * وفوض امر الحصار * لأمير من امرائه الكبار *
يدعى جهان شاه * فتكفل بذلك وعاناه * ونصب عليها المجانيق *
ونقب تحتها وعلقها بالتعاليق * وكان فيها من المقاتلة * فئة
غير عاطلة * امثلهم شهاب الدين الزردكاش الدمشقي *
وشهاب الدين احمد الزردكاش الحلبي * فابليا في عسكره بلاء
حسنا * وكان على جيشه كلما فاء الى فنائهم وباء مصيبة وفنا * فاصلا
من جيشه بالاخراق * وارعاد المدافع والابراق * ما فاتت العد *
وتبدد عن دائرة الحصن * ولكنه لما احاط بها من بحار تخوم سيل
عرم سائلها * وامطر عليها من سهام غمام رماته وصواعق بوارق
كماته صيب وابلها * اتاها العذاب من فوقها ومن تحتها وعن ايمانها
وعن شمائلها * وكلت عن الجاذبة والمنابذة ايدي مقاتلها * فطلبوا
الامان * ونزلوا اليه من غير توان * وكل هذا الامر المهول والقضاء
العجب * في اواخر شهر الربيع الآخر وجمادين وشهر رجب * ولكن
ما نال من القلعة رومة * الا بعد محاصرتها ثلاثة واربعين يوما *

وصار في هذه المدة يتطلب الافاضل * واصحاب الحرف والصنائع وارباب الفضائل * ونسج الحريريون له قباء بالحرير والذهب * ليس له نظير فاذا هو شيء عجب * وبنى في مقابر الباب الصغير قبتين متلاصقتين على تربة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم * وامر بجمع العبيد الزنج واعتنى بجمعهم اكثر من غيرهم وقدم *

ذكر ما صنعه بعض الاكياس من الناس * خوفا من ان يحل به الباس * ووقى وقيا بنفائسه النفوس والانفاس *

وكان في صفد * تاجر من اهل البلد * احد الرؤساء والتجار * يدعى علاء الدين وينسب الى ذوادار * كانه تقلد منصب له خدمة في السلطان * فولاه حجابة ذلك المكان * فلما توجه النواب الى حلب * والعادة ان ينوب عن نائب البلدة في غيبته من حجب * ناب عن نائبها التونبغا العثماني * حاجبها علاء الدين الذوادار * فغرق في انهر ذلك الطوفان * كل النواب من جملتهم العثماني وابن الطحان * وما سلم منهم من مات وفر من فر * واعتبرني قيد الاسرا لتونبغا وعمر * فلما قدم تيمور الشام * وحل بها منه ما يحل من قضاة السوء باموال الايتام *

مع كل متولٍ في بلاد * يفعل ما أدى اليه الاجتهاد * فبعض حصن
بإكنه * وبعض مكن كمائنه * وطائفة استنجزت للفرار * وفرقة استوفزت
للفرار * وقوم سالموا وساكنوا * وهادنوا وهادنوا * ففكر علاء الدين
المذكور وقدر * وتأمل في خلاص صاحبه وبلده وتبصر * وكان
من أنباء الناس * وعنده ذوق الأكياس * واستشار مصيب عقله في ذلك
واستنهضه * فقال ذاره بما معك من مال واترك هرب الفرار ونفقه *
وما كنت به إذ قال له كل مداراة عن العرض ستره وصدقه * وكان ذا مال
ممدود * فقال ما ادخرت الدنانير الصفر والدراهم البيض إلا للأيام
السود * فطلب من تيمور الرياضه * وارادان يجس اولا بحجاملته
مخاضه * فعالج هذا الامر علاج النطس المريض * وبادر بالمهادنة
وحال الجريض دون القريض * وارسل الى تيمور اخناسا من ماله
الطويل العريض * واستمال خاطره * واستدعى اوامره * ثم اردفها
باضعافها * واضعف خواصرها باردافها * فشكر تيمور له صنعه *
وزاده ذلك عنده منزلة ورفعه * وارسل اليه مرسوم امان * وان
يعامل هو واهل بلده بالمجاملة والاحسان * فليؤمن روعهم * وليسكن

جنسهم ونوعهم * ولتؤنس وحشتهم * ولتذهب دهشتهم * بحيث انهم يتبايعون ويتشارون * والى معاملتهم من عساكره يتجارون * وان استطال احد من اجناده * ولو انه من اخوته واولاده * فليقابله بالمنع والانكار * والضرب والاشهار * وصار يطلب منه ما اراده * فيرسله اليه بزياده * وكلما زاد فيما يقترحه عليه من نقد وجنس طلبا * زاد علاء الدين لذلك نشاطا وطربا * ومن جملة ما اقترح عليه في ذلك المقبض * حمل بصل ابيض * بناء على ان ذلك لا يوجد * في الشام بأسرها فضلا عن صفد * ففي الحال وجد من ذلك ثلاثة احمال فارسلها اليه كما هي * وكان ذلك من الفضل الالهي * حتى احبه * وتمنى قربه * وقال فيه معنى *

ما قلت * شعر *

* داريت وقتك واحتميت ببذل ما لك يا بشر *
* لو كان مثلك آخر * في الشام ما سميت بشر *

وتوجه طوائف من العسكر اليهم * واشتروا منهم وباعوا عليهم * واستمرت عقود المصادقة لم تحل * الى ان قوض خيامه من دمشق ورحل *

لمّا اقشعَ عن الشّام ضبابُ غيرِهِ * وامتدّ في ميدانِ الرّحيلِ
مجلُ سيرِهِ * أعقبَ علاءَ الدّينِ الدّوادارِ * قاصدًا الى ذلك الأمدِ
الضّاري * ومعهُ تحفُ سنيّهِ * ونتفُ ملوكيّهِ * ومطالعةٌ فحاويها رائقهِ *
ومعانيها فائقهِ * وألفاظُها بالخضوعِ والخشوعِ ناطقهِ * فيها
من الترقيقاتِ ما تقشعرُّ منهُ الجلودُ * ويلينُ لهُ الحديدُ والصّخرُ
الجلمودُ * ويجري في طبائعِ الأبدانِ اليابسةِ جريَ الماءِ في العودِ * وطلبَ
في أثنائها مرحمةً في أمرِ العثمانيّ وابنِ الطّحّانِ * وجزئيةِ عبوديّتهما
بمقراضِ الإعتاقِ والامتنانِ * وأن يجعلَ العفوَ عنهما شكرَ القدرةِ *
ويفيضَ عليهما من بحارِ مراحمهِ قطرةً * وأنّهما أقلُّ من أن ينسبا
الى آسرهِ * إذ ملوكُ الأرضِ تودُّ لو كانت أطفالًا تحتَ حجرهِ * ورأيهُ
الشّريفُ أعلى * وامتثالُ ما يبديهِ من المراسيمِ أولى * فلمّا اطّلعَ تيمورُ
على فحواهُ * وفهمَ ما أبداهُ وما أنهاهُ * وشاهدَ تحفهُ ومدايا * *
وتفكّرَ في أولِ أمرهِ ما ألجمهُ معهُ من الخدمِ وما أسداهُ * والخيرُ لهُ
تأثيرٌ * والبادئُ أكرمُ * والشّرُّ كلُّهُ تقصيرٌ * والبادئُ أظلمُ *

قلت * شعر *

ترقب جزا لحسنى اذا كنت محسنا * ولا تخش من سوء اذا انت لا تسي *

وقيل * شعر *

* من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس *

لا ان قلبه وان كان حديدا * وهان صعبه الذي لم يزل شديدا *

فدعاهما * واكرم مثواهما * واحسن اليهما * وذكر لهما شفاعة علاء

الذين فيهما * ثم امنهما الباس * واعطاهما ثلاثة افراس * للعثماني

اثنان * وواحدة لعمر بن الطحان * ثم اضاف اليهما من * بلغهما

المأمن * فوصل كل منهما الى دار عزته * وحل ذاك في صفده

وهذا في غزته *

* فصـــــل *

ولما تنجز تيمور اخذ القلعة * جهز امره ورام الرجعة * وقد استخرج

منها ما اراد من نفائس واموال * بانواع العقاب واصناف

العذاب والنكال *

ذكر معنى كتاب ارسل اليه * على يد بيسق بعد ما فروا من بين يديه *

وقيل ان السلطان لما هرب * ارسل اليه كتابا اثار منه الغضب *

فمن معناه * وفحوى ما عناه * لا تحسبن انا جزعنا منك * وفررنا عنك *
وانما بعض مما ليكنا قوى انفاسه * واخرج عن ربقة الطاعة راسه *
وتصورا ان كل من خرج عرج * ولم يعتبر بمن رام للارتقاء سلما فدرج *
ولراد بذلك مثلك القاء الفساد * وهلاك العباد والبلاد * وهيهات فان
دون مرامه خرط القتاد * والكريم اذا بدا بجسمه مرضا ن داوى
الاخطر * ورأيناك انت اهون الخطبين واحقر * فثنى عزمنا
الشريف عنانه * ليعرك من ذلك القليل الادب آذانه * ويقيم
في نظم طاعته ميزانه * وايم الله لتكرن عليك كرة الاسد الغضبان *
ولتوردن منك ومن عسكرك نواهل الغنا موارد الاضغان * ولتحصدنكم
حصد الهشيم * ولتدوسنكم دوس الحطيم * فلتلفظنكم رحى الحرب
في كل طريق * لما تعانون من غليظ الطعن وجليل الضرب لفظ الدقيق *
ولتضيقن عليكم سبل الخلاص * فلتنادن ولات حين مناص *
ونحو هذه الترهات * ومثل هذه الخرافات * التي هي كالملح
على الجروح * وكالريح عند خروج الروح * ولو كان بدل هذا
الكلام الذي لا طائل فيه * والخطاب الهذيان الذي تمجه الآذان

وتُرْمِيه * ما يَسْتَمِيلُ خاطِرَهُ * ويُطْفِئُ من لَهِيبِ غَضَبِهِ نائِرَهُ * مَعَ شَيْءٍ
من الهدايا والتَّقادِم * وابرازِ قضايا هُمْ في صُورَةِ المُعْتَذِرِ النّادِم *
ربَّما كانَ كَسَرَ من غَيْظِهِ * او هَمَدَ من حَنَقِهِ وبَرَدَ من قَيْظِهِ *
وانَّما فعَلُوا تلك المَعْذِرَةَ * بعدَ حَرِيقِ دِمَشْقَ وخَرابِ البَصْرَةِ * وأَرْسَلُوا
الخَدَمَ والهدايا تُحْبَةَ النَّعامِ والزُّرافات * وقد أَعْجَزَ التَّدارُكُ
وفات * وصارُوا كما قيل *

* شعر *

ذُو الجَهْلِ يَفْعَلُ ما ذُو العَقْلِ يَفْعَلُهُ * في النّائِباتِ ولكِنْ بعدَ ما افتَضَحا *
وكما قيل * مصراع * وجادَتْ بوَصْلٍ حينَ لا يَنْفَعُ الوَصْلُ *

* فصـــــل *

ذَكَرَ بَيْسَقُ هذا قالَ لَمّا مَثَلْتُ بينَ يَدَيه * وأَدَّيْتُ الرِّسالَةَ إِلَيْه *
وقُرِئَ الكِتابُ عليه * قالَ لي قُلِ الحَقَّ * ما اسمُكَ قُلْتُ بَيْسَق * قالَ
ما مَدْلُولُ هذا اللَّفْظِ المُزْرِي * قُلْتُ له مَوْلانا لا أَدْرِي * فقالَ أَنْتَ
لا يَعْرِفُ مَدْلُولَ اسمِكَ يا نُعالَه * فكَيْفَ تَصْلُحُ لِحَمْلِ الرِّسالَه * ولولا أَنَّ
عادَةَ المُلُوكِ أَنْ لا يَهْجُوا الرُّسُل * وقد مَهَّدَ والِدي ذلك القَواعِدَ وسَلَكُوا

السبل * وانا اولى من يتبع آثار السلاطين * ويحيي سنن الملوك الماضين * لفعلت معك ما يجب فعله * ولا وصلتك ما انت اهله * وبعد هذا فلا عتب عليك * وانما اللوم على من تقدم بهذا الامر اليك * ولا حرج عليه ايضا لان ذلك مبلغ علمه * ومدرك عقله وفهمه * وقد ظهر بفعله الوبيل * نتيجة

ما قيل *

تخير اذا ما كنت في الامر مرسلا * فمبلغ آراء الرجال رسولها * ثم قال لي توجه الى قلعتكم * ومكان عزكم ومنعتكم * فذهبت فوجدتها قد دكت دكا * وهيم حرمها وحريمها خضعا وهتكا * ثم اتيته * وذكرت له ما رأيته * فقال ان مرسلك اقل من ان اجامله * واذل من ان ارا سله * ولكن قل له اني واصل اليه على عقبك * وها انا منشب مخالب اسودي بذنبك * فليشمر للقرار وللفرار الذيل * وليعد لاحديهما اختارها استطاع من قوة ومن رباط الخيل * ثم امر بي فاخرجت وما صدقت * ان تصوبت الى جهة مصر ودخرجت *

* فصـــل *

وحين ملأ جرابه طمعه من نفائس الاموال وردنه * واستدر
خلفها نهبا شيأ فشيأ صافيا ورنقا حتى صفاها بقطنه * امر بتعذيب
هؤلاء الامراء الكبار * نعذبوهم بالماء والملح وسقوهم الرماد والكلس
وكووهم بالنار * واستخرجوا خبايا الاموال منهم استخراج الزيت
بالعصار * ثم اطلق عنان الاذن لعساكره بالنهب العام * والسبي
الطام * والفتك والقتل والاحراق * والتقييد بالاسر على الاطلاق *
فجمعت اولئك الكفرة الفجرة على ذلك اشد الهجوم * وانقضوا على
الناس بالتعذيب * والتشريد والتخريب * انقضاض النجوم *
وامتزوا وربوا * وفتكوا وسبوا * وصالوا على المسلمين واهل الذمم *
صولة الذئاب الضواري على ضواني الغنم * وفعلوا مالا يليق فعله *
ولا يحمل ذكره ونقله * وامروا المحذرات * وكشفوا غطاء المستترات *
واستنزلوا شموس الخدور * من افلاك القصور * وبدور الجمال *
من سماء الدلال * وعذبوا الكبار والاصاغر بانواع العذاب *
ويل للخلق مالم يكن في الحساب * واستخلصوا باصلاء النار جواهر
الناس منهم خلاصات الذهب * وصنفوا في استخراج النفائس

ويبيد هم من بكرة ابيهم * وحيث يمتنع عليه بجانبك جانبي *
ينتقم لسوء طويته من حشمي واقاربي * لان قد اهنت الملاحم انا
الحمته * وفي مضائق البلاء رماه زق الانكسار انا افحمته * وعلى كل حال
فلا يطيب على قلبي ان يساكنوه * وكيف يهنا لي العيش واصل قاربي
مجاوروه * فان اقتضت الآراء المنيرة * ارسال قاصد الى تلك
الاماكن والقبائل الكثيرة * صحبة مرسوم شريف * وامر عالي منيف *
باستمالة خواطرهم * وتطييب قلوب قبائلهم وعشائرهم * والامر بترحالهم *
وترقيح حالهم * فنكون جميعا تحت الظل الشريف * في روض عيش
وريق ورفيف * ونتخلص من هذا الدشت * الخلق الدسم *
ونقتضي ما مضى من الاعمار * ونقضي الباقي في جنات تجري من تحتها
الانهار * فالرأي الشريف اعلى * واتباع ما يؤيد به بالمماليك اولى *
فقال له تيمور انت عذيقها المرجب وجذيلها المحكك * ومع وجودك انت
من يسلك هذا المسلك * فقال كل الانام عبيدك * وتابع مرادك
ومريدك * ومن تراه لشيء اهلا * كان كل حزن عليه سهلا * فقال بل
انت اولى بهذا الامر فكن ضمينه * اذ لا يفتى ومالك في المدينة *

فقال اصف الى واحد امن الامراء * ليكون لي عليهم وزرا * مع مراسيم
شريفة * بما تقتضيه الآراء المنيفة * فاجابه وقضى مراده * واضاف اليه
من اراده * فقضيا ما ربهما ونجزاه * ونحو مطلبهما تجهزا * ولما فصل ايدكو
من تيمور * استدرك فارطه * وعلم ان ايدكو خلبه عقله وغالطه *
فما نفذ اليه قاصدا * ان يكون اليه عائدا * لامر قد سنح * ورأي
قد جنح * فلما قدم القاصد عليه * وبلغ ما ارسل به اليه * قال له .
وللامير الذي معه * وقد نهى كلا منهما ان يتبعه * اقضيا ما ربكما *
والحقا حيكما * وقيلا يديه وابلغاه * ان امد اجتماعنا طال انتهاه *
واني برئ منه اني اخاف الله * ولم يمكنهما مخاشنته * ولا وسعهما في تلك
المضايقة الشديدة الا ملاينته * فودعاه وانصرفا * وانحرفا وما وقفا *
ولما بلغ تيمور ذلك تضرر وتضرم * وتهرج وتبرم * وحرق عليه الازم
وتندم * ولات حين مندم * وكاد يقتل نفسه حنقا عليه * وتجرع
كاظميه * ويوم يعض الظالم على يديه * ولم يمكنه التنقيب به فلم
يتحرك له بحركه * وتوجه الى مملكته ثم الى سمرقند وتركه * فكان
هذا اخر امره من دشت بوركه * قيل انه لم يخدع تيمور ويد منه *

وتخليه قولا وفعلا وبطغيه * هو ما ايد كوا ما ذكره * اقول وهو

قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكي ،

الآتي حكايته وامره *

تتمة ما جرى في نواحي الشمال * بين تمرتاميش وايدكو

من الجدال والقتال * الى ان تغير امر كل منهما وحال *

ولما انفصل تيمور بما حصل * واستقر في مملكته بعد ما وصل * اتصل

ايدكو بحاشيته * وابتهج بعصابته وغاشيته * ناحل في التفتيش *

عن امور تمرتاميش * وتحفظ منه وتحرز * ولما واته النصب وتجهز *

اذلم يمكنه رتق ما فتقه * ولا رقع ما خرقه * وايضا ما امكنه الاستقلال

بادعاء السلطنه * اذ لو امكن ذلك * لادعا تيمور الى ملك

الممالك * فنصب من جهته سلطانا * وشيد في دار الملك خانا * ودعا

رؤس الميسرة ووجوه قبائلها اليه * فابوا دعوته واقبلوا عليه * اذ كانوا

اقوى من غيرهم * آمنين من ضرر الجغتاي وضيرهم * فقوى بذلك

سلطانه * وعمر بقفول الجنود خانه * وثبت في دار الملك اساسه

وعلت اركانه * واما تمرتاميش فبعد ان تراجع وهنه * واستقر

فيه ما فيه مقله * ورحل عدوه * وحصل مدوه * جمع عساكره *
واستنجد قومه وناصره * فلا زالت ضروب الضراب لحراب الحروب
بينه وبين ايد كوقائمه * وعيون السكون كجفون الزمان المتعامي
عن صنيعها نائمه * الى ان بلغ مصافهم خمس عشرة مره * يدال هذا
على ذاك تاره وذاك على هذا اكره * فاخذ امر قبائل الدشت
في التناقص والشتات * وبواسطة قلة المعاقل والحصون وقعوا في الانبثاث
والانبتات * لاسيما وقد تناوشها اسدان * وانضل عليها نكدان *
وقد كان جلهم ذهب مع تيمور * وامسى وهو في امره محصور * وفي
حصره مأسور * فانقلبت منهم طائفة لا تحصى ولا تحصر * ولا يمكن
ضبطها بديوان ولا دفتر * وانحازت الى الروم والروس * وذلك
لعظيم المشؤم وجديم المعكوس * فصاروا بين مشركين نصارى *
ومسلمين اشرار * كما فعله جيله ببني عيسان * واسم هذه الطائفة
قرابوغدان * فبواسطة هذه الاسباب * آل عامر الدشت الى الخلا والخراب *
والتفرق والتباب * والانقلاب والانقلاب * وصارت بحيث لو سلكها احد *
من غير دليل وزاد * فانه يهلك على الجليقه * لاضاعته في المجلز طريقه *

من النفوس باصناف العذاب مسائل يقضى منها العجب * وفرقوا بين الوالدة وولدها * والروح وجسدها * وذاقت كل مرضعة عما ارضعت * وجازوا كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعت * وفر المرء من اخيه وامه وابيه * وصاحبته وبنيه * وصار لكل منهم يومئذ شان يغنيه * وذل العزيز والكريم * وهان الخطير والجسيم * وعم البلاء وعم القضاء وطاشت الحلوم * وتبلدت الفهوم وتراكمت غيوم الغموم * فاقسم بالله لقد كانت تلك الايام * علامة من علامات يوم القيام * اسفرت تلك الساعة * عن اشراط الساعة * وامتحن اذا النهب العام * نجوا من ثلاثة ايام *

ذكر الغائم الناره في البلد لمحو الآثاره

ثم انهم لما انتهوا العيث والعبث * وقضوا في حمص فسادهم التفت * واتوا بالفسق والجدال والرفث * وطافوا وسعوا في المنكرات * ورموا في البيوت بالنار وفي القلوب الحسرات * وافاضوا ما اراقوا من دماء المسلمين الواقعين في الاحضار * ورملوا في اشواط الاحراق فارملوا في حرم المدينة شواظا من نار * وكان فيهم من روافض الخراسانية * فاطلقوا النار في جامع

بني امية * فتشبثت النار بلهيبها * وساعدت الريح بهبوبها * فتساوقا في محو الآثار ريحا ونارا * واستمرا على ذلك باذن الله تعالى ليلا ونهارا * فاحترق ما بقي من النفائس والنفوس * وانمحى بامعان النار ما سطر على لوح وجود المدينة من الدروس * وامست تلك المغاني لا تسمع فيها لاغية ولا الهمس * واصبحت حصيدا كان لم تغن بالامس * وذلك بعد ان اظهروا ما اخذوا من اموال * واوسقوا عليه الاحمال *

ذكرا قلاع ما تيك الرزايا * واقشاع غمام تلك الدواهي والبلايا * عن بلاد الشام بما تحمله من اوزار وخطايا *

ثم ارتحل ذلك الفتان * واقلع صيب بلائه الهتان * يوم السبت ثالث شعبان * وقد اخذوا من نفائس الاموال فوق طاقتهم * وتحملوا من ذلك ما عجزت عنه قوى استطاعتهم * فجعلوا يطرحون ذلك في الدروب والمنازل * ويلقونه شيأ فشيأ في اوعار المراحل * وذلك لكثرة الحمل وقلة الحوامل * واضحت القفار والبراري * والجبال والصحاري * من الامتعة والاقمشة * كانها اسواق الدمشه * وكان

الارض فتحت خزائنها * واظهرت من المعادن والفلزات كامنها *

قلت بل يها * شعر *

* وصار لسان شرهم ينادي * على قنن الشوامق والبوادي *
الا في شنشنة عرفناها * وعادة نساد الفناها * ومن ملكنا ودينه
اقترفناها * نهبنا اموال المسلمين وحفظنا ما * وما في وجهها
صرفناها * ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها *
ومع ذلك فلو احد من نفائس دمشق اضعاف ما اخذ * وفلذ من اكباد
ذخائرها آلاف ما فلذ * ما غاض ذلك ما في عينها * ولا نقص
من بحار معينها * ولكن النار كانت هي البلاء الداهي * والمصاب
المتناهي * لانها احرقت غالب من كان داخل البلد لعدم الغوث *
فما ظنك بما يكون من العمائر والاقمشة والاثاث * وضربت الكلاب
باكل لحوم من مات داخل البلد * فما صار يجسر على العبور الى جامع
بني امية احد *

ذكر ما جرى في مصر وسائر الاقطار * عند سماعهم هذه الاخبار * واستيقانهم

هذه الامور والاخطار *

فاما مصر فما دونها من البلاد فانها تخبطت * وانحلت قواعدها وايدها
تربطت * وعدمت القرار * واستعدت للفرار * فلو رأيت الناس
وهم حيارى * سكارى وما هم بسكارى * ابدانهم راجفة * وقلوبهم
واجفة * واصواتهم خافتة * وابصارهم باهتة * وشفاههم يابسة *
وصورهم بائسة * ووجوههم باسرة * تظن ان يفعل بها فاقرة * وقد
استوفز كل من اهل الامصار * وسكان الانجاد والاغوار * وقد اصاخ
لما يرد عليه من جلي الاخبار * فيبني على ذلك ما يكون * من متعلقاته
الحركة والسكون * فاخذ تيمور على طريقته العوجاء * ورجع على
سبيل بغيه التي اتخذ هاشرعة ومنهاجا * وقد عدت عساكره
الآفاق والاكناف * وعمت فيجته الارجاء والاطواف *

ذكر من اصيب من عظماء القضاء بالرشق *

فوقع في مخالب اسر من اعيان دمشق *

واخذ من اهيلن الشام * ومشاهيرها الاعلام * قاضي القضاة
محب الدين بن العز الحنفي بعد ان عاقبوه بانواع العقاب وكووه *
وسقوه الماء والملح وبالكبريت والنار شووه * وولده قاضي القضاة

شهاب الدين ابو العباس * فوصلا الى تبريز ومكثا بها مدة في شدة
وباس * ثم رجعا الى الشام * واختل امرهما في الانتظام * وقاضي
القضاة شمس الدين النابلسي الحنبلي * وقاضي القضاة صدر الدين
المناوي الشافعي * فتوفي الى رحمة الله الوهاب * هو يقاسي نصب
التراب * وشهاب الدين احمد بن الشهيد المعتمر * وكان متحملا
اوزار الوزر * بعد ان راموا عذابه * وطلبوا عقابه * وكان قد جهز
متعلقيه الى الاماكن البعيدة * واقام هو في دمشق جريدة * فذكر
لهم حكايته * وبذل لهم في دفع موجوده طاقته * فاخذ واما اخفاه
خفيه ولم يعفوه * ولكنهم بالاهبة والقلة استصحبوه * فوصل الى
سمرقند وقاسى بها من صروف الزمن * انواعا من غربة وفقر ومحن *
ثم رجع الى دمشق وتوفي بها رحمه الله تعالى * ومن الامراء الخاص *
الاميرا لكبير بتخاص * وكان مقيدا معه ومات * عند وصوله الى
الفرات * فاما القاضي ناصر الدين ابن ابي الطيب فانهم عاقبوه بكل
بلية * وكان رفيق الدين لطيف المزاج سوداويه * فما كان عنده لذلك
ثبات * فاعجز هم صابر ومون منه بالموت ورغبات * فمات واستراح * وشرب

من الشهادة كاس مدام جاءه وراح * فدفنوه عشيه * بالمذرسة
المكرومية * ولما شرع في النهب العام المبرح * استشهد غلطا قاضي
القضاة تقي الدين بن مفلح * وبرهان الدين بن القوشة ضعف
سبعة عشر يوما * وانقطع في حارة تل الجبن ولحق بالاموات قوما *
وكانوا قد خرجوا على الاحياء والاموات * وخافوا ان لا يكون لاحد
منهم من ايديهم بحجة الوفاة فوات * فضبطوا بيوت المدينة بيتا بيتا *
وحرجوا ان لا يخرج الاحياء ولا تجهز الموتى * فلما مات المذكور *
تعسرت الامور * فتحيروا في تجهيزه * وتغلبوا في امره وتنجيزه *
ثم بعد جهد بليغ وسعي كثير * دفنوه في الصالحية بعد اخراجه من
الباب الصغير * وخرج مع تيمور بالاختيار من الشام * عمر الملك بن
التكريتي فولاه نيابة بيرام * فمكث فيها القليل من الايام *
وهي وراء سيحون * وشخص آخر يدعى بلبغا المجنون * وكان مقربا
عنده * وسبب ذلك انه بذل في مناصحته جهده * واخبره على ما قيل
بعدا وي * فخاصه بذلك من المهالك والمهاوي * وحصل له بذلك
قربه * وزيادة ملازمته وصحبه * فولاه ذلك الجاسوس * نيابة مدينة

لك من يبكي بلاس * وراء نهر خجند * نحو خمسة فراسخ من
سمرقند * بينها وبين سمرام * نحو من اربعة ايام * وكان اسم ذلك
الحوت * احمد فتلقت بيلبغا المجنون * واخذ من دمشق ارباب
الفضل واهل الصنائع * وكل ماهر في فن من الفنون بارع * من النساجين
والخياطين * والحجارين والنجارين * والاقماعية والبياطرة
والخيمية * والنقاشين والقواسين والمازداريه * وفي الجملة اهل اي
فن كان * وجمع كما ذكر السودان * وفرق هؤلاء الطوائف على
رؤس الجند * وامرهم ان يوصلوهم الى سمرقند * واخذ جمال الدين
رئيس الطب وشهاب الدين احمد الزردكاش وكان في القلعة كما ذكر
وابادمن عسكره خلقا لا يحصون * ولا يحصرون كثرة ولا يستقصون *
وكان في حدود التسعين وقد احدودب * فلما رآه قابله بالسخط
والغضب * وقال له انك افنيت صاغيتي * وحصيت حاشيتي *
وقصيت حاشيتي * فان قتلتك مرة واحدة لا يشفي عليلي * ولا يهدأ
غليلي * ولكن اعذبك كبير سنك * واريدك كسرا على كسرك
وضنا على ضنك * فقيدوه بقيد من فوق ركبتيه * زنته سبعة

أرطاليون نصف رطل بالدمشقي وقصد بذلك التشديد عليه * فلم
يزل مقيدا * مكتوبا على قيده مخلدا ابدا * حتى مات تيمور *
وارتفعت الشرور * وخلص من القيد ذلك المأسور * ثم توفي الى
رحمة الله تعالى وربما يكون اخذ اناسا من الفضلاء * والاطباء
والسادات والنبلاء * من لا اعرفه * فكيف اصفه * وكذلك كل
أمير من أمرائه * وزعيم من زعمائه * اخذ من الفقهاء والعلماء *
وحفاظ القرآن والفضلاء * واهل الحرف والصناعات * والعبيد
والنساء والصبيان والبنات * مالا يسع الضبط * ولا يحل الربط *
وكذلك كل من عسكره * اخذ كبيرا وصغيرا وامرة في اسره * لانه
ما خرج على من نصب شيأ وعزله * وكل من سبقت يده الى شيء فصولته *
ومنه اذا اطلق عنان الاذن بالنهب العام * تساوى فيه الخواص
من عسكره والعوام * ولو كان الناهب اميرا فيهم * او دخيلا عليهم *
والسالب من غير طينتهم * ولكن ابيح له ذلك لما ربيرتهم *
وتخلق بشيمتهم * واطلق عليه حكمهم * واجري عليه شحهم *
فاما قبل الاذن فلو تعدى احدهم احد * وكان عند تيمور بمنزلة الوالد

او الولد * او استطال بمقدار حبة * او تنقط بغارة او نهبة * فانه يهدر
فالذود منه * ويهتك حرمته وحرمه * ولا ينجيه استغفاره وندمه *
ولا يجديه اهله وخدمه * ولا يقال لعاثر لمن زلت به قدمه * وكانت
مدينة عامرة لا تحرم * وبنية لا تهدم *

ذكر ما اباد بعد الجراد *

ولما فرغ من مستغلات اموال * مشق الحصاد * وقارب الرحيل عنها
اسقبه لقاط الجراد * وصار يسير معه حتى بلغ ماردين وبغداد *
فاعرى كل شجر * ومردا * وجرد ما على وجه الارض جردا * فوصل
الى حمص وما نهبها * ولخالد كما ذكر وهبها * ولكن نهبوا قراها *
وهدموا قواها * ثم الى حماة فنهبوا نفائسها * واستخرجوا مكامنها *
واسروا عرائسها * واستملكوا كنائنها * وفي سابع عشر شعبان *
انصب الى الجبول ذلك الطوفان * وارتحل الى حلب واخذ من قلعتها
ما استودعها * ثم الى الفرات وعبروا بالمراكب وغيرها فقطعها * ثم
الى الرها * فنهبها واستحلب درها * ثم ارسل ذلك الغادر * رسولا
الى ماردين يستدعي الملك الظاهر * ودبياجة كتابه الدقل * ط

ما نقل * شعر *

* سلام عليكم والعهود بحالها * لقد بلغ الاشواق منا كمالها *

فابى ان ينزل اليه * ولا استمع كلامه ولا التفت اليه * فانه كان آذاه كما

ذكر اول مرة * فما احتاج الى تجربته آخر كرة * فسلك معه برا لسلامة *

وقال شطر بيت (ع) من جرب المجرب حلت به الندامة *

ولكن ارسل اليه قاصدا من بعض الخدم * يدعى الحاج محمد بن خاصبلاد

ومعه التقادم والخدم * واعتذر عن الحضور * بعدة امور *

وعنوان جوابه * موافق لخطابه * وهو *

* شعر *

* نشوقني اليكم زائد الحد وصفه * ولكن تخاف النفس مما جرى لها *

فلم يلتفت تيمور الى هذا الكلام * واخذ يعنف نفسه بانواع الملام *

كيف خلص من مخالبه اول مرة بسلام *

ذكر ورودها ماردين بالهيبة * وصدوره عنها بعد المحاضرة بالخيبة *

فوصلوا يوم الاثنين عاشر شهر رمضان واردين ماء ماردين * فنزلوا

ونيمروز قد والحصار قاصدين * واذا بأهلها وقد اخلوا البلد بتمه *

وانتقلوا الى قلعتهم الحصينة *

* صفة هذه القلعة *

وهذه القلعة عنقاء قلتها تكبران تصاد * وعرنين عانيها يأبى ان يذل لخاطب تحت مقود انقياد * لانها في قلة من القلل * على ظهر جبل * لم يكن فرق بينه وبين قبة الافلاك * الا ان تلك لاثبات لها وهذا ثابت ليس به حراك * بظهره وادٍ بطنه اوسع من صدر الاحرار * فيه جنات تجري من تحتها الانهار * وبه مطارح الزروع * ومسارح المواشي والضروع * وحدوده حروف لا تصل همم ذوي الكرم الى ارجائها * وخروف يعجز قارئ التفكر عن تعديد هجائها * وطريقه من القلعة اوعر القلعة * والقلعة في غاية المناعة والرفعة * والمدينة مبنية حوالیها * متشبثة بذيلها * تأكل من فضلات نعمها * وتشرب من فائض سيلها * فهم بين نعمهم ونقمهم يترددون * وفي السماء رزقهم وما يوعدون * فاقام لمحاصرتها على مضايقها * يسترشد الى طرق المضايقة وطرائقها * ولم يكن حواليها مكان للقتال * ولا لنصب المجانيق مجال * فعول على ثقبها بالمعاول والفؤس * واستعان على ذلك بالمقاول

والرؤس * وحاشا درزذيل حشمتها وعصمتها أن يسام فتقا * لأنها وإن كانت عذراء قد اعجزت الفحول تكوينها رتقا * فلازالت المعاول تفل * والقطا طيس تكل * ومناقير الفؤس تتعقف * وخصور المرازب كيف القدود تتقصف *

قلت * شعر *

ـ ـ ن يسوم ني نقب تربتها * منقار طير على صلد من الحجر *
* او عذل ذي حسد صبا به صمم * او غمز عين معنى فاقد البصر *
واستمر على الدد والخصام * الى العشرين من شهر رمضان ولم تحصل على طائل ولم يظفر بمرام *

ذكر تركه في المحاصرة * العناد والمكابرة * وتوجهه بما رويه ذوى الفساد * عن ماردين الى بغداد *

ولما علم انه رمي منها بالداهية الدهيا * وطلاب مالا يستطاع عيا * والمكابرة مع الحق خروج عن المنهج * والبلاهة في غير مقامها مهيع لجلج * ستر عيبه * وابقى بعض الحرمة والهيبه * وخرب المدينة وأسوارها * ومحا آثارها * وهدم مبانيها وجوامعها ومنارها *

وعَفَّى آثارَها واحجارَها * ثم انحدرَ راكبًا بغداد * بعساكرَ كالقَطْرِ والفراشِ والجَراد * وجهَّزَ بعضَ النُّقلِ الى مرو فقدمَ مع الله داد * فوصلوا الى مدينةِ صور وليس بها بيتٌ مُشاد * ثم الى خلاط وعيدِ الجوز وهي بلادُ الاكراد * آهلةٌ عامرةُ البُنيان * وأولُ ما هو جارٍ تحتَ حُكمِه من ولاياتِ تبريز واذربيجان * فعيَّدَ النُّقلُ بعيدِ الجوزِ بعيدِ رمضان * ثم دخلوا الى ولاياتِ تبريز ثم الى سلطانيّة ثم الى ممالكِ خُراسان * وكان اذذاك قد خرجَ فصلُ الشتاء * وفصلُ الربيعِ تزيّن واتى * وصفحاتُ الرياضِ بأنامِلِ صبّاغِ القدرةِ تلوّنت * وعروسُ المروجِ قد اخذت من صواغِ الحكمةِ زخرفها وزينت * والاطيارُ في الأزهار * ما بين مائةِ بُلبلٍ وألفِ هزار * قد شنّفتِ الاسماع * واقامتِ الصلاة * واستمالتِ الطباعَ برخيمِ صوتها * واحيتْ آثارُ رحمةِ الله الارضَ بعدَ موتها * ولا زالَ النُّقلُ بين تأويبٍ وادلاج * وسيرٍ ولا سيرَ الحاجّ * كلَّ يومٍ في مرحلةٍ وكلَّ ليلةٍ في مقام * فوصلوا الى نيسابور ثم الى جام * ثم قطعوا سفاوزَ باورد وماخان * ثم الى الدامغان واتوا الى نهرِ جيحان * فعبروه بالمراكب * وساروا سيرَ النجمِ الثاقب *

ولم يزالوا منبعثين على ذلك انبعاثا * فوصلوا الى سمرقند ثالث عشر المحرم يوم الثلثا * سنة اربع وثمانمائة * وفيهم من اهل الشام فئة * امثلهم القاضي شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير * وباقيهم بياطرة وصباغون ونساجة الحرير * هذا اول ما تحمله من الشام من احمال الاثقال * وباكورة ما وصل الى سمرقند مما جناه من ثمر الاسارع والاموال * ثم ارسل الاثقال تترى * بالانقال واحمال الاموال والاسرى *

* فصـــــل *

ثم ان تيمور ولى آمن قرا يلوك عثمان * وولى عن ماردين يوم الخميس العشرين من شهر رمضان * وكان خامس ايار * وجعل يعبث في تلك الديار * وخرب نصيبين ورعى مستغلاتها * ثم محا من صحف الوجود صور سورها وآياتها * وكانت خالية من سكانها * خاوية من عامرها وعمرانها * ثم وجه الى الموصل همه * واحنى عليها بكلكله المدلهمة * فبعد ان احلها الحين * وعبها الحسين بيك بن حسين * ثم جمز بزمجرة * الى ناحية القنطرة * واشاع انه كف فساده * وقصد بلاده * ولكن السلطان احمد كان قد تحقق انه قاصد بغداده *

وقد اوهم وورث كماله بذلك دأبه وعادته *

ذكر ما فعله السلطان احمد بن الشيخ اويس * لما بلغه انه توجه اليه ذلك النجيس *

فلما بلغ السلطان احمد * ان تيمور بغداد ان تذ منشق تمرد * ثم عزم على ان يتبغداد * وقال العود احمد * استعد ولكن للفرار * واستقر رأيه على ان لا قرار * ثم استناب نائبا يدعى فرج * واوصى اليه والى ابن البليقي بامور وصحبه قرا يوسف الى الروم وخرج * وكان من جملة ما وصى به انه لا يغلق في وجه تيمور باب * ولا يسدل دون ما يرومه حجاب * ولا يشهر في وجهه سيف * ولا يقابل فيما يأمر به بلم وكيف * فبلغ تيمور * هذه الامور * فجهز ذلك المخاتل * الى بغداد عشرين الف مقاتل * وامر عليهم من امرائه ورؤساء وزرائه والظالمة المعتلين * امير زاده رستم وجلال الاسلامي وشيخ نور الدين * وامر ان يكون المقدم * من الثلاثة الامير رستم * فاذا تسلموا بغداد * يكون هو حاكم البلاد * وحين غربت من سماء بغداد شمس السلطان احمد في غرب الغربة * ومد ظلام

الظالم جناح العساكر التيمورية على آفاقها وارسل عليها شهبه * ابى
خروج المذكور ان يسلم المدينة طوعا * واستعد للمقاتلة فجمع ما عنده
من اهبة الحاصرة وارعى * فاطلعوا تيمور على هذا الامر * وانتظروا
ما يكون منه من نهي وامر * فثنى نحوها عنان العنق * واضرما تصل
اليه يده من غرق وحرق * وانزل عليهم بغمام غم بعد مارعد وبرق *
فوصل بتلك الفرق * واحل بهم البوس والقلق * واذاقهم لباس
الجوع والغرق * فرجهم اي رج * وحاصرهم في اشهر الحج * فثبتت
مقاتلتهم واكثروا من عساكره القتلى والجرحى فحنق * اشد الحنق *
وزحف عليها برجله وخيله فاخذها عنوة يوم الاضحى * فتقرب
الى زعمه بان جعل المسلمين قرابين وعليهم ضحى * ثم امر كل من هو
في دفتر ديوانه محسوب * والى يزك عساكره من الجند والجيش
محسوب * ان ياتيه من رؤس اهل بغداد يرأسين * فسقوا كل واحد
من خمرة سلب الروح والمال كاسين * ثم اتوا بهم فرادى وجملة *
وجاروا بسيل دمائهم نهر الدجلة * وطرحوا ان انهم في تلك الميادين *
وجمعوا رؤسهم فبنى بها مناذين * فقتلوا من اهل بغداد نحوا

من تسعين الف نفس فصيرا * وبعضهم عجز عن تحصيل البغداديين
فقطع رؤس من معه من اهل الشام وغيرها اسرى * وعجز بعض
عن رؤس الرجال * فقطع رؤس ربات الحجال * وبعض لم يكن معه
رفيق * فاصطاد من وجده في طريق * واغتال من معه من رفيق *
وفدى نفسه بعد ووصديق * ولم يلتفت الى شقيق وشفيق * اذ لم يمكنهم
الخروج عن ربقة الطاعه * ولا يقبل منهم عدل ولا تنفعهم شفاعه *
وهذا العدد المذكور * سوى من قتل وهو محصور * او قتل في مضيق *
او مات في الدجلة وهو غريق * فقد ذكر ان خلقا * القوا انفسهم في الماء
وماتوا غرقى * ومن جملتهم فرج فانه ركب سفينة وابق * فاحتوشوه
من الجانبين بالسهام فجرحوه وانقلبت السفينة فادركه الغرق *
وبقى من الماذين * نحوا من مائة وعشرين * كذا اخبرني القاضي
تاج الدين احمد النعمان * الحنفي الحاكم ببغداد كان * وتوفي
في غرة المحرم سنة اربع وثلاثين وثمانمائة بدمشق رحمه الله تعالى *
ثم ان تيمور خرب المدينه * بعد ان اخذ ما بها من اموال خزينه *
وافقر اهلها واقفر منازلها * وجعل عاليها سافلها * وصارت بعل

أن كانت مدينة السلام * دار السلام * واسروا من بقي من ضعفة أهلها فتمزق * ومزقتهم أيدي الزمان كل ممزق * بعد أن كانوا في ظلال ودلال * ومن مساكنهم في جنتين عن يمين وشمال * فاليوم عشش البوم والغراب أماكنهم * وأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم * ومدينة هي أشهر من أن توصف * وعرف عارفتها وعرفانها أذكى من أن يعرف * ونا هيك أنها كاسمها مدينة السلام * وأنه على ما قيل لم يمت بها إمام *

ذكر رجوع ذلك الطاغ * واقامته في قراباغ *

ثم الذي يتلك الاتراك التي يصح أن يقال لكل منها أنه في التركية طاغية طاغ * وعزم أن يشتي في مكان يصلح أن يكون في التركي والعربي كصفاته وذاته قراباغ * وأمسى كالبازي المطل بل كالبوم المشوم * مراقبا أطراف الآفاق وخصوصا ممالك الروم *

ذكر مراسلة ذلك المريد * سلطان الروم ايلدريم بايزيد *

فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغاز * وصرح بما يروم من بلاد الروم من غير كناية والغاز * وجعل السلطان احمد وقرا يوسف

منبا * وذكرا انهما من سطوات سيوفه هربا * وانهما مادة الفساد *
وبوار البلاد * ودمار العباد * وشؤم الخمول والادبار * وكفرعون
وهامان في العلو والاستكبار * وان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين * وقد صار ابسن معهما في حمى ذراكم لاطئين * وانما حلوا
حلبة التعاسة والشوم * وحاشا ان يكون مثلهما من المملوكين تحت
جناح صاحب الروم * فاياكم ان تأووهم بل اخرجوهم * وخذوهم
واحصروهم * واقتلوهم حيث وجدتموهم * واياكم ومخالفة امرنا *
فتحل عليكم دائرة قهرنا * فقد سمعتم قضايا مخالفينا واضرابهم *
وما نزل بهم منا في حرابهم وضرابهم * وتبين لكم كيف فعلنا بهم *
فلا تكثروا بيننا وبينكم القيل والقال * فضلا عن جد الى وقتال * فقد
بينا لكم البراهين وضربنا لكم الامثال * وفي اثناء ذلك انواع التهديد
والتخويف * واصناف التهويل والاراجيف * وكان ابن عثمان عنده
رقاعة وشجاعة * ولم يكن عنده صبر وساعة * مع انه كان من الملوك
العادلين * وعنده تفوق وصلابة في الدين * وكان اذا تكلم وقف في
صدر مكان * فلا يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان *

وكان بواسطة عدله ساعده الزمان * وقويت شوكته في المكان *
فاستصفى ممالك قرمان * وقتل ملكها السلطان علاء الدين واسر
له عنده ولدان * واستولى على ممالك منشا وحاروخان * وهرب منه
الى تيمور الامير يعقوب بن علي شاه حاكم ولايات كرمان * وصفا له
من حدود جبل بالقان * من ممالك النصارى الى ممالك ارزنجان *
فلما وقف على كتابه * وفهم فحوى خطابه * نهض وربض *
وامتعض وارتمض * ورفع صوته وخفض * وكأنه تجرع نقوع
الحضض * ثم قال اويخوفني بهذه الترهات * ويستفزني بهذه الخزعبلات *
او يحسب انني مثل ملوك الاعجام * او تتاراالدشت الاغتام * اوفي
جمع الجنود * كجيش الهنود * اوجندي في الشقاق * كجمع العراق *
اوما عندي من غزاة الاسلام * كعساكر الشام * او ان قفله
المجمع كجندي * اوما يعلم ان اخباره عندي * وكيف ختل الملوك
وختر * وكيف تولى وكفر * وما صدر عنه وعنهم * وكيف كان
كل وقت يستضعف طائفة منهم * وانا افصل جمل هذه الامور * واكشف
ما خزنه في التامور * واما اول امره فحرامي سفاك الدم * هتاك

الحزم نقاض العهود والذمم * طرف منحرف عن الصواب في الخطا *
فصال وجال وسطا * ثم طال واستطال * واتسع له المجال * وغفل
عنه الرجال * ومن حيث نبغ * استصبى حتى شاب الشيب بالعيب
فادرك ما ادرك وما بلغ * فالتهبت فتيلته بعد ان كانت شرارة *
وانتثرت فرواغ حبته فصارت غرارة * اما ملوك العجم فانه
استنزلهم بدخله وختله * ثم استفزهم بخيله ورجله * وبادر الى قتلهم
بعد ان امكنتهم فرصة قتله * واما توقتا بمش خان * فان غالب
عسكره خان * ومن اين للتتار الطغام * الضرب بالبتار الحسام * ومالهم
سوى رشق السهام * بخلاف ضراغم الارزام * واما جنود الهنود
فانه ختلهم في امرهم * وردكيدهم في نحرهم * فوهت اركانهم * لاسيما
وقد مات سلطانهم * واما عساكر الشام * فامرهم مشهور * وما جرى
عليهم ظاهر غير مستور * ولما مات سلطانهم * وتضعضعت اركانهم *
وانفض امرهم وانقض * وبغى بعضهم على بعض * قطعت منهم الرؤس
الكبار * ولم يبق فيهم الا رؤس صغار * فنثر الزمان نظامهم *
وسام التبر دمكهم وشامهم * مع انهم في الصور ربيع وفي المعاني

حاد ما * يزمرون الواحدة وهي انهم يبيتون جميعا ويقومون مثنى
وفرادى * لا جرم تفرقت ايامهم سبا احزاب تلك الزمر * فاشتغل
جيشه فيها بالمعرم فباض للخلاله الجور وفرخ * ولو كان بينهم اتفاق
لقوة فتا * ولبذوا اشله وبتوه بتا * ولكنهم تحسبهم جميعا وقلوبهم
شتى * ومع اتساق نظامهم * وتسديد يديها ميهم * وقوة نياحيم *
وشدة كفاحيم * وشدة رماحهم * وكونهم ظهر الحاج * واسود
الهياج * انى لهم نظام مساكرنا * وقوة القيام بتظافرنا وتناصرنا *
وكم فرق بين من تكفل بامر الحفاة العراة * وبين من تحمل امر
الكماة الغزاة * فان الحرب دأبنا * والضرب طلابنا * والجهاد صنعتنا *
وشرعة الغزاة في سبيل الله تعالى شرعتنا * ان قاتل احدنا تكالبا
على الدنيا * فنحن المقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا * رجالنا باعوا
انفسهم واموالهم من الله بان لهم الجنة * وكم لضربا تهم في آذان
الكفار من طنة * وليسيوفهم في قلانس القوانس منزرنة * ولنون قسيهم
في حياشيم بني الصليب من غنة * لو سمنا هم خوض البحار خاضوها *
او كلفنا هم افاضة دماء الكفار افاضوها * قد اطلوا من ضياضيهم

على قلع قلاع الكفار واخذوا عليها * واستكوا بعثا بين افراسهم فكما سمعوا
صيحة طاروا اليها * لا يقولون لهم اذا غمرهم في البلاء والابتلا *
انا هاهنا قاعدون فاذهب انت وربك فقاتلا * ومعنا من الغزاة مشاة *
افرس من فوارس الكماة * اطمارهم باتره * واظفارهم ظاهره *
كالاسود الكاسره * والنمور الجاسره * والذئاب الهاصره * قلوبهم
بود ادنا عامره * لا تخامر بوا طنهم علينا مخامره * بل وجوههم
في الحرب ناضره * الى ربها ناظره * وحاصل الامر ان كل اشغالنا *
وجل اهوالنا وانفعالنا * هم الكفار ولم الامر على وضم الغنائم * فنحن
المجاهدون في سبيل الله الذين لا يخافون لومة لائم * وانا اعلم ان
هذا الكلام يبعثك الى بلادنا انبعاثا * فان لم تأت تكن زوجاتك طوالق
ثلاثا * وان قصدت بلادي وفررت عنك ولم اقاتلك البته * فزوجاتي
اذن اك طوالق ثلاثا بته * ثم انهى خطابه * ورد على هذا الطريق
جوابه * فلما وقف تيمور على جوابه القلق * قال ابن عثمان مجنون حمق *
لانه اطال واساء * وختم ما قرأه من كتابه بذكر النساء * لان ذكر
النساء عندهم من العيوب * واكبر الذنوب * حتى انهم لا يلفظون

بلفظ امرأة ولا بانثى * وانما يعبرون عن كل انثى بلفظ آخر ويحترزون
في الاحتراز عنه حثا * ولو ولد لاحدهم بنت يقولون ولد له مخدرة *
او من ربات الحجال او مستترة * او نحو ذلك *

ذكر طيران ذلك البوم * وقصده خراب ممالك الروم *

فوجد تيمور الى التوجه على ابن عثمان السبيل * وطلب الرفيق والطريق
ورام الدليل * وعرض جنده فاذا الوحوش حشرت * وانبثوا على وجه
الارض فاذا الكواكب انتثرت * وماج فاذا الجبال سيرت * وهاج
فاذا القبور بعثرت * وما رفزلزلت الارض زلزالها * وما رفاظهرت
القيامة اهوالها * وارسل الى ولي عهده ووصيه من بعده * حفيد
محمد سلطان بن جهانكير * ان يتوجه اليه من سمرقند صحبة سيف
الدين الامير * وركب الى الروم الطريق * وساعده الاتفاق
والتوفيق * وجرى بذلك البحر المطرخم * والليل المدلهم * فدار
وداغ * وعلى قلعة كماخ اباغ * فاذا هي في الوثاقة كيقين موحد *
وفي الرصانة والمناعة كاعتقاد متعبد * لا يقطع خندق مناعتها سهم
وهم * ولا يهتدي الى طريق التوصل اليها صائب فهم * مؤسس اركان

فضايها معمار القدرة * ومهندس بنيان قبابها الجبار العظمة * ليست
بالعالية الشامقة * ولا بالقصيرة اللاصقة * غير أنها في مناعتها
وحصانتها فائقة * من احد وجهاتها نهر الفرات يقبل اقدامها *
ومن الجهة الاخرى واد متسع تحفظ اعلامها * لا يمكن للاقدام فيه
الثبات * وهو مسيل ماء يصب في نهر الفرات * ومن الجهتين الاخريتين
هضاب * يتلو لسان البصيرة عند وقوع البصر عليها ان هذا لشيء
عجاب * فاخذها من غير كلفة * ولج حرمها من غير طواف بها
ورقفة * وذلك بعد ان قدم محمد سلطان عليه * ووكل امر حصارها
وقتالها اليه * وسبب ذلك ان الواذي الذي وراءها * كان يرد
بالخيبة لوعورته من جاءها * لكونه مزلة الاقدام * واسع الانفغام
بعيد مهوى المرام * لا يثلب لسان السهم له عرض عرض * ولا يثبت
له تحت قدم غوامض البصر قرار ارض * فبمجرد ما وقع نظره عليها *
نظر بعين الفراسة اليها * ثم امر بقطع الاخشاب * ونقل الاحطاب *
فلم يكن الا كلمح البصر * حتى هدموا البيوت وقطعوا الشجر * ونقلوا
جميع ذلك الخشب والاعواد * وطرحوها في قعر ذلك الواد * فساووا

به الأرض * وملأوا طوله والعرض * وحين شعر اهل القلعة بهذه
الفعال * القوا النار والبارود على تلك الاخشاب فاخذت في الاشتعال *
واما اهل القلعة فلا ينال * لانه راكب على قلل الجبال *
فلم يهتد ذلك من امره * ولم يشرد من فكره * بل اخذ في الحال * كل
واحد من الرجال * ان ياتي من تلك القفار * بعدل من الاحجار *
فانبثوا كالنمل والجراد * في تلك المهامه والاطواد * والمرارى والمهاد *
وجابوا الصخر بالواد * في الحال ملأوا تلك الدار * من الحصباء
والحجارة * ثم امر ان يفعل بتلك الحجارة في ذلك المهوى البعيد *
ما يفعل بهم في جهنم يوم يقال لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد *
فالقوا في ذلك الوادي بعض ما لوه * من اكداس تلك الحجارة
فطموه * وبقي في بياد ذلك الحجر * اضعاف ما رمي من البصر * ولما امتلأ
الوادي من الاحجار * مشوا عليها وتربوا من الاسوار * ونصبوا السلالم
وتسلقوا * وبناصية مراميها تعلقوا * فاقلع اهل القلعة عن الكلام *
وطلبوا الامان وقالوا ادخلوها بسلام * وكان من الحصار والتلجئة *
في شوال سنة اربع وثمانمائة * ولما استقر فيها * امر بتلك الاحجار ان تنقل

من واديها * ففي الحال سقوها * وفي مكان اخذ وما منه رموها *
ثم ولين بها شجعا يذمي الشمس * وولى عنها كما ولى امس * ومدينة
القلعة نحو من نصف يوم من ارزنجان * ومن القلاع المشهورة
في الدنيا بالمنعة والعصيان * فلا جرم حين استولى عليها * وافضى
بصارمه الدكر اليها * وفتحها قهرا * ومنحها جبرا * ابرد بهذا المغنم
البارد * الى كل صادر في ممالكه وارد * بكتب ترجم فيها من الاخبار
كل سانح وشارد * وعنوان ملء الترجمة * بلفظها من غير ترجمة *

* شعر *

* بحمد سيوف دامياتٍ لذى الوغى * فتحنا بحمد الله حصن كماخ *
وذكر فيها ابن عثمان رخيا به اليه * وكيف رد جوابه الحمق عليه *
ومن جملته * وبعض ترجمته * انا ما جفوناه ولا تعدينا عليه *
ولكن رققناله القول وتلطفنا اليه * وقلنا له اخرج من قروح مملكته
مادة الفساد * وهي احمد الجلابري وقرا يوسف التركماني اللذان
اخربا البلاد واهلكا العباد * والرضا بالمعصية * معصية * والاقرار
على الكفر * كفر * والفاسق المجروم البائس * شر من الفاجر الظلوم

المُلايس * فصار في الفساد وزيريه وهو الامير * وفي العناد صغيريه وهو الكبير * وعاشراه على ذلك ووالياه فلم يمس المولى وليس العشير * فافسداه وما انصلحا * وخسراه وما ربحا * فكأنه عنى شأنهم * من اظهر قولهم وشانهم * بقوله

* شعر *

* ولا ينفع الجرباء قرب صحيحة * اليها ولكن الصحيحة تجرب *
ولم يزل على طريقته العوجاء * فاشبه لما اجار مما مجيرام عامر العرجاء *
فنهيناه فما انتهى * ونبهناه فما ارعوى * واريناه العبر * في غيره فما اعتبر * وفاداه لسان انتقامنا من المخالفين الحذر المحذر * وكنا وضعنا اسمه مع اسمنا * على عادة حشمتنا وادبنا في المراسلات ورسمنا * فتعدى طوره * وابدى جوره * وكان في بعض مراسلاته * وما وضعه في مكاتباته * كتب اسمه تحت اسم طهرتن * وهذا هو الواجب عليه والحسن * ولا شك ان طهرتن بالنسبة الينا * كبعض خدمنا واقل حشمنا * ثم انه اعني بايزيد لما طالع كتابنا * ورد جواب كتابنا * وضع اسمه فوق اسمنا بالذهب * وهذا لما فيه من كثرة الحماقة وقلة

الأدب * ثم ذكر انه توجه لروم * استخلاص ممالك الروم * وتشدق في هذا الخطاب * وتعمق في هذا الخطابة * فهو احد دهاتير الكتاب * والاساطير المستعان بها في الخطاب والجواب *

ذكر ما كرم ابن عثمان عليه * عند انصباب ذلك الطوفان اليه *

فلما بلغ ابن عثمان ما قصده * وانه جعل طالعه في سماء الحرب رصده * توجه لقتاله * واستعد لا بتقباله * وكان طلب مدينة استنبول محاصرا آثمها وكفارها * وقد قارب ان يفتحها ويضع الحرب منها اوزارها * وان جنده كان عنده * ولكن امر بطارقة الغزاة * والشواهين من كواسر جيشه والبزاة * وسراة السرايا وكرام كرمان * واحلاس خيل الشراحيل وقروم قرمان * واجناد ولايات منشا واسارة صاروخان * وجميع امراء التومانات والصناجق * واصحاب الرايات ورؤس الفيالق * ونواب جميع الثغور والامكنه * مما فوجا رتحت تختي بروسا وادرنه * وكل من دبج البحرا لاخضر * من بني الاصفر * من رايته البيضاء بالدم الاحمر * وفلق هو بيضاء كل غدو ازرق * بهامه السود طل حوايه الابلق * ان يعملوا مصلحتهم * وما خلوا

جند رعم راحلتهم * واستعان في ذلك بكل بطريق وملي هارجب *
وداخل في امان المسلمين على قتال كل باغ وخارجي * واستدعى
التتار * وهم قوم ذو يمين ويسار * ناس سواذج * لهم مواشي
لواتج * ملأوا الاقطار بمواشيهم * وعلوا الشواهق والهوادج بحرمهم
وحواشيهم * ربما يكون لواحد منهم عشرة آلاف جمل * ما منها
واحد حمل * ومثل ذلك افراس * ما انضج لها ظهر ولا ألجم لها فم *
واما الغنم والبقر * فلا تحصى عددها ولا تحصر * وما يعلم جنود ربك
الا هو وما هي الا ذكرى للبشر * لهم في ممالك الروم وقرمان
الى سواحل سيواس مشتيات ومصائف * وللملوك والسلاطين عليهم
اعتماد لكمالهم في انواع المبرات وظائف * لو قصدهم فقير او غريب
او طالب علم او اديب * جمعوا له من الغنم والبقر * والصوف والشعر
والسمن واللبن والوبر * ما يكفيه وذويه الى آخر العمر * وكانوا
يسمون لكثرتهم وما معهم من الامم * ثمانية عشر الف عالم * فلما
كل من صدق ذو بلاء الجبال فدى صوته بالاجابة * وبادر الى امتثال
اوامره بالاطاعة والاتابة * وانبعث اليه التتار بقسيهم وقبيهم بعثا *

وقيت اليه الاطواد عساكرها وبحار جنودها تائحا * وحف على ملوكها

تيمور عساكر الغزاة والمجاهدين حتا *

يكرها فعله ذلك الخداع المكار * ونمقه في تخييله عن ابن عثمان

جنود التتار *

وتلبث تيمور في امره * واستورى زناد فكره * فاورى زناده نارة *

ان يخذل عن ابن عثمان تتاره * فارسل الى زعمائهم * والكبار من

امرائهم دروس مائهم * وامرهم يدعى بالفاضل * وكان في المكرمات

من الافاضل * غير انه ما مارس الايام * ولا اطلع على مكائد اللئام *

ان حسبكم حسبي * ونسبكم متصل بنسبي * وان بلادكم بلادي *

اجدادكم * نكلنا فروع نعمه * واغصان دوحه * وان آباءنا

من قديم العصور وغابر الدهور نشأوا في عيش متوحد * ودوحوا في

وكر غير متعدد * فانتم في الحقيقة شعبة من شعبي وفصن من اغصاني *

وجارحة من جوارحي وخالصتي وخلاني * وانتم لي شعار * وباقي

الناس دثار * وان كان الناس ملوكا بالاكتساب * فانتم ملوك بالانتساب *

وان آباءكم من قديم الزمان * كانوا ملوك ممالك توران * فانتقل

شهم طائفة من غير اختيار الى عنده الا بار * فاعتوطوها وهم على
سائهم عليه من الكرامة * وشعار السلطنة واسباب الوعامة * ولم
يحوالوا على هذا النشاط والهزة * الى ان اذن ربهم الى رحمة الله فنقله اليه
وهم على هذه العزة * وكان المرحوم ارتنا آخر ملوككم * واكثرهم مالك
في بلاد الروم اصغرها لديكم * وليس بحمد الله في شوكتكم فله *
ولا في كثرتكم فله * كانى رضيتم لانفسكم بهذه الذلة * وان تصيروا
مستخزين * كانكم من المستخزين * وبعد ان كنتم اكاسرة مكرمين *
كنتم صرتم اصاغر مصغرين * ولستم بذي ارهوان ولا منعة * وارض
الله واسعة * ولم صرتم موقوفين * رجل من اولاد معتوقي طي
للملجوقي * ولا ادري ما العلة لهذا السبب * ومن اين هذا الاخاء
والنسب * مع تعادم الاتفاق * وانتفاء الاتساق * وعلى كل حال
فانا نزلنا بكم * واحق بعمل ما لكم وتهيئة اسبابكم * وان كان
لابد من اشتباط ذمامكم * وبيع تلك البلاد المصحة بمضايق
مسالك الروم * فلا اقل من ان تكونوا كاسلافكم حكاما * ما لكي نواصية
سياسيها راقين سادة بها * بايديكم فيها ما يضمن رخاءها *

وهذا اللهم انا بيتم اذا كفينا مذه المنازله * وقضينا الارب من هذه
المناضله * وتمهد لنا اليمن * وارتفع من البين ابن عثمان * فاذا
خلا الجو من المنازع * وصفت لي في هذه البلاد المهارع * وظفرت
بهذه الممالك * وسلكت فيها الطرق والمسالك * اعطيك القوس
باريها * وانزلك للدار بانيها * وردت المياه الى مجاريها *
وجعلتكم ملوك قراها وصياصيها * ومدنها وضواحيها * وقررت
كل واحد منكم على قدر استحقاقه فيها * وان رأيتم ان لا تعينوا علينا *
وامكنكم ان تنحازوا الينا * فاغتنموا فرصتكم * وخذوا من انتهازها
حصتكم * فانكم قريبون منا صورة ومعنى * واما الآن فكونوا
بظاهركم مع ابن عثمان وبباطنكم معنا * حتى اذا التقينا امتازوا *
والى عساكرنا انحازوا * ولا زال فعل كلامه ينزل على حجر حجرهم
ولا يحفر * مزخرفا بتمويهات تزري فصاحتها بكلام الاسود بن يعفر *
بما تضمن درر وافكارهم ليرد هم عن ان تتبع ابن عثمان وتغدر *
كعمل الشيطان اذ قال للانسان اكفر * حتى خابهم بهذا المقال *
واستعمرهم في معنى ما قال * واستقرأهم حب الرياسة اللذ ما لها

استرق احرار الصديقين * واستعبد كما رالاولياء والصالحين *
وكبكب في النار على الرؤس رؤس العلماء العاملين * فوافقوه
على الانخزال * منذ الموافقة للنزال *

ذكر ما صنعه ابن عثمان من الفكر الوبيل * وتوجهه الى ملاقاة
تيمور بعسكره الثقيل *

فاما ابن عثمان فانه خاف منه الهجوم * على بلاد الروم * لان
الزروع كانت قد استحصدت * وصدور الفواكه والثمار قد استنهدت *
وخضراوات الارض قد اسودت * والرعايا في ظل الامن والرفاهية
قد امتدت * فخشي ابن عثمان ان يصيب العباد منه ضرر * او يتطاير الى
قبائل بلاده من لهيب ناره شرر * فبادر الى ملاقاته * وساقته سوابق
المنون الى شرب كاسها في مساقاته * واراد ان يكون مصطدم النامس *
خارج بلاده على ضواحي بيواس * فاجرى من عساكره السيول
الهامرة * واخذ بهم على قفار غامرة * خلف وطن رعاياه * من مواطن
مطاياه * فانه كان على الضعيف من رعيته شفيقا * وبالفقير من جيشه
وخدمه رفيقا * يحكى انه كان في بعض مغازيه * فعطش بعض

حواشيه * فاتى في قرية بعض النساء * فطلب منها شربة ماء *
وكانت اشأم من البسوس * يضرب بها المثل في اللؤم والبوس * فقالت
ما عندي ما تشرب * فخذ طريقك ولا تتعب * وكان العطش قد
غلبه * ورأى عندها في بعض القعبة شربة لبن فشربه * فقالت
من اقوت الصبيان * واشتكت عليه لابن عثمان * فطلبه واستفسره *
فخاف شدة نقمته فانكره * فقال للمرأة انا ابعج قبقبه * واتبين صدقه
وكذبه * فان ظهر في بطنه اللبن * اعطيتك الثمن * وان تبينت بالصدق
قوله * جعلتك مثلة مثله * فقالت والله انه شربه * وما فهمت
في حقه بكذبه * ولكني فرجت كربته * وابرأت ذمته * فقال
لابد من اجراء العدل * وانهاء هذه الحكومة بالفصل * ثم دعا بالسيف
ووسطه * واجرى على بطنه ما شرطه * فانفجر بطنه وهو منعقر *
وجرى اللبن وهو بدمه ممذقر * فاشهره في الوثاق * ونادى عليه
هذا جزاء من يتناول في دولة الملك العادل ابن عثمان شيأ بغير
استحقاق * ثم ان ابن عثمان تابع الترحال * وسلك في رمضان
السفر صوم الوصال *

ذكر ما فعله ذلك الساقط * مع ابن عثمان وعسكره من المغالطة *

ولما بلغ تيمورلان ابن عثمان اخذ على الطريق الغامرة * نبذة نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم واخذ على الجادة العامرة * فحل هو وعسكره على ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون * ولسان حالهم الفصيح * ينشد في الآفاق ويصيح *

* شعر *

* لست ابالي بعد ادراكي العلى * اكان تراثا ما تناولت ام كسبا *

فلم يزالوا في مراح وزروع * ومراع وضروع * بين سدر مخضود * وطلح منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وهواء بالراحة مصبوب * ونعيم بالسلامة مصحوب * في امن رده * وخصب وسعه * آمنا من الوجل * سائرا على غير عجل * مستيقنا بالنصر والظفر * مستبشرا بالملك والوزر * مستتبعا تدبير القضاء والقدر * لا يبرد حرارة حميته لتسخين عين عدوه * واحراز المغنم البارد فتره * ولا في الليل كواكب عساكره المنتظمة نثره * ولا بين اسود لهذمه مكاسرة ولا نغره * ولا في قرام الاعادي التهذميات على موائد طعام

طعانيهم جبن ولا كسرة * فلم يفق ابن عثمان من رقاده * الا وتيمور
قد مر على بلاده * فقامت عليه القيامه * واكل يديه حسرة وندامه *
وزأر وزقا * والتهب حنقا * وكاد ان يموت خنقا * وسلب القرار
والهجوع * وعوم في الحال على الرجوع * فتلاطمت من بحر
عساكره امواجه * وتصادمت اثباج اطوادها وابراجه * فرجع عودة
على بدئه * واغرى بوصال الغيور حنينه * فنهكهم السير بسرعته *
والمكان بقفرته * والزمان بهجيرة * والسلطان بزئيره * فلم يدركوه
الا وقد ذاب كل منهم وصبا * وتلا لسان حاله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا

* فصل *

وكان تيمور قد وصل الى مدينة انقرة * وخيله ورجله مستريحة
موفرة * للقتال منتظرة * وللنزال متشمرة * بل لم يكونوا به مكترثين *
ولا به مختلفين * وقد سبقوا كصناديد قريش الى الماء * وتركوا
عساكره كمسلمي بدر في جانب الظماء * فهلكوا كربا واواما *
وقد اعطشا بلاما * وكأنه الى ذلك المنزل هو ارشدهم * وبلسان حاله

انشدهم *

شعر

* يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وانت رب المنزل *

وانقرة هذه هي التي ذكرها الاسود بن يعفر في قصيدته الطنانة وهي

شعر

* نزلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من اطواد *

* فاذا النعيم وكلما يلهى به * يوما يصير الى بلي ونفاد *

* فلما تدانت الجيوش من الجيوش * وضريت الوحوش على الوحوش *

وامتلأت منهم الصحارى والقفار * وتقابلت عليه اليسار باليمين واليمين

باليسار * اندفعت من عساكر ابن عثمان التتار * واتصلت بعسكر

تيمور كما رسما ولا واشار * وكانوا هم صلب العسكر * والاوفر من عساكر

ابن عثمان والاكثر * حتى قيل ان جماعة التتار * كانوا نحوا من ثلثي ذلك

العسكر الجرار * بل قيل ان ذلك الجمهور * كان نحوا من ثلثي جنده

تيمور * وكان مع ابن عثمان * من اولاده اكبرهم امير سليمان *

فلما رأى ما فعلته التتار * علم انه حل بابيه البوار * فاخذ باقي

العسكر * وتهقر من ميدان المصاف وتاخر * وترك اباه في شدة

الباسا * وانحزل بمن معه الى جهة بروسا * فلم يبق مع ابن عثمان
الا المشاة ومن دانامهم * وبعض من الكماة وقليل مامهم * فثبت للمجادلة
بمن معه من الرفاق * وخاف ان قران يقع عليه الطلاق * وكأنه في
تلك المعركة والمعركة * كان متمثلا بما قاله عنترة

* شعر *

* ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تسقك في دمي *
* فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم *
فصبر لحادث الدهر وما ازم * واراد ان يبقى على مذهب الامام مالك بما به
التزم * فاحاطت به اسارة الجنود * احاطة الاساور بالزنود * وحين
تيقنت الاسرة العثمانية بالكسرة * وعلمت انها قد وطئت في جيش العسرة *
ونبت المشاة على الكماة * واستعملت الاظفار * وكل صارم بتار *
وكانوا في ذلك المصاف * نحوا من خمسة آلاف * فندد وا الندادهم *
واباددوا اعدادهم * ولكن كانوا كما في الرمال بالكربال * او كالنيل
الجاري بالغربال * او محررا وزان الجبال * بقراريط المثقال * فلم يطرد
منهم قليلا ولا كثيرا الا الظهاد ومقول ذوات تلك الاسود * من غمام القتام

ضوامق الديم المدميات وامطار السهام السود * ونادى محرش القدر * وصياد القضاء الكلاب على البقر * فلم يزالوا بين وقيذ وواقذ * ومضروب بحكم سهم ماض فى القضاء نافذ * حتى صاروا كالشيام والقنافذ * واستمرت دروس القتال بين تلك الزمر من الضحى الى العصر * وانتقلت احزاب الحديد الى الفتح فتلت على الروم سورة النصر * ثم لما كلت منهم السواعد * وقل المواصر والمساعد * وتحكم فيهم الا باعد والمباعد * وقتلوهم بالسيوف والرماح * وملأوا بهم مائهم الغدران وباشلاتهم البطاح * ووقع ابن عثمان فى قنص * وصار مقيدا كالطير فى القفص * وكانت على المنكرة * على نحو ميل من مدينة انقرة * يوم الاربعا سابع عشري من ذى الحجة * سنة اربع وثمانمائة بحجه * وقد قتل هالب العسكر العطش والضمور * لانه كان ثامن عشرى تموز *

* فصل *

وارسل امير سليمان * الى بروسا لمقابل ابن عثمان * فاحتاط على مافيها من الخزائن والاموال * والحريم والاولاد ونفائس الاثقال * وانتقل بنفسه ذلك اليوم اليها * وراء البحر المحيط بكثير من الامكنه *

المنشعب من بحر مصر الآخذ بعد مايتقرنس * الى بلاد الدشت

والكرج الفاصل بينه وبين بحر القلزم جبل الجركس *

ذكر ماوقع من الخباط * بعد وقعة ابن عثمان في كل ثغر ورباط *

ولما حصل لرأس مملكة الروم هذه الوهكه * واندعكت اجسام

عسكرها الجسام اقوى دعكه * واخنى عليهم الجند المشوم * ونعق

في صباحها غراب البين ونعق في رواحها البوم * وتلا في محراب

انيسها على جماعتها امام القضاء والقدر الم غلبت الروم * خضعت

رؤسها ونواصيها * وتزلزلت حصونها وصياصيها * وتزعزع دانيها

وقاصيها * وانبهوطائعها وعاصيها * فحاصوا حيصة الحمر * وايسوا

من الاهل والاوطان والمال والعمر * اذ قد ذهب منهم الراس *

ولم يبق فيهم من يقيم الباس * فلما سمعوا ان امير سليمان ضم الناس

الى نحره * وعزم على العبور الى بر ادرنة بقطع بحره * سالت بهم

الاودية والشعاب اليه * وعولوا في خلاصهم من ذلك البلاء الطام عليه *

فصالحه اهل استنمول ووادهم * وعاهدهم على ان لايغدر كل منهم بالآخر

ومافهم * ثم قصدهم ان يعينوه على الوصول * بقطع البحر من ثغري

كاليبولى واستنبول * إذ ليس لهذين البحرين * من هذين البرين *
طريق قريب ومعبر سوى هذين الثغرين * فإن بحرا سكندرية *
يأخذ على انطاكية * وعلاية ثم يروم * بلاد الروم * فتحصره الجبال *
قبل وصوله بلاد الشمال * فلا يزال في حصره يضيق * وشقتا جانبيه
ترق * حتى تتراءى حافتاه * ويكاد تنطبق شفتاه * ومسيرة هذا
الانضمام * نحو من ثلاثة أيام * ثم يأخذ في المد والانبساط *
والجريان على وجه النشاط * ثم تدور وتكاثب امواجه وتتكدس *
ويأخذ نحو بلاد الدشت والكرج حتى تصل كما ذكر الى بلاد
الجركس * وما أمكن احدا من سواحر الحكمة ومهندسي النواقيس *
ان يعزز هذين المعبرين في مثل هذا الانضمام بثالث * فثغر كاليبولي
يد ملاحي المسلمين * وثغر استنبول بيد النصارى اعداء الدين *
وهو اعظم الثغرين * واجسم المعبرين * وكانت النصارى ملاحيه *
فصار غالب الناس يقصده وينتجيه * فاستطارت الفرنج فرحا واستطالت *
وخاضت في دماء المسلمين وحريمهم واموالهم وجالت * فإن ابن عثمان
كان بالحصار قد انهكها * وأبادة قراها وضواحيها واهلكها * وضيق

على أهلها في مجارف ارواحهم مسلكها * فبينما هم وقد بلغ السيل الزبا *
وجاوز الحزام الطبا * وانشب كل شر فيهم حده * واذا بتيمور جاءهم
بالفرج بعد الشدة * فاندفع عنهم بالضرورة ابن عثمان * وحصل لهم
بذلك الفرج والامان * وزاد ذلك بان احتاج المسلمون اليهم *
وتراموا في طلب الخلاص من العدو عليهم * فبعد ان زالت عنهم
الغصص * اغتنموا في دفع الثارات من المسلمين الفرص * فجعلوا
يوسقون المراكب من الناس والحمول * ويتوجهون بذلك الى صوب
استنبول * وان استنبول وراء ذروة جبل * ومنحرفة خلف قلة من التل *
وهي من اكبر مدن الدنيا * حتى قيل انها قسطنطينية الكبرى *
فكانوا اذا عطفوا وراء تلك الذروة بالمراكب * واستتروا بالهضبة
البائنة عن عين من هو في هذا الجانب * يصيرون كالاموات النازلين
الى الحفائر * المقفين في قعر اللحود والمقابر * لا يدرى الى اين
يتوجهون * والى اي نادٍ يصيرون * الى بر السلامة والاسلام *
ام الى دار الحرب وامر الكفرة الطغام * فيذهب منهم الذاهبون *
فلا يستطيعون توصية ولا الى اهليهم يرجعون * فاذا جاءت المراكب

وهي فوارغ * تعلق كل من هذه الخلائق فيها بجهد كامل وحد بالغ *
ولم يدر ماذا يجري عليه * والى ماذا يصير امره اليه * واشبهوا
في ابصارهم الكليلة وخطوبهم الجليلة * مالكا الحزين والسمك
المذكورين في كتاب كليلة * وحاصل الامر انه لم يسلم * من ذلك
السواد الاعظم * في كل غراب ادهم * الا مثل الغراب الاعصم *
واستطالت اعداء الدين * كيف شاءت على المسلمين * وقطع
امير سليمان البحر * واستولى على ذلك البر * وضبط ممالكه * وربط
مسالكه * وهو اوسع من هذا الجانب وافسح مرجا * واد ربيعا
واكثر خراجا وخرجا * واعظم حصونا واحكمه * وتحته مدينة ادرنه *
فاجتمع الناس على امير سليمان * وسهل الامر في الجملة شيأ ما وهان *

ذكر اولاد ابن عثمان * وكيف شتتهم واباد هم الزمان *

وكان للسلطان بايزيد المذكور * من الاولاد الذكور * امير سليمان
هذا وهو اكبرهم * وعيسى ومصطفى ومحمد وموسى وهو اصغرهم *
وكل منهم طلب لنفسه مهربا * وانحاز اليه من ابيه طائفة نجبا * فكان
منهم محمد وموسى في قلعة اماسيه * وهي خرشنة الشامخة العاصيه *

التي قال فيها ابو الطيب * شعر *

حتى اقام على ارباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع *

للسبي ما نكحوا للاسر ما ولدوا * للنار ما زرعوا للنهب ما جمعوا *

وقلة قلعتها شامخة * تنابقية الفلك عالقه * يعني النازل عنها في نزوله

منها * اكثر مما يعني الصائد الى غيرها * يسميها اهلها بغداد

الروم * لان قرار ارضها بنهر كبير من الوسط مقسوم * وبينها وبين

قونية مسيرة يوم للمجد * واما عيسى فانه لجأ الى بعض الحصون

واستكان * الى ان قتله اخوه امير سليمان * ومومى فيما بعد قتل

امير سليمان بعيسى * ثم ان محمدا قتل بعد الكل مومى * ونسخت الاحكام

المحمدية * شرائع الملة الموسوية والعيسوية * الى ان ما بعد حنف انفه

في اوائل سنة اربع وعشرين وثمانمائة او مات بشيء دس اليه على يد

قوجقار في الهدايا الملكية المؤيدية * وانتقل الملك من يد * الى مراد

ولده * وهو في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة مستقل به *

واما مصطفى فانه قد فقد و قتل نحو من ثلاثين مصطفى بسببه *

* عودا الى ما كنا فيه * من امور تصور وتوهميه *

لم إن تيمورلنك قبض على ابن عثمان * جرد الى بروسا طائفة من الجنود والاعوان * وأضافهم الى شيخ نور الدين * ثم اتبعهم بوقار مكين وجاش مستكين * فوصل اليها * ونزل نزول القضاء المبرم عليها * وضبطها وصلت اليه يده من جماعة ابن عثمان وحرمه * واموالها وخزائنه وحشمه وخدمه * وخلع على امراء التتار ورؤسهم * واستعطف خواطرهم بتطييب نفوسهم * ووزع امراءهم على امرائه * واضاف كل ظهير منهم الى رأس من رؤسائه * ووصاهم بهم وعليهم * وبالغ في ان يصلوا ما امكنهم من البر اليهم * ومشى على مشيه القديم * في استخلاص النفائس واقتناص النفوس وسبي الحريم * وجعل يحضر ابن عثمان كل يوم بين يديه * ويلاطفه ويباسطه ويترفق اليه ويستخرمنه ويضحك عليه *

ذكر ما فعله مع ابن عثمان من نكاية * خلت باوصافه القصيدة على مر الزمان حكاية *

ثم انه في بعض الايام جلس في مجلس عام * وخفض جناح النشاط للخاص والعام * وطوى بساط النهي والامر * ومد بساط الخمر

والزمر * وحين غص بالنامي المكان * استدعى مربعا ابن عثمان *
فجاء وفؤاده يرجف * وهو في قيوده يرسف * فسكن قلبه * وازال
رعبه * ثم احسن جلوسه * وازال بالاهتشاش اليه عبوسه * ثم امر
بافلاك العز وقد ارت * وبشموس الراح ان تسير من مشرق الكوب
الساقة الى مغرب الشفاه فسارت * وحين تقشعت عن شموس الساقة
سحاب الخمور * وداز في سماء العشرة نجوم يحثها من مراسيمه
بروج بدور * نظر ابن عثمان فاذا الساقة جواريه * وعامتهم حرمه
وسراريه * فاسودت الدنيا في عينه * واستحلى مرارة سكرات حينه *
وتصدع قلبه * وتضرم لبه * وتزايد كمده * وتفتت كبده * وتصاعدت
زفراته * وتضاعفت حسراته * ونكي جرحه واغل قرحه * ونشر على جرح
مصابه من قصبات لاسى ملحه * وكانت هذه نكاية لابن عثمان بما اسلفه في
مكاتباته بذكره النساء وحلفه * لانه سبق ان ذكر الحرم عند الجغتاى
وقبائل الترك من اكبر الجرم * واعظم من الخيانة في الحرم *
وايضا مكافاة لما فعله ابن عثمان * مع حريم طهرتن في اوزنجان *
ومن تمام اهانته لابن عثمان * احسانه لاولاد ابن قرمان * وكان

عمّ ذلك ابن عثمان * قد استولى على ممالك قرمان * وقتل متوليها السلطان علاء الدين بعد ان حاصره وقبض عليه * ونقل الى حبس بورسا محمدا وعليا ولديه * فلم يزالا عنده في ضيق وضنك * حتى افرج عنهما بالحبس عليه تمرلنك * فاخرجهما وخلع عليهما * وابرهما واحسن اليهما * وا ولاهما مأواهما وليس ذلك لحب على كرم الله وجهه ولكن لبغض معوية

* قلت *

* ولم يرفض معاوية محبا * عليا بل لان ربي يزيدا *

* وقيل *

* * وليس لحبه يحنو عليه * ولكن بغض قوم آخرينا * *

* وقلت بديها *

* اصادق ضد اعدائي وان لم * يكن بيني وبينهم ولاء *

* وابغض من يعادي لي صديقا * وان اثنى علي بما اشاء *

* وذاك لينتكي ضدي ويهنا * فتى قد سرني منه الاخاء *

والامير محمد هذا هو الذي قبض عليه الامير ناصر الدين * محمد بن

دُنقا راميرا لتراكمة المفسدين * وقتل ولدة مصطفى في البلاد *
وجهزه الى الملك المؤيد مكبلا * وذلك في شهر رجب سنة احدى
وعشرين وثمانمائة

ذكر وفود اسفنك بن رعايه * ومثوله سامعا مطيعا بين يديه *
ثم ان الاميرا سفنديار ابن بايزيد * وهو احد ملوك الروم وله
في السلطنة قصور مشيد * ورث الملك عن ابيه وكان مستقلا بالامرة *
وبينه وبين الملوك العثمانية عداوة موروثة ونفرة * وتحت حكمه
بعض مدن وقلاع * واوهلي وبقاع * منها مدينة سينوب المقبة
الجزيرة العشاق * يضرب بظرافتها المثل في الآفاق * وهي في البحر
من البحر في جزيرة كبيرة * سهيل الدخول اليها عسيرة * بها جبل
احسن من ارداف الحور * متصل بمعبر ادق من رقيق الخصور *
وهي معقل اسفنديار وملاذه * وحرز خزائنه وملاذه * اعصى
من ابليس * واوثق من كف بخيل تخاف التفليس * ومنها
قسطمونية تحت ملكه * وبحر نلكه * ومنها سام سون وهي قلعة
على جانب البحر للمسلمين * مقابلتها نظيرتها للنصارى المجرمين *

بينهما دون رمية حجر * وكل منهما آخذة من الاخرى الحذر *
وغير ذلك من القلاع والقرى * والقصبات في الوهد والذرى *
ولما بلغه ما فعله تيمور الغدار * مع اولاد بن قرمان والتتار * ومع
قرايلوك وطهرتن حاكم ارزنجان * والامير يعقوب بن علي شاه
متولي كرمان * ومن توجه اليه من حكام منشا وصارخان *
وانه لا يهيج من اطاعه * وتلبس لامره بالسمع والطاعه *
سارع الى المثول بين يديه * وتهيأ للوفود عليه * فاقبل بالتحف
العاليه * والنتف الغاليه * فقابله بالبشر * وعامله باليسرا *
واقره في مكانه نكاية لابن عثمان * ثم امره واولاد قرمان *
ومن انتسم له ببيسم الطاعة والاذعان * من امراء تلك الاكناف
والاكنان * ان يخطبوا ويضربوا السكة باسم محمود خان *
والامير الكبير تيمور كورگان * فامتثلوا امره * وحذروا زواجره *
وامنوا بذلك الغارة والمصادره * وتوفي اسفنديار الملكور *
في شهور سنة ثلاث واربعين وثمانمائة وهو طاعن في السن وهو من اواخر
ملوك الذين وفدوا على تيمور * واستولى بعده على ممالكه ولده ابراهيم بك ووقع

بينه وبين اخيه قاسم بك مشاجرات والحاز قاسم الى المالك مراد بن
عثمان * ولله الامر من قبل ومن بعد *

* فصل *

ثم ان تيمور اخرج مال ابن عثمان وغيره من الذخائر * واستصفى
لخزانته ما كان ارثا وكسبا للملوك الاروام من النفائس والاخائر *
وشتى في ولايات منشا * وانقى لدروسها مباحث تصريفه كيف شا *
وانتهى الى اقصاها * وحرر البحث في مسائل الخمس والمغانم
فاستقصاها * وانبثت جنوده في آفاقها * وغاصت في بحار ممالكها من
اثباج اطوادها الى قرار اعماقها * فمن فارع الى جبال جبابها
وقميص صبابها * ومن متعلق باذان مراميها ومتسلق باذيال نواصيها *
ومن راكب اكتاف اكنافها نازل في سواحلها * دانس بازجل
سعيه خدود روضها الانف جانس بكامل متاملها * ومن دامغ دماغها
بامداب رماحه لاجل العين * بالغ من غير حاجب له منها ما رام باليد
واليدين * ومن حال على نهد صدورها * تال رؤسها ووجوهها للجبين
على ظهورها * ومن ماد اناملة تعديه من غير كف الى معاصيها ومرافقها *

كادِيَاقُ امِ الفَسادِ في بُطُونِ مَغارِبِها وافْخاذِ مَشارِقِها * فَجَزُّوا الرُّؤُسَ وحَزُّوا الرِّقابَ وفَتُّوا الاعْضادَ * وبَتُّوا الأكْتادَ وحَرَّقُوا الأكْبادَ * وشَوَّهُوا الوجُوهَ وأسالُوا العُيُونَ * واشْخَصُوا الأبْصارَ وبَطُّوا البُطُونَ * وأخْرَسُوا الألْسِنَةَ * وصَكُّوا المَسامِعَ * وأرْغَمُوا الأُنُوفَ * وأذَلُّوا العَرانِينَ * وهَشَمُوا الثُّغُورَ * وحَطَمُوا الصُّدُورَ * وقَصَمُوا الظُّهُورَ * ودَقُّوا الفِقَرَ * وشَقُّوا السُّرَرَ * وأذابُوا القُلُوبَ * وفَطَرُوا المَرائِرَ * وأراقُوا الدِّماءَ * واستَحَلُّوا الفُرُوجَ * وأحَرُّوا الأنْفاسَ * وأبادُوا النُّفُوسَ * وسَبَكُوا الأشْباحَ * وسَلَبُوا الأرْواحَ * ولَمْ يَخْلُصْ مِن شَرِّهِم مِن رَعايا الرُّومِ الثُّلُثُ ولا الرُّبُعُ * وصارَتْ جَماعاتُهُم فِيهِم ما بَيْنَ مُنْخَنِقَةٍ ومَوْقُوذَةٍ ومُتَرَدِّيَةٍ ونَطِيحَةٍ وما أكَلَ السَّبُعُ *

ذكر فتح قلعة ازمير وحتفها * ونبذة من عجيب وضعها ووصفها *

وهاهِيَ قَلْعَةُ ازمِيرَ * وهِيَ حِصْنٌ في وَسَطِ البَحْرِ مَنالُهُ عَسِيرٌ * بِهَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ وزايٍ مُعْجَمَةٍ ومِيمٍ مَكْسُورَةٍ وياءٍ ساكِنَةٍ وراءٍ مُهْمَلَةٍ * قَلْعَةٌ قَدْ قُلِعَتْ في البِحارِ * وأضْرَمَتْ في قَلْبِ خاطِبِها بِتَمَنِّيها وعِصْيانِها النّارَ * أعْصَى مِن قِلاعِ الجِبالِ * وأقْصَى في المَنالِ أنْ تُنالَ بِخَيْلٍ

ورجال * فاعدّ لها انواعاً من آلات المحاصرة * واخذها يوم الاربعاء
عاشر جمادى الاخرة * سنة خمس وثمانمائة * سادس كانون الاول
من السنين الرومية * فقتل كبارها * واسر نساءها وصغارها *
وبقي من ابدان القتلى جوامع وشيد من رؤسها منارها * ثم سلب
من القلعة غناءها وافقرها * واقوا ها من ذخائرها واقفرها * واخلاها
وقد استصفى منها ابيضها واصفرها * وطير بهذه الامور اجنحة البشائر *
واطارها على رحمه في الآفاق باسعد فال واسرع طائر *

ذكر ما صنعه من امر مروم * وهو في بلاد الروم * من قصده بلاد النحطا *
واستخلاص ممالك الترك والجتا * وافتكاره وهو في الغرب مشغول *
في استصفائه سائر ولايات الشرق والمغول * وكيف عاندته القضاء
المبرم * بنازل الهب فؤاده واضرم * فصادمه الزمان وعكس غرضه *

وهذه كالجملة المعترضة *

ثم ان تيمور كان قد استتب له من سمرقند سبطه * محمد سلطان
والامير سيف الدين برقطه * كما ذكرا ولا وكان محمد سلطان هذا للفضلاء
ملاذا * وللعلماء معاذا * مخايل السعادة في غضون جبهته لائحة *

وبشائر النجابة من امارير طلعته واضحه *

* شعر *

* في المهد ينطق عن نجابة جده * اثر السعادة لائح البرهان *
وسيف الدين هذا هو احد رفقاء تيمور في ميداه * واس اركان
دولته في منتهاه * وهما اللذان كانا فانيا اشبارة * واسسا فيها قواعد
النهب والغارة * هي في نحر بلاد المغول والجتا * واقصى حدود ما ينتهي
اليه حكم تيمور وميداً بلاد الخطا * وولّيا بها اميرا يدعى ارغون
شاه * وامدّاه بطوائف من العساكر وفي ثغر المغول ارصداه * كل هذه
الامور * بأوامر تيمور * ولا شرعا في ذلك * لم يرض المغول بهذا
الفعل الحالك * لانهم كانوا يعلمون ان ذلك الا سعى * اذا جاورهم
لا بد انه في الفساد يسعى * فلا يأمنون غائلته * ولا يطيقون
مجاورته * فتشوشت خواطرهم * وتكدرت ضمائرهم * فاستوفزوا
للغدر * واخلاد اليد بار * فزاد الجفتاي فيهم طمعا * ومد كل
من اشراز الطائفتين الى الاضرار يد التطاول * رجل الفساد وسعى *
وشرب كاسات التحرم غائل ما حل بيده وما تزهد في تعفيه ورعا *

وفرح الجغتاى بذلك * وزعمت العداوة بين الجانبين فسد كل
على الآخر طرق المسالك * وجعلوا يرسلون اليهم السرايا * ويحملون
ما تصل يدهم اليه من متعلقاتهم اليهم * وجعل المغول ايضا يفعلون مع
الجغتاى ذلك * وتربصوا بتيمور ليعيد * منهم ريب المنون وتشتروا
بعقوبات المهالك * واتصل الخبر بتيمور * فسر بذلك اشد السرور *
ثم انهما حصنا ما بالامية الكاملة * والعدة الشاملة والرجال المقاتلة *
منهم طائفة من عساكر الهنود وملتان * وقوم من جند عراق العرب
واذربيجان * وفرقة من فوارس فارس وخراسان * وشرذمة من اناس
قد عمى جانبي قربان * واضافوا هؤلاء الكماة * مع ترمان من ياشاق
الجغتاي الى الامير ارغون شاه * ووصلا الى سمرقند * وقطعا نهر
رقد سمرقند * وولى بها اميرا يدعى خواجه يوسف * فكان في قبيل
الطاعة والاخلاص ليوسف * ثم خرجا من سمرقند تاصلين من ذلك
الغشوم * ثم انهما عاتا جميعا سيف الدين في خراسان ومحمد سلطان
في بلاد الروم * فوقع تيمور في الاحزان * على حفيد ومحمد سلطان *
ونيس عسكره السواد * واقاموا شرائط الحداد * ولم يكن بهم حاجة

الى السواد المعلم * فانهم كانوا السواد الاعظم * ثم جهز عظامه في تابوت * الى سمرقند مع عظموت وجمروت * ورسم ان يلقاه اهل المدينة بالنوح والبكاء * ويقيموا عليه شرائط العزاء * وان لا يبقى احد من العباد * الا ويلبس من فرقه الى قدمه السواد * فخرج اهل سمرقند عند سماع فاته * وقد انغمسوا في السواد لملاقاته * وصار الشوب والوضيع والدني والرفيع بالسواد معلما * فكأنما اغشي وجه الكون قطعا من الليل مظلما * فدفنوه بمدرسته الحصينة المعروفة باشنايه * داخل المدينة وذلك في سنة خمس وثمانماية * ولما هلك الله تعالى جده * دفنوه كما سيأتي ذكر ذلك عنده *

ذكر حلول غضب ذلك الصياد * على الله داد * ونفيه اياه الى اقصى البلاد *

ولما توجه الثقل من ماردين صحبة الله داد * وفارقه تيمور متوجها الى استخلاص بغداد * وكان الله داد * له انداد * واكفاء وحساد * واعداء وانكاد * والحسد في عنق صاحبه غل قيد * وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل * وجد اعداوة للطعن فيه مجالا * وفي مقام ثلب عرضه مقالا * فانتهزوا فرصة غيبته * واكلوا بلا ملح

لحمه وتنقلوا بغنيمته * ووشوا به الى تيمور * وذكروا ما فعله في الشام من الامور * وانه انمس من ذخائرها ما لا يحصى * واختلس لنفسه من نفائسها وتعلق به من امتعتها ما لا يستقصى * وكان كما قالوا * وما املوا اكثر مما نالوا * فبدد وامره * واوغروا عليه صدره * لا سيما وقد قص جناحه بموت سيف الدين اخيه * وكان من الابهة والمهابة بحيث ان تيمور كان يخافه ويوقره * وله في ممالك ما وراء النهر مآثر مشهودة * ونتائج فكر باقية معهودة * فلما وصل الله داد الى سمرقند * اعقبه تيمور مرسوما من عنده * بان يتوجه الى اشبارة * ويستعد هناك للنهب والغارة * وذلك كالنفي لاله داد * والقائه في اقصى البلاد * وطرحه في نحر المخالفين وتفريد العناد * وانتقل منها الى سمرقند ارغون شاه * ولم يزل بها الله داد الى ان انتقل تيمور الى لعنة الله * فجعلت المغول تجهز الى اشبارة الغيالي * وتنهب ما تصل اليه يدها من صامت وناطق * وتغتنم الفرصة لبعد تيمور عنها * وكان الله داد يحترز اشد الاحتراز منها * وهو مع ذلك يجهز لهم التجاريد * ويحفر لهم بالمكر الآبار والاخاديد * ويقتل

ويأمر * ويحثّ ويحرّض * حتى اقوا ما بعد تيمور * وسيأتي

ذكر هذه الامور *

نموذج يدل على عمق ذلك البحر المحيط * وما كان يصل اليه

غوّاص فكرة النشيط *

ثم لما كان تيمور المشوم * مخيّما ببلاد الروم * انهد الى الله داد مراسله

فيها امور مجملة ومفصلة * آمره بامتثالها * وارسال الجواب

بكيفية حالها * منها ان يبيّن له او ضاع تلك الممالك * ويوضح له

كيفية الطرق بها والمسالك * ويذكر كيفية مدنها وقراها * ومدها

وذراها * وقلاعها وصياصيها * وادانيها واقاصيها * ومفاوزها

واوعارها * وصحاريها وقفارها * واعلامها ومنارها * وميامها

وانهارها * وقبائلها وشعابها * ومضائق طرقها ورحابها * ومعالمها

ومجاهلها ومراحلها * ومنازلها خاليها وآهلها * بحيث يسلك في ذلك

طريق الاظناب المخل * ويتجنب مأخذ الايجاز وخصوصا المخل *

ويذكر مسافة ما بين كل منزلتين * وكيفية السير بين كل مرحلتين *

من حيث تنتهي اليه طاقته * ويصل اليه علمه ودرايته * من جهة

الشرقي ومما يلي الخطا وتلك الثغور * والى حيث ينتهي اليه من جهة سمرقند علم تيمور * وليعلم ان مقام البلاغة في معاني هذا الجواب * هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو وتطويل واطناب * وليملك في بيانه الطريق الاوضح من الدلالة * وليعدل عن الطريق الخفي في هذه الرسالة * الى ان يغرق في وصف الاطلال وحدود الرسوم * وتعريف الدمن مضغة الشيح والقيصوم * فامتثل الله داد ذلك المثال * وصور له ذلك على احسن هيئة وآنق تمثال * وهو انه استدعى بعلبة اطباق * من نقي الاوراق واحكمها بالالصاق * وجعلها مربعة الاشكال * ووضع عليها ذلك المثال * وصور جميع تلك الاماكن * وما فيها من متحرك وساكن * واوضح فيها كل الامور * حسبما رسم به تيمور * شرقا وغربا * بعدا وقربا * يمينا وشمالا * مهادا وجبالا * طولا وعرضا * سماء وارضا * مرداء وشجراء * غمراء وخضراء * منهلا منهلا * ومنزلا منزلا * وذكر اسم كل مكان ورسمه * وتمييز طريقه ووسمه * بحيث انه بين له فضله وعيبه * وابرز الى عالم الشهادة غيبه * حتى كانه مشاهدة * ودليله وراشده *

ويأمر * ويطعن ويكسر * حتى اقواها بعد تيمور * وسيأتي

ذكر هذه الامور *

نموذج يدل على عمق ذلك البحر المحيط * وما كان يصل اليه

غواص فكرة النشيط *

ثم لما كان تيمور المشوم * مخيما ببلاد الروم * ابرد الى الله داد مراسله *

فيها امور مجملة ومفصلة * آمره بامتثالها * وارسال الجواب

بكيفية حالها * منها ان يبين له اوضاع تلك الممالك * ويوضح له

كيفية الطرق بها والمسالك * ويذكر كيفية مدنها وقراها * ووهدها

وذراها * وقلاعها وصياصيها * وادانيها واقاصيها * ومفاوزها

واوعارها * وصحاريها وقفارها * واعلامها ومنارها * وميامها

وانهارها * وقبائلها وشعابها * ومضائق طرقها ورحابها * ومعالمها

ومجاهلها ومراحلها * ومنازلها خاليها وآهلها * بحيث يسلك في ذلك

طريق الاظناب المثل * ويتجنب مأخذ الايجاز وخصوصا المخل *

ويذكر مسافة ما بين كل منزلتين * وكيفية السير بين كل مرحلتين *

من حيث تنتهي اليه طاقته * ويصل اليه علمه ودرايته * من جهة

الشرقي ومما يلي الخطا وتلك الثغور * والى حيث ينتهي اليه من جهة سمرقند علم تيمور * وليعلم ان مقام البلاغة في معاني هذا الجواب * هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو وتطويل و اطناب * وليسلك في بيانه الطريق الاوضح من الدلالة * وليعدل عن الطريق الخفي في هذه الرسالة * الى ان يغوق في وصف الاطلال وحدود الرسوم * وتعريف الدمن مضغة الشيح والقيصوم * فامتثل الله داد ذلك المثال * وصور له ذلك على احسن هيئة وآنق تمثال * وهو انه استدعى بعدة اطباق * من نقي الاوراق واحكمها بالالصاق * وجعلها مربعة الاشكال * ووضع عليها ذلك المثال * وصور جميع تلك الاماكن * وما فيها من متحرك وساكن * واوضح فيها كل الامور * حسبما رسم به تيمور * شرقا وغربا * بعدا وقربا * يمينا وشمالا * مهادا وجبالا * طولا وعرضا * سماء وارضا * مرداء وشجراء * غبراء وخضراء * منهلا منهلا * ومنزلا منزلا * وذكر اسم كل مكان ورسمه * وتمييز طريقه ورسمه * بحيث انه بين له فضله وعيبه * وابرز الى عالم الشهادة غيبه * حتى كانه مشاهده * ودليله ورائيه *

وجهز ذلك اليه * حسبما اقترح عليه * كل ذلك وتيمور * في بلاد الروم يمور *

ذكر ما فعله ذلك المكار * عند تنجيزه امر الروم من الغدر بالتتار *

ولما صفا لتيمور شوب ممالك الروم من الكدر * وقضى الكون من افعاله العجب واهل الروم النكب وجيشه من الغارة الوطر * وامتلأ من المغانم واد سيله العرم * وكان فتى الربيع قد ادرك وشيخ الشتاء قد هرم * وانذر الى رحمة الله المجيد * السلطان السعيد * الغازي الشهيد ايلدريم بايزيد * وكان معه مكبلا في قفص من حديد * وانما فعل ذلك تيمور * قصاصا كما فعله قيصر مع شابور * وكان قصد استصحابه الى ما وراء النهر * فتوفي معه في بلاد الروم في آق شهر * وفي هذا المكان * توفي حفيده محمد سلطان * وعزم على الرحيل * وحزم احمال التجمل * ثم جمع رؤس التتار * وقد اضمر لهم الدمار والبوار * وقال قد آن ان اكافيكم بما صنعتم * واجازيكم بما فعلتم * ولكن قد اضر بنا المقام * وملنا الاقامة في مضايق الآرام * فهلم نخرج الى الفضاء الفسيح * ونشرح صدورنا من ضيق الزمان والمكان في المهامه

الفسيح * ضواحي هيواس * ومتنزه النامس ومشوى الاكياس * فهنالك
تضبط احوال هذا الاقليم الوريف * ونقرر كلا منكم فيه حسبما يقتضيه
رأينا الشريف * فانه لابد من تفصيل جمله * وامعان النظر في كيفية
تدبيره وعمله * وحصر مدنه وقلاعه * وضبط قراه وضياعه *
وحسبان توامينه واقطاعاته * والاحاطة بافراده وجماعاته *
فاذا فصل لنا ما اجمل * ووضح عنا ما منه استشكل * فحصنا عن
رؤوسكم وجماجمكم * وتوصلنا الى معرفة اخباركم وتراجيمكم * وجمعنا
رؤساءكم * وحصرنا زعماءكم * واحصينا اعدادكم * واستقصينا
آباءكم واجدادكم * واعتبرنا اخوانكم واولادكم * ونظرنا متعلقيكم
واحفادكم * وتحققنا شعار الروم ودثارهم * واورثناكم ارضهم
وديارهم * ثم فرضنا هذه المسئلة على اعداد الرؤوس * وقسمنا نفائس هذه
الممالك على النفوس * ثم رددناكم اليها مكرمين * وكفينا كم وعياتكم
العيلة اذ كنتم علينا معولين * وعلى كل حال فانا نفعل مع كل منكم
ما يجب فعله * ونبقي عليكم من افعالنا ما يتخلد في بطون الدفاتر
والتواريخ نقله * فكل منهم ارتاح لهذا القول * وعول في هذه المسألة

على موافقة الرد ولم يعلم ما فيها من العول * فلما توافقوا على هذه الحركة بنفس ساكنة * لم يقع منهم في هذه الموافقة على كثرة عدد رؤسهم المتماثلة مباينة * فساروا بالناس * حتى بلغ سيواس *

* فصل *

ولما برق ركام ركابه المتراكم في آفاق سيواس ورعد * وحان له أن يفيء لطائفة التتار بما وعد * جلس جلسة عامه * وأقام من زبانيته الهند طائفة طامه * ثم دعا من التتار الوجوه والرؤس * والظهور والضروس * ومن تخشى مضرته * وتتقى معرته * والمردة من شياطينهم * والعتاة من أساطينهم * فاستقبلهم بوجه طلق * ولسان بالحلاوة ذلق * وأجلسهم مكرمين في مكانهم * وزاد في تمكينهم وإمكانهم * ثم قال قد كشفت بلاد الروم ونواحيها * وتبينت جميع قراها وضواحيها * وقد أهلك الله عدوكم فاستخلفكم فيها * وانا ايضا أفوض ذلك اليكم * وأذهب عنكم واستخلف الله عليكم * ولكن أولادنا يزيد غيرتا زكيكم * ولا يرضون بأن يكونوا فيها مشاركيكم * وأما صلحهم فقد سددت فعالكم مع آبيهم طريقه * فلا مجاز لكم الى شريعته على الحقيقه *

ولا شك انهم يرأبون صدعهم * ويلتئمون جمعهم * ويستوحون
عليكم اهل المدر والوبر * ويلبيهم بالاجابة كل من يبلغه دعوتهم
لانكم في زعمهم آل غدر * فيلبسون لكم جلد النمر * ويصلونكم
الحمر بكل آمر ومؤتمر * فيقرضونكم من كل جانب * ويختطفونكم
من الاطراف والجوانب * لا سيما وبيدهم غالب الحصون والدساكر *
وتحت اوامرهم من بقي من طوائف الجنود والعساكر * فان كنتم
كما انتم في الناس فوضى * فانهم يخوضون في دمائكم خوضا * فعوا
واسمعوا * ان كنتم لم تعقلوا ولم تسمعوا *

* شعر *

* لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا *
واما انا فلست منكم بدان * ولا لي في المدافعة عنكم يدان *
فلا بد لعقد امركم من نظام * ولصلوة جماعتكم من شرائط واركان
يجب القيام بها اولا والسلام * واول شرائط ذلك امام * يرجع الى
الاقتداء بافعاله الخواص والعوام * ثم بعد ذلك ترتيب الجماعة *
وتنزيل كل واحد في صف السمع والطاعة * ثم وضع الاشياء في محلها *

وزمام المناصب والوظائف في يد أهلها * وايصال كل مستحق الى استحقاقه * وجمع الرأي على امر واحد باتفاقه * فاذا اتفقت آراؤكم وائتلفت اهواؤكم * وعظمت ابناؤكم كبتت اعداؤكم * وكنتم يدا واحدة على من ناواكم * وانتصرتم على من خالفكم وعاداكم * وكان ذلك احرى ان لا تمتد اليكم بمكروه يد * ولا ينالكم من مخالفيكم كيد ولا كد * وعليك انما يتم بالنظر في احوالكم * والتفحص عن امر خيلكم ورجالكم * وضبط الاهبة والسلاح * فان ذلك آلة الظفر والفلاح * فليتخذ كل منكم ولدا وآلة * وليحضر خيله ورجله * وليأت بعدة وعديد * وجنيد وولد * وليعرض ضرورته ان كانت * ولا يستصعبها فقد هانت * فمن كان محتاجا الى اكمال شيء اكملناه * ومن كان معتازا الى ايصال شيء اوصلناه * واضفناه الى كل ما تجب اضافته * فتحصل امنه وتذهب مخافته * فاعرضوا اول شيء علينا سلاحكم * حتى نكمله ونعمل صلاحكم * فاحضر كل منهم اهبته * وعرض عليه عدته * وطرحوه في ذلك الجمع العظيم * فتراكم فكان كالطود العظيم * كما فعل اول الزمان * بأهل مدينة سجستان * فلما طلب تلك الاسود

بدائعهم وآنيابهم بهذه الاساليب * وخلب آولئك الكواسر الجواسر
على مناقيرهم والمخاليب * واولج صارم فكره الذكر في احشاء عقولهم
وانزل * وصار سماك سماء عزهم الرامح وقد نحره سعد الذابح اعزل *
امر كل من عنده احد من التتار * ان يقبض عليه ويوثقه بقيد
الاسار * ثم امر برفع تلك الاسلحة الى الزردخانه * وقد اشعل قبائل
التتار بجمر البوار واصعد الى العيوق دخانه * فغث ذلك من اعضادهم *
وبث من اكبادهم * وقصم ظهورهم * واشعل نارهم واطفأ نورهم *
ثم تلافى خواطرهم بالمواعيد الكاذبه * واستعطف قلوبهم بالاماني
الخائبه * واستصحبهم بالاقوال المموهه * والافعال المشوهه *
وحال بهم الحال * وامرني الحال بالمسير والترحال * قيل ان
السلطان بايزيد * قال لذلك العنيد * اني قد وقعت في مخاليبك *
واعلم اني غير ناج من معاطبك * وانك غير مقيم * في هذا الاقليم *
ولي اليك ثلاث نصائح * من بخير الدارين لوائح * اولا من لا تقتل
رجال الاروام * فانهم رداء الاسلام * وانت اولى بنصرة الدين *
لانك تزعم انك من المسلمين * وقد وليت اليوم امر الناس * وصرت

لِبُدْنِ الكَوْنِ بِمَنْزِلَةِ الرَّاسِ * فَإِنْ حَصَلَ لَوْ فِيْ اِتِّفَاقٍ مِنْ تَقَدِّي
يَدِكَ بَسْطٌ وَتَكْبِيرٌ * تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * ثَانِيَتُهُنَّ
لَا تَتْرُكِ التَّتَارَ بِهٰذِهِ الدِّيَارِ * فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الفِسْقِ وَالفَسَادِ فَلَا تُهْمِلْ
أَمْرَهُمْ * وَلَا تَأْمَنْ مَكْرَهُمْ فَخَيْرُهُمْ لَا يَعْدِلُ شَرَّهُمْ * وَلَا تَذَرْ عَلَى أَرْضِ
الرُّومِ مِنْهُمْ دَيَّارًا * فَإِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَمَا مِنْ قَبَائِلِهِمْ نَارًا *
وَيُجَرُّوا مِنْ دُمُوعِ رَعَايَا عَبِيدِ مَائِهِمْ بِحَارًا * وَهُمْ عَلَى المُسْلِمِينَ
وَبِلَادِهِمْ أَضَرُّ مِنَ النَّصَارَى * وَانْتَ حِينَ فَحْصِكَ تَعْلَمُ عِنِّي زَعَمْتُ أَنَّهُمْ
أَوْلَادُ إِخْوَتِكَ * وَبَنُو عَمِّكَ وَذَوُو قَرَابَتِكَ * وَالأَوْلَى بِجَمَاعَتِكَ
وَنَاحِيَتِكَ أَنْ تَتْبَعَكَ * وَبِكُلِّ مَنْ أَوْلَادِ اَخِيكَ أَنْ يَقُولَ لَكَ عَمِّ خُذْنِي مَعَكَ *
فَاعْمِلْ اَفْكَارَكَ المُصِيبَةَ فِي اِخْرَاجِهِمْ * وَاِذَا اَدْخَلْتَهُمْ حَبْسًا فَلَا تُطْعِمْهُمْ
فِي اِفْرَاجِهِمْ * ثَالِثَتُهُنَّ لَا تَمُدَّ يَدَ التَّخْرِيبِ اِلَى قِلَاعِ المُسْلِمِينَ
وَحُصُونِهِمْ * وَلَا تُجْلِهِمْ عَنْ مَوَاطِنِ حَرَكَتِهِمْ وَسُكُونِهِمْ * فَإِنَّهَا مَعَاقِلُ
الدِّينِ * وَمَلْجَأُ الغُزَاةِ وَالمُجَاهِدِينَ * وَهٰذِهِ اَمَانَةٌ حَمَّلْتُكَهَا * وَوِلَايَةٌ قَلَّدْتُكَهَا *
فَتَقَبَّلْهَا مِنْهُ بِاَحْسَنِ قَبُولٍ * وَحَمِّلْ هٰذِهِ الأَمَانَاتِ ذٰلِكَ الإِنْسَانَ الظَّلُومَ
الجَهُولَ * وَاسْتَكْثِرْ مَا عَلَى عَقْلِ ابْنِ عُثْمَانَ * وَرَبِّنِي بِهَا بِقَدْرِ الطَّاقَةِ وَالإِمْكَانِ *

ذكر ارتفاع ذلك الغمام * بصواعق بلائه عن ممالك الارمام

وصار فثار غبار * أخذ عين الشمس منه الانبهار * وفار بحار الشتار *

فكأن البحر امده الله بسبعة بحار * فمر لا يدخل قرية الا افسدها *

ولا ينزل على مدينة الا محاها وبددها * ولا يمر على مكان الا دمره *

ولا ينجذب عن ربقة طاعته جيد الا كسره * ولا يمتنع عليه شمراخ

حصن شامخ الا صعره * فخلع على عثمان قرا يلوك حين وصل

الى ارزنجان * وقرره في ولاياته وزاده بعض معان ومغان *

ووصاه بشمس الدين الذي ولاه قلعة كماخ * وان يكون

كل منهما للاخر قوة وطباخ *

ذكر انصباب ذلك العذاب ماء ونارا * على ممالك الكرج وبلاد النصارى

ثم لم يزل يلجج بذلك البحر اللجي * حتى ارسى على بلاد الكرج * وهم قوم

يعبدون المسيح * ملكهم غير فسيح * ولكنه مصون * بواسطة قلاع

وحصون * ومغائر وكهوف * وجبال وجروف * وتلال وحروف *

وكل من ذلك اعصى في المنال * من نفس كريم سيم الانذال *

ومن مدنهم تفليس * وكان اخذ هاذلك الابليس * وطرابزون وآب خامس *

وهي التخت بالاختصاص * فتمنعت منذ الاماكن عليه * ولم تسلم
قيادها اليه * فاقام بحاصرها * وقعد يناقرها ويناقرها * فمن ذلك
مغارة بابها في وسط جرف شاهق * آمنة من البوائق عالية من الطوارق *
وسقفها آمن من صواعق المجانق * وذيلها ارفع من ان يتشبث به
علائق المسالق * مدخلها اخفى من ليلة القدر * وعدم التوصل
اليها اجلى من القمر ليلة البدر * فاولع بحاصرتها * والتزم
بمضاجرتها * واستعمل من فكره مهندسه * وجعل لا يقر من الافكار
والوسوسه * ثم انتج رأيه المتين * وفكره الرصين * ان يرسل
عليها عنابا من فوقها * وان يصطاد تلك الحمامة الصاعدة في الجو
بارجلها من طوقها * فامر ان يصنعوا له توابيت على هيئة الدبابات *
كأنهن شياطين النساء للرجل غلابات * واوثقهن بالسلاسل
الحكيمه * واوسقهن بالرجال ذوي الشكيمه * وادلاهن من تلك
القلال * واهواهن من شواهق الجبال * فتدلين في الهواء * تدلية
مبرم القضاء * فملأن النفانف * وارجفن من الجبال والرجال
الروانف * وصار لسان حال تلك الصقور والشواهين ينادي كل

مِنْ رُؤَاهُ * الَمْ تَرَ الَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ اِلَّا اللّٰهُ *
فَجَثَمُوا بِبَابِ تِلْكَ الْمَغَارَةِ * كَبَتَهُمْ بِالنِّبَالِ الْمُحَارَةِ * وَكَفَوْهُمْ
بِالْمَكَاحِلِ الطَّيَّارَةِ * وَهَارَشُوهُمْ بِاَنْوَاعِ الْاَسْلِحَةِ * وَنَاوَشُوهُمْ بِالْاَوْهَاقِ
وَالْكَلَالِيبِ الْمُعَلَّقَةِ * فَلَا زَالَتِ الْجَوَارِحُ فِي الْهَوَاءِ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ *
وَيُقْبِلْنَ اِلَى ذٰلِكَ الْوَكْرِ حَامِلَاتٍ عَلَيْهِ وَلَا يُعْرِضْنَ * يَنْقُرْنَ اَسِرَّةَ اَهْلِهِ
بِمَنَاقِيرِ الْمَنَاقِيبِ * وَيَنْشَبْنَ فِيهِمْ مَخَالِيبَ الْكَلَالِيبِ * وَبُكُرُ النَّاشِزَةِ
تُبَانِعُهُمْ عَلَى الْوُلُوجِ * وَتَسْتَعِينُ فِي مُدَافَعَتِهِمْ بِمَنْ فِيهَا مِنَ الْعُلُوجِ *
فَلَمْ يَنْشَبْ اَحَدٌ مِنْ اَوْلِيَاءِ الْجَوَارِحِ * اَنْ اَنْشَبَ فِي الْبَابِ كُلُوبَهُ
الْجَارِحَ * ثُمَّ اسْتَقْصَدَ الْفَتْحَ وَاسْتَنْهَضَ الظَّفَرَ * وَاعْتَمَدَ عَلَى اللّٰهِ
وَمَدَّ بَابَتَهُ اِلَى الْوَكْرِ وَطَفَرَ * فَاحْتَضَنَهُ سَاعِدُ الْمُسَاعَدَةِ * وَاكْتَنَفَهُ
عَضُدُ الْمُعَاضَدَةِ * وَقَبَضَ عَلَى رُسْغِهِ كَفُّ السَّلَامَةِ * فَنَكَصَتِ النَّصَارَى
عَلَى عَقِبِهِمْ اَمَامَهُ * وَلَمْ يَزَلْ وَحْدَهُ عَبِيدَهُمْ * حَتَّى قَتَلَ اَوْبَاشَهُمْ
وَصَنَادِيدَهُمْ * ثُمَّ اَدْخَلَ رُفْقَتَهُ فِيهَا * وَاَخْرَجُوا مَا كَانَ فِي مَخَابِيهَا *
وَاسْمُ هٰذَا الرَّجُلِ لِهَرَاسِبَ سِتَّةُ اَحْرُفٍ لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ مُتَحَرِّكَيْنِ اَلَّا
مَضْمُومَةٌ * وَالْهَاءُ * وَالرَّاءُ مَفْتُوحَةٌ * وَالْاَلِفُ وَالسِّينُ وَالْبَاءُ * وَاجِبًا

ثلاث سواكن في الفارسي كثير * وفي التركي ايضا موجود ولكنه
عزيز غير غزير * ومن جملة هذه القلاع قلعة شامقه * حروف ذاتها
كحروف اسمها بمناعتها ناطقه * لا يعمل في فتحها لا رتفاعها لعل
وليت * لان اسمها كما زعموا كل كوركيت * اعتعال انظرا رجع *
بمعنى انه لا ينال الوافد عليها * سوى النظر اليها * ثلاثة اطرافها
مبنية على قلل الآكام * شمخت على ما حوالتيها من الهضاب فهي على الاعلام
اعلام * وطريقها من الوجه الرابع وهو ضيق في سلوكه عسر *
ينتهي بعد انواع المشقة الى جرف مقطوع بينه وبين باب ذلك الحصن
جسر * اذا ارتفع ذلك الجسر سدت دون الوصول الى الحصن
الحيل * واعاذ كل من لاذ بقلته من بنيه فصح ان يقال له معاذ بن
جبل * فلما اطلع على حقيقة امرها * وانكشف له مستور خبرها *
ابى ان يرحل عنها * الا ان يصل الى غرفه منها * ولم يكن بالقرب
منها مكان ينزل فيه * ولا بن يحمل ذلك الحجر الطاغي وتحويه *
بل انما كان حوالتيها جروف وهضاب * غضون جهينا كانها وجه
غوغاء ناشز من زوج محب عقاب في عقاب * نطيع منها في غير مطمع *

ونصب سراديقه بحيث كان منها بمرأى ومسمع * وصار من عساكره الأسود الحوادر * يتناوبون حصارها ما بين وارد وصادر * وهم يرفعون الجسر بالنهار * فيأمنون مكائد القتال والحصار * لأنه قد تقدم انه لم يكن حواليها مكان للقتال * ولا منفحص قطاة يتمكن منه النضال * فكانوا يرمونها بالنهار على بعد بسهام الأحداق * ويرضون منها بنظرة من بعيد لقانع العشاق * فاذا جنهم الليل * شمروا الى جهة مخيمهم الذليل * لأنهم لم يكنهم حواليها مبيت ولا مقيل * فتضع النصارى الجسر ويزورون الى حاجاتهم السبيل * فلما لاح له منها ما راث الجرمان * وبان له ان امل ظنه من فتحها قد مان *

* كما قلت *

* واعظم شئ في الوجود تمنعا * نتاج مرام من عقيم زمان *

صمم العزيمة على الرحيل * ولكن خاف العار فطلب لهذه المسئلة الدليل والتعليل *

ذكر سبب اخذه لهذا الحصن المنيع * وبيان معاني ما جرى في ذلك من صنع بديع *

وكان في عسكره شابان نديدان * اسدان حديدان * يتشابهان في الخلق والخلق * لم يكن بينهما في الرجولية والشجاعة كثير فرق * يتحاربان في كل وقت في ميدان المناقب لاحراز قصب السبق * فكانا كفتي ميزان * وفي مضمارها فرسي رهان * فاتفق ان احدهما صادف هلجاما من الكرج * في الجرأة كالاسد وفي الجثة كالبرج * فنازله ثم قتله * وقطع رأسه والى تيمور رحمه * ففخم شأنه * وأعلى على الاقران مكانه * فاثر ذلك في نديده * فكأنه قطع حبل وريده * ثم افتكر في شيء يصنعه * يضع من نديده ويرفعه * وكان اسمه بيرمحمد ولقبه قنبر * فلم ير اكبر من مواقبة ذلك الجسر ولا اشهر * فاعتمد على الله سبحانه وحده * واستكمل ماله من امنية وعده * ورصد نجمه في بعض الليالي * ولطا في مكان خالي * ولا زال يترقب النجوم * ويترصد عليهم طوالع الانقضاض والهجوم * ويشهر تلك الفتن بيديه ويذرع * ويمشي تارة على بطنه واخرى على اربع * الى ان طرح الضوء نقابه * وسلح الجواهيه * ورجع النصارى الى كسرهم * وتعاونوا على رفع جسرهم * ظفر بهر محمد الى الجسر فقطع حباله * وتابع عليهم

من حَنِيَّتِهِ نِبالَهُ * ولم يُمكِنهم من رَفعِهِ * ولا تَحيرَ موضوعَهُ من وَضعِهِ *
فتَراكَموا عليه بالنِّبالِ والاَحجارِ * وارْمَلُوا عليه من ذلك السَّماءِ
المِدرارِ * ولا يُردُّ مِمَّا هُوَ بصَدَدِهِ ولا يلتفتُ الى حَيْنِهِ * ويتلقَّى
ما يَصدُرُ من مَراسِيمِ نبالِهِم واحجارِهِم بالقَبولِ على رأسِهِ وعَينِهِ *
ولم يَزَلْ على المُكافحةِ والمُناضحةِ * والمكاشحةِ والمُكالحةِ * حتّى تعالى
النَّهارُ * وحَفَّ الكَونُ من فِعالِهِ انْمِلَةَ التَعجُّبِ واَخَذَ عَينَ المكانِ
الانبِهارُ * وكان الصابِرونَ لها كَفُّوا عن القِتالِ وتَهوَّرَ قد عزَمَ
كما ذُكِرَ على التَّرحالِ * وكان مُرادُهُ منصوباً بمكانٍ عالٍ * فناداهُ
لِسانُ الفَتحِ * وخاطَبَهُ مُنادِي النَجحِ

* شعر *

* لا تيأَسَنْ من مَطلَبٍ * قطَعَ الوَرى اَسبابَهُ *
* ان اغلَقوا اَبوابَهُم * فاللهُ يفتَحُ بابَهُ *

فتَراأى على بابِ القَلعَةِ من بُعدٍ كأَنَّ ناساً يَتَواثَبُون * واَشباحَ طائِفَةٍ
يتكالَبُونَ ويَتضارَبُونَ * فقال لِقَبيلِهِ اَيُّ اُولى النَّجدَةِ والعَونِ *
انّي اَرى ما لا تَرَوْن * فانْعَموا مَعي النَظَرَ * ثم اَسرَعوا نحوَ المُعتَكَرِ *

وأ تونبي بحقيقة الخبر * فانه فعوا يستشرفون لذلك خبرا * ويستكشفون
لسرائره سترا * وهم ما بين حاد من النمر اعدى * وجار من الاسد اجرى *
وكل منهم في عدده وعداوته تأبط شرا * ولم يزالوا يتجاورون على ذلك
ارسالا وتترى * كأنهم الشياطين نهاض ووثاب وعداء وهلم جرا * حتى
ادركت مقدمتهم بير محمد * وهو في غموات الموت بنار يتوقد *
وقد صار لسهامهم غرضا * وكاد جوهرة ان يصير هرضا * فاجاره الله
من بعيد عاش * وحصل له الانتعاش * وزال عنه الارتعاش * وتلاحقت
به الصناديد * فكفت عنه تلك الافعال الرعاديد * وحين عجزوا
عن رفع الجسر وولوا الاعقاب * عزموا ان يدخلوا الحصن ويوصدوا
الباب * فاختلط بير محمد معهم * ودخل الحصن ومن ايصاده منعهم *
قد قوه بالسيوف * ورضوه باحجار الحتوف * وهو يأبى الا المدافعة *
ويجتهد في مراجعة الممانعة * لا يشعر بما يناله من رض الحجر وجراح
الحديد * كأنه مثالة عرارة الفناء في الغناء في التوحيد * الى ان غشيتهم
تلك الليوث * واندفقت عليهم بصواعق الغضب من سماء النجدة
سيول الغيوث * فتشبثت اسود المنايا بتلابيبهم * وخلصوا بير محمد

من مخاليبهم * ثم قبضوا على التتار * واخرجوا مالهم فيأ وحريمهم
سبايا وارلادهم اسارى * وحملوا الى تيمور بير محمد * واخبروه بما قصده
في ذلك وتصمد * وتفقد ما به من جراح تدمي * فاذا هي ثمانية
عشر جرحا كل منها يصمي * فشكر له فعله * ووعده مواعيد جزله *
واحله المحل العزيز * وجهزه الى تبريز * وامر بعد الوصية به الامراء
من الرتب والروساء * ان يجمعوا عليه كل نطاسي من الاطباء
وخريت من الاساء * بحيث ان يبذلوا في معالجته جهدهم * ويستوعبوا
في اساة كلمهم * ويستوفوا في المعالجة قسمي العلم والعمل *
فامتثلوا مراسيمه وعالجوه بما امكنهم وازاحوا العلل * فاندملت
جروحه * وبرئت اجمعن مما كانت قروحه * فلما نصل * والى
قمير وصل * جعله احد قواده * ورئيس طائفة من اجناده *
وقلده على كثيرين بعد ان كان خلف * وصيره امير مائة مقدم الف

* قتنة ساجرن للكرج * مع تيمور وشيم الغرج *

ومن القلعة والمدارة كانا عيني تلاع الكرج * ونار اعلاميم والبوابي
سرج * فحين قلعت من رجوميم عيناهم * تيقنوا ان قد نزل بهم عناهم *

واحاطَ بهم عزائمُهم * فانحلّت قُواهم وانخرمت عُراهم * وقعدت بهم الحيلة وقامت عليهم القيامة * وتجهمت بهم الى جهنم الزبانية واسلمتهم السلامة * وتفأل تيمور بحصول الفلج * وانثنى عزمه الى استخلاص ممالك الكرج * وانبثت شياطينه فيها فهزتهم هزا * وقدت ثوب حيوتهم قدا وجزتهم جزا * وخاطت لهم اكفان المنايا بالسلاح فاوسقتهم شلا وكفا ودرزا * وتلا عليهم لسان الانتقام الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد * الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا *

ذكر طلب الكرج الامان * واستشفاعهم الى ذلك الجان * بجارهم الشيخ ابراهيم حاكم شروان *

فاستدركوا تقصيرهم * واستنهضوا قد بيرهم * ورقعوا خرقهم قبل الاتساع * ووصلوا حبل حيوتهم قبل الانقطاع * واستغاثوا الامان الامان * واستعانوا في خلاصهم بالشيخ ابراهيم حاكم شروان * والقوالي اياد ى تدبيرة الزمام * ورضوا ان يكون لجماعتهم وان كان على غير ملتهم الامام * وجعلوه خطيب ذلك الخطب * واستحلوا ما تثمر لهم سعايته من يابس ورطب * وكان اذ ذاك جيوش المصيف

كجمع الكرج قد ولت * وجنود الخريف والشتاء كجيش تيمور قد
اظلت * وسلطان الاجرد * قد صقل فرند المياه وجرد * ورفع من
الاغصان الاعلام السلطانية * ونصب على تلك الجبال الصيوانات
الملارية * والبس متن الغدير من نسيج نعيم الاصيل الدروع
الداودية * فكان ما في الكون من جوامد ونوام * من جملة عساكر
تيمور حرام له لم يحام *

* قلت * شعر

* واذا اراد الله نصرة عبده * كانت له اعدأوه انصارا *
* واذا اراد خلاصه من هلكة * اجرى له من نارها الانهارا *
* فترى العقول تقاصرت عن كنهه * وترى له في شوكه ازهارا *

فدخل الشيخ ابراهيم عليه * وقبل الارض بين يديه * وحياه بتحية
الاكاسرة من الملوك * ووقف في مقام اصغر مملوك * ثم استأذن
في الخطاب * واستلطف في رد الجواب * فاذن له فقال ان عموم
شفقة مولانا الامير * وحسن حنوه على المسكين والفقير * وشمول
عاطفته الكريمة ورحمته المنيفة * حملت المملوك على عرض ما عن له

على الآراء الشريفة * وهو انه بحمد الله المرام حاصل * والمراد على وفق الاختيار متواصل * وهيبة مولانا الامير في الشرق والغرب * اهنته من الاستعداد للضرب والحرب * ثم ان العساكر المنصورة اكثر من ان تحصى * وفيهم من الاسرى والمرتقي الحال ما فات من الاحصا * خصوصا جماعات التتار * الذين ولى سعدهم الادبار * واحلوا قومهم دار البوار * على اضريهم البرد * وتردد نفوسهم بين العكس والطرد * فان استمرت الامور * على هذا الدستور * رق الجليل وهلك الرقيق * ودق العظيم وانطحن الدقيق * وهذه البلاد بل وسائر الاقاليم * محال الا بامرك ان تستقيم * وان رؤساء ما من الفجرة والفسقة * علموا عما لمولانا الامير على مملوكه من الحنو والشفقة * فتراموا لعلة المجاورة على المملوك * ورجوا من الصدقات الشريفة ما يرجوه من الغني الكريم المحتاج المعلوك * ومهما برزت به المراسيم المطاعة * تلقاه بالقبول كل من المملوك وهؤلاء الجماعة * وقابلوا الاوامر الشريفة بالسمع والطاعة * وان كان المقصود جمع مال * فالمملوك يقوم به على كل حال * وانى للمملوك

مالٌ الّا من صَدَقاتِ مَوْلانا الاَمير * وما قصَدَ المَمْلوكُ بذلك الّا رَفْعَ
الكُلْفَةِ عن الجانبَيْن وتيْسيرَ الاَمْرِ العَسير * ورِعايَةً لِحَقِّ الجِوار *
عَمَلاً بقَوْلِه صلّى اللهُ عليه وسلّمَ مازالَ جِبْريلُ يُوصيني بالجار *
والرّأْيُ الشّريفُ اَعْلى * واَحْرى اَنْ لايُخَيِّبَ رَجاءَ المَمْلوكِ واَوْلى *
فاَجابَهُ الى سُؤالِه * وطلَبَ منه مالاً عَرِيضًا سَواءٌ كان من مالِهِمْ
اومن مالِه * فقال الشّيخُ ابراهيم * اَظُنُّه زَعيم * وابْلَغ ذلك الى خِزانَتِه
اَتَمَّ إبلاغ * ثم رحَلَ واَكْمَلَ شَتْوِيَتَه في قَراباغ *
وذلك في سَنَةِ ستٍّ وثمانمائة *

ذكرتني عنانه * الى اوطانه * وقصدهُ بلادَه * بعد استكماله فسادَه *
ولما زَيَّنَتْ ماشِطَةُ الكَوْنِ عَرُوسَ المَكان * واَقامَ مُزَيِّنُ الجَماداتِ
قِوامَ الزّمان * وتَهَيَّجَتِ القُوى النّاميَه * وتبرّجَتْ مُخَدَّراتُ الذُّرى
السّاميَه * وشَبَّتِ الجَمَراتُ * ودَبَّتِ الحَشَراتُ * تَحَرَّكَ للرَّحيلِ ذلك
الاَنْعى * ونفَضَ على هَوامِّ اَمْواتِ الزَّمْهَريرِ من اَحْياءِ عساكِرِه فاذا هي
حَيَّةٌ تَسْعى * فدَقَّ الكُوسَ * فجاوَبَ صَداهُ الرَّعْدُ القاصِفُ ولَمَعَتْ
مَرايا اللُّبُوسِ * فانعكَسَ منها إيماضُ البَرْقِ الخاطِفِ وكَرَّ فُحُولُه

في التروس * فاحاط بالاطواد قوس قزح * وسير خيوله في اللبوس
فتجللت كتائب الكثبان بشعوف الورد والريحان خائلة في ذلك البز
المنتزح * ومارت الجمال * فمرت الجبال مر السحاب * ومارت الرعال *
فتصعد العنان من النقع الضبلب * وشرعت الذوابل * فاذا رطب
الاغصان متمايل * ومزهرت القواصل * فانساب في القصيل مرهف
الجداول * ونضنضت السنة الخناجر والنيازك فبرزت فلذ بات
العذبات * ونشرت اعلام الكتائب فانبثت اشاهير الازاهير
على عقبات العقبات * وعلى الجملة فان الربيع حاكى ببروقه بوارقه *
وبرعوده صواعقه * وبخمائله وروابيه زرابيه ونمارقه * وبركامه قتامه *
وبشقائقه اعلامه * وباشجاره المزهرة خيامه * وباغصانه رماحه *
وبعواصف امره وفيه رياحه * بكتائبه السود كتبه الخضر *
وبازهاره الزرق مزارقه الزهر * وبسيوله الجحافة مسير جحافله *
وباضطراب بحر فيالقه تموج خمائله عند هبوب اصائله * واستمر
من ذلك العراوي والوند * قافلا بالمال الفارغ الى سمرقند * فسار
السرزندية * والحبور حريمه * والاشر معاقره * والنشاط مغامره *

وبين التغريط والإفراط موارده ومصادره * حتى قطع ولايات
اذربيجان * وحل ركابه بمسالك خراسان * وبي خذمته ملوك
الاقاليم وارباب التيجان *

ذكر نهوض ملوك الاطراف لاستقباله * ووفودها عليه
مهنية له بحصن مآله *

رمت ساعت اقطار البلدان * انه قفز قاصدا الاوطان * اقبلت اليه
الملوك من اطرافها * والمرازبة من اكنافها * وسارع الى استقباله
المذاره والجحاجيح * وتبادر من ماوراء النهر وغيرها السراة
والمراجيح * وتطايرت اليه من الاقاليم اساطينها * ومن الولايات
والثغور ملوكها وسلاطينها * ومن كان مرابطا في ثغر * ومواظبا
على اكيد امر * ارسل نائبه اوقاصده * اوحاجبه اورائده *
يتباشرون بقدوم اقدامه * ويهنئونه بما فتح عليه من مدنه وعزاقه
ورومه وكرجه وشامه * ويقدمون التقادم والصولات * ويبيتون
الضيافات والاقامات * ثم ارد فهم السادات والعلماء والمشايخ والكبراء *
ورؤساء الموابذة وموابذة الرؤساء * فجعل يعمهم لكل واحد منهم سمتا *

وبأمره فيخضع بالسمع والطاعة اجلالا وصمتا * ويمهد له فيها ولاة قواعد ومباني فلا ترى فيها عوجا ولا امتا * ثم جهز كلا منهم بما اقتضاه رأيه واجازه * ووصل الى جنكون وقد اعدت له السفن والمراكب فجازه * فخرج اهل المدينة للاستقبال * وكل منهم منشرح البال ملتئم الحال * فدخل سمرقند اوائل سنة سبع واثنتي مائة * ومعه من طوائف الامم الاثنان والسبعون فرقة واكثرهم قد رية ومرجئة *

ثم اذن لمن اختاره من العساكر فتفرقت * ولطوائف جنده ما وراء النهر فتزقت *

ذكر توزيعه التتار رسالا * شرقا وغربا يمينا وشمالا *

فلما استقرت به الدار * اخذ في توزيع التتار * فكانوا ذوي عدة وعدة * ونجدة وشدة * فجعل سلبهم عدتهم * كسر شوكتهم وشدتهم * ولكن ابقى الله عدتهم * فخاف لئلا نجدتهم * فشتت جمعهم * واقوى من اجتماعهم ربعهم * فبذرهم في فيافي وبطاح * ووزعهم في قفار وضواح * وبدد هم في اشطار صحراء وبراح * وبدرهم في اقطار بكاء ونواح * فسد دبروهم افواه

الثغور * واوصاه بظهورهم ابواب الثغور * فجهز طائفة الى كاشغر *
وهو بين حدي الخطا والهند احد الثغر * ووجه فرقة الى دويرة
في وسط بحيرة تدعى اسي كول * وهو ثغر بين ممالك تيمور والمغول *
فصادفهم بعض السعد * فانقطعوا عمن اضيفوا اليه كما ينقطع عما يضاف
اليه بعد * فانضموا منهزمين ولم يلووا * واخذوا من صوب الشمال
وخرجوا على الدشت الى ايدكو * ثم اضاف سائرهم * وقبائلهم
وعشائرهم * من كل حزين اواه * الى ارغون شاه * وجهزه بعزم
وحزم * الى ثغور الدشت وحدود خوارزم * وهذا كان مجيره *
وما بنى عليه آوامره واموره * فانه كان من الشياطين النقالة *
وفي المكر واللعب بالناس كدقة المحتاله * كلما بنى في قطر قلعه *
او استولى في نحر من نحور المخالفين على بقعه * انزل بها من العساكر *
من هو في اقصى جهات تقابلها من الحصون والدساكر * ونقل اليها من
لها من الرجال * ان كان في الشمال الى اليمين وان كان في الجنوب
الى الشمال * فانه لما استولى على ملك تبريز وما والاه * استناب فيه
ولده لصلبه اميرانشاه * وامده من الجغتاى بطائفة غلاك شداد *

منهم خداداد اخو الله داد * ونقل الى اطراف الخطا وتركستان
طوائف من عسكر العراقين والهند وخراسان * وولّى سماتة بن التكريتي
الذي اخذه من الشام * نيابة مهينة ببيرام * وهي من سمرقند
الى جهة الشرق نحو من عشرة ايام * وولّى يلبغا المجنون نيابة
ينكي بلاس وراء بيرام بنحو اربعة ايام * وهما كورتان مختصرتان *
وراءهما تيحون من معاملات تركستان * وهما كانا اقل من ان يذكرا *
فضلا ان يصيرا حكاما وامرا * وانما فعل ذلك * لينتشر في اطراف الممالك *
ان عنده من رؤساء الشام * جماعة من اعيان الاعلام * وان في ممالكه
من الخدم * رؤساء الامم حكام العرب والعجم * وان ذلك الطرف
جال وسطا * وملك ما بين الشام والخطا

* فصل *

ثم اخذ يتفقد ما حدث في غيبته * من امور بلاده ورعيته * ويتفحص
عن قضايا الممالك * ويسلك لملوكها المسالك * ويدبر مصالح الاطراف
والثغور * والاكناف والبحور * ويراعي احوال الكبير والصغير *
ويتعاطى مصلحة الغني والفقير * ويضع الاشياء في محلها * ويزاحم

الوظائف والمناصب في يد اهلها * ويبادر * بما قال الشاعر *

* لله در انوشروان من رجل * ما كان اعرفه بالوغد والنبل *

* نهاهم ان يمسوا عنده قلما * وان يذل بنوا الاحرار بالعمل *

واخذ يربي السادات * ويكرم الاولياء ذوي الكرامات * ويبجل العلم واهله * ويعلي الفضل ويعز محله * ويقلع المفسد ويقمع المارق * ويخنق الزاني ويصلب السارق * حتى استقامت في زمنه امور السياسة *

وتمت على تورة جنكيزخان قواعد الرياسة *

ذكر ما ابتدعه من منكراته * وطبع بخاتمه خواتيم سيآته *

ووافى باستيفائه رائد وفاته *

ثم شرع في تزويج حفيدة اي ولد اولاده لولد اولوغ بيك ابن شاه رخ النبيه * الذي هو في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة حاكم سمرقند من قبل ابيه * فامر اهل المدينة * ان يشرعوا في الزينة * وان يرفع عنهم الكلف والمظالم * ويعفى عن الطروحات والمغارم * ويبسط لهم بساط الامان * ويعامل الكبير والصغير والرفيع والوضيع منهم بالفضل والاحسان * وان لا يشهر في مماليكه سيف * ولا تجري

فيها ظلم ولا حيف * وان تخرج جرازينتهم الى مكان تحو ميل من ضواحيه تعرفك * بانه على كان كل هواء اذكى من المسك ومائه احلى من القند * كأنه قطعة من روض الجنان * غفل عنها خازنها رضوان *

* قلت * شعر

* رعى فيه غزال الترك شيحا * فصار المسك بعض دم الغزال *

روائح هوائه الطف من نسيم السحر * وروائح مائه اعذب من ماء الحيوة صفاء ايلا كدر * وتغاريد طيوره الذ في السماع من ثناء الناي على الوتر *

* قلت *

بساط زمرذ نثرت عليه * من الياقوت الوان الفصوص *

* وقيل * شعر

* كأن مدر الازهار فيه * وورد في محاسنه تنضد *
* صحاف من لجين او عقيق * ومرجان وياقوت وعسجد *
* فهذى حشوها مسك فتيت * وهذي ضمنها تبر مبدد *
* اراد الروض يجلوها علينا * فصاغ لها اكفا من زبرجد *

صباغ القوة الخيالية يتعلم خلط اصباغ النقوش من تشاهيره
ازاهيره * ومواشط عرائس الجمال تزين عواتق الكمال
من تحاريرتصاويره *

* قلت *

* كأن رباه سيما وقت هبة * خضم بانواع الحلي مرصع *
انسح من اميل حريص طامع * في جاه غني كريم نافع * وانزه للابصار
والبصائر * من غض شباب زاه زاهر * ساعده الدهر بوجه بسيط وادٍ
كامل وعمر طويل ومال وافر * وهو احد الاماكن المذكورة *
والمتنزهات التي هي بالنزاهة والرفاهة في الدنيا مشهورة * وهما
السعد الذي حباته بالنعيم موقرة موفورة *

* قلت *

* شقائقه خدود ناضرات * تحكت من مواد المقلتين *
عساكر تجور مع انها البحر المتلاطم فيه * تضاهي بني اسرائيل في قطر
من اقطار التيه * ثم امرا الملوك والسلاطين * وارباب التيجان
من الاساطين * ان يخرجوا اليه * وينتشروا عليه * ويتزلكل منهم

في ذلك المرج مقاما * ورتبه ميمنة وميسرة ووراء اواماما * وامران يظ
ما امكنه من تجمل وتحسين * ويضرب ماله من خيام وقباب منكا
بانواع النقوش والتزيين * ثم رتب من دونهم من الكبراء والاعيان
ورؤساء الامراء والاعوان * في ذلك الروض الاريض * والمرج
الطويل العريض * فاخرج كل منهم ماحواه * وكاثر نظراءه ليتظروا
قدمت يداه * وفاخر ذوي الفخار منهم وباهى * واستقصى في المباه
والمفاخرة وتناهى * فنشروا مما طوت صحائف اياديهم * على جمعهم اي
مجلات آثاميهم * من طرف اطراف الاقاليم والامصار * وتحف جوا
المعادن والبحار * ونفائس ذخائر نهبوا عليها النفوس والهبوا الانفاس
وعرائس اخائر سعوا عليها الكؤس وخرقوا الاكياس * ما ازر
على زهر تلك الروضة الخضراء بالانجم الزواهر * واسرى منظرة البهج
مرايا المسرات الى سر الضمائر * فزاد حسن حديث ذلك المكان ونم
وعلا قدره بهجة على كل ارض وسما * ثم امر بسرادقاته فجعل
مركز تلك الدائرة * ونقطة دائرة تلك الافلاك المدارة * وهي سورة
مضروب * على ماله من خيام وقباب منصوب * له باب واسع

يدخل فيه من وطيز شامخ الى ما يليه من معان ومخان وله قرطان
هامخان تتكسر لهما المرؤس وتذل عند مشاقتهما النفوس
لاجل هذين كان يلقب ذا القرنين ونصبوا المداخل من الجناب
خيمة من الخيام والاخبية والقباب ومن جملتها قبة اعلاها
واسفلها بالقضب مزركش وظاهرها وباطنها بلب الريش
مريش واخرى كلها بالحرير محبوكة وبانواع النقوش والوان
الاصباغ مبنية مشبوكة واخرى من غرقيها الى قمتها مكللة باللآلي
الكبار التي لا يعلم قيمة احدها الا عالم الاسرار واخرى مرصعة
بانواع الجواهر على صفائح الذهب مدهشة للابصار والبصائر
وجعلوا ما بين ذلك سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم
ابوابا وسررا عليها يتكئون وبين ذلك الاروقة المنقشة وروائق
الاخبية المزركشة والفساطيط والابنية المدهشة وفيها مراوح
الخيش الجالبات لبرد العيش والمنافع والمرافق والمفاتح والمغالق
واظهروا الذخائر الغريبة وارخوا على ذلك الستائر العجيبة
ومن جملتها ستارة جوخ كان اخذها من خزانة السلطان بايزيد

قطعة واحدة عرضها نحو من عشرة اذرع بالذراع الجديد * منقشة بانواع النقوش * من صور المباتات والبنيان والعروش * واشكال الهوام والطيور والوحوش * واشخاص الشيوخ والشبان * والنساء والصبيان * ونقوش الكتابة وعجائب البلدان * والعروق اللاعبة وغرائب الحيوان * بالوان الاصباغ * المبالغ في احكامها واجادتها احسن بلاغ * كأن صورها متحركة تناجيك * وثمارها الدانية لاقتطافها تناديك * وهذه الستارة احد عجائب الدنيا * وليس المستمع كالمرأى * ونصبوا امامه سرادقاته بمقدار شوط فرس الصيوان * الذي يجتمع المباشرون فيه وارباب الديوان * وهو جتر عالي الذرى * شامخ في الهواء * له نحو من اربعين اسطوانه * وهو ميل واسوا رشيدوا عليها اركانه وسددوا بنيانه * يتسلق الفراشون الى اعلاه كالقردة * كأنهم مستترقوا السمع من الشياطين والمردة * ويتعادون على سطحه * حين يرفعونه بعد بسطه *

* فصل *

واخرج اهل المدينة * ما عبوه * من تجمل وزينة * ونصبوه * تجاه تلك

السراد قابت على مد البصر * وتأنق كل واحد من اهل البلد بما وصلت
اليه القوى والقدر * واجتهد كل ذي حرفة بما يتعلق بحرفته * وبالغ
كل من ارباب الصنائع فيما يليق بصنعته * حتى ان ناسج القصب اخرج
فارسا مكمل الاهبة * واستقصى في اكمال هيئته حتى اظافيره وهدبه *
واستوفى دقائق ما يتعلق به من الآلات * كقويه وسيفه وسائر
الاسلحة اداته * كل ذلك من القصب * ورفع ذلك في مكانه من غير
تعب ونصب * وصنع القطانون من القطن مدينة رفيعة * محكمة
البناء * ذات قلاع رشيق * وصنع وثيق ومنظر انيق * ببياض جسم
يسمو على الحور * وكمال قوام يعلو على القصور * ونصبوها فصارت
بحسنها تستوقف النظارة * وبعلو قامتها ترشد في ذلك المهمة المارة *
حتى غدت علما للسيارة * وعلى جوامع تلك الابنية منارة * وكذلك
اهل الحرف من الصواغين * والحدادين والخفافين والقواسين *
وسائر الطوائف * وارباب الملاعب واللطائف * ولقد كانت سمرقند
مجمع الافاضل * ومحط رحال اهل الفضائل * فرتبت كل طائفة
مما اخرجته على حدة في مكانه * امام سراداقاته وصيوان ديوانه *

ونُصبت وراءَ ذلك كلّه الاسواق * وضربت بين النّاس بوقات الابواق * وزُيّنت الفيول وجياد الخيول بافخر لباس * واطلق عنان الرّخص والتّمتع بانواع الملاهي والملاذ للنّاس * فسارع كلّ طالب الى مطلوبه * واجتمع كلّ محبّ منهم مع محبوبه * من غير ان يتعدّى احد على احد * او يستطيل اعلى من يكون على ادنى من يكون من الجند واهل البلد * او يجري تعدّ ما * من شريف ما على وضيع ما

* فصل *

ولما استتبّت الامور على مراد تهويل قرينته * واخذت الارض زخرفها وازّينت من جنده واهل مدينته * توجّه الى ذلك المرج على وقاره وسكينته * وخرج على قومه في زينته * ثم امران تجرى بواقيت الصّهباء * على زبرجد ذلك المرج الاخوى * وسيلها لكلّ ناظر وعام * فسبح في تيّارها كلّ خاصّ وعام * فدارت في سماء تلك الارض للسّرور افلاك * ومبطت في اثرها بروحي اللّذات من افلاك الملاهي املاك * فاصبحت تلك الاسود الخوادر * وهي ظباء جواذر * وتنزّلوا من جحيم المنازله * الى نعيم المغازله * وتبدّلت تلك الغلاظة والكثافة

والظرائف * واصطحبوا بعض جورهم يتجاورون *

وبمعنى ما قلته يتجاورون *

* شعر *

* محا الظلم من يمن الورى سيف عدلنا * فلم يتشبث مستغيث بمعتدى *

* هوى قلب صب صادة طرف احور * وخصر تحمل آدة ردف اغيد *

فما صار يصول سيف الا ان كان صارم لحظ وهو مع ذلك مكسور *

ولا يجول ذابل الا ان كان رمح قد وهو مع ذلك بالعناق مقصور *

وصرت لا ترى الا عود المعرك او تحرق * او قد ما يروب او يروق * او شادياً

يغرد * او شارباً يعربد * او جارية تسقي * او ساقية تجري * او خد

ورد يعشق * او ورد خد ينشق * او كاس ثغر يرشف * او غصن

خصر للعناق يقصف * او فرس صيد يغتنم * او لسان

حال ينشد ويترنم

* شعر *

* في ربيع الوصل لما * ان رنى الظبي الشرود *

* وسرت بشرى الصبا * للورى تنبي بالورود *

* خَرَتِ الْأَنْهَارُ وَالْأَغْصَانُ مَالَتْ لِلسُّجُودِ *
* وَاجْتَمَعْنَا فِي رِيَاضٍ * حُسْنُهَا يُسْبِي الْوُجُودِ *
* فَالسَّحَابُ الصَّبُّ فِيهَا * بَاكِيًا أَمْسَى يَجُودُ *
* نَثَرَ الدُّرَّ عَلَيْنَا * مِنْهُ بَلُّورُ الْغَمَامِ *
* فَوْقَ صَحْنٍ سُنْدُسِيٍّ * فِيهِ مِلْيَا قُوتِ جَامِ *
* وَثُغُورٍ مِنْ عَقِيقٍ * زَانَهَا حُسْنُ ابْتِسَامِ *
* وَعُيُونٍ مِنْ لُجَيْنٍ * نَاظِرَاتٍ لَا تَنَامِ *
* وَغُصُونُ الدَّوْحِ حَفَّتْنَا بِأَنْوَاعِ النُّقُودِ *
* طَيْرُهَا غَنَّى عَلَيْهَا * إِذْ عَلَا عُودٌ وَطَارْ *
* وَشَذَا مَا ضَاعَ فِيهِ الْمِسْكُ لَمَّا مِنْهُ غَارْ *
* وَالصَّبَا أَمْسَى عَلِيلًا * فِي رُبَا هَاجِينَ سَارْ *
* جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا * وَجْهُ بَدْرِي حِينَ نَارْ *
* أَصْبَحَتْ جَنَّاتُ عَدْنٍ * تَشْتَهِي فِيهَا الْخُلُودَ *
* يَا لَهَا مِنْ عَشْرَةٍ جَاءَتْ بِأَنْوَاعِ الْهَنَا *
* لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ لَثْمٍ * وَارْتِشَافٍ وَاعْتِنَا *

* وكؤوس ذات ثرات * ولحنا ء وغنى *

* لو رآها زاهد من * ربها كان انثنى *

* لم يسعه عندها من * زهده الا الجحود *

* قم نديمي عاطني فالدهر لا يعوى الخزن *

* كاس عيش ينتجي في * مزجها صرف الزمن *

* الطلا والماء والخضرة والوجه الحسن *

* لا تطع في ذا عذولا * انه خب كمن *

* في حشاه غلياً ن * لا تقل خل ود *

فحصل الامن والدعه * والفراغة والسعه * ورخص الاسعار * وقضاء الاوطار * واعتدال الزمان * وعدل السلطان وصحة الابدان * وصفاء الوقت * وذهاب المقت * وحصول المطلوب * ووصال المحبوب * مصراع * وعند التناهي يقصر المتطاول * واتفق له في ذلك العرس من الابهة والعظموت * والسطوة والجبروت * شئ لم اظنه حصل لاحد من الخلفاء المتقدمين * ولا يقع فيما بعد لاحد من المتأخرين * وان كان المامون فرش تحته ليلة عرسه حصير من الذهب * ونثر على

رأسه اللؤلؤ المنتخب * ولم يلتفت اليه * ولم يلتفت من ورائه ولا من
بين يديه * حتى قال * قاتل الله أبا نواس كأنه كان حاضرا حينئذ
* قال *
كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب *
لكن تيمور كان في عرسه ذاك بنات الملوك وصائف * وبنوما عبيدا
كل منهم في مقام العبود يقوم واقف * واجتمع عنده قصاد الملك الناصر فرج
من مصر والشام * ومعهم الحمولات والتقادم ومن جملته الزرافة
والنعام * ورسل الخطا والصين والعراق والهند والسند وبربر والفرنج
ومن سواهم * وقصاد كل الأقاليم اقصاهم وادناهم * ومن كل مخالف
وموافق * ومعاد ومصادق * فاخرا الجميع حتى شاهدوا عظمته *
وعاينوا جبروته في ذلك العرس وابهته * فباشر ذلك على تلك الحال *
لا يخاف النكال ولا يخشى الوبال *
قلت * شعر *
* قريرا العين لا يرجوا لها * خلي البال لا يخشى معادا *
يناول المحرمات بيمينها * ويرتع عند مستحسنها وقبيحها *

فيما امر به جماعته في ذلك المتنزه * يتهامسون في كل قبيح يحاوره *
ولا يتناهون عن منكر فعلوه *

قلت * شعر *

* تهذل من سكرك وهتك جريمة * احل بها ما حرمته الشرائع *
وجعل يد الملوك والامراء * وسلاطين الاناق والكبراء * وقواد
النواحين * وزعماء الجيوش والمقدمين * ويسقيهم الكاسات بيده *
ويحل كلا منهم محل اخيه وولده * ويخلع عليهم الخلع السنيه *
وينزل لهم المواهب والعطيه * ويجلس كلا منهم بحسبه ذات اليمين *
واما ذات الشمال فانها للنساء والخواتين * فان النساء لا يستترن
من الرجال * خصوصا في مجلس الاجتماع والاحتفال * واستمر
في ذلك بين جنك رقانون * وعود وارغنون * وناي مرقص مطرب *
وشاد معجب مغرب * وساق فاتن وذمر موات وهوى متبع * وامر مستمع *
وشمس تدور * على نجوم وبدور * وكاس تملأ وكيس يفرغ *
وامر يمضي وامل يبلغ * حتى استخفه الطرب والبطر * واستفزه النشاط
والاشر * فصاح الى من استعضده * وملأ النهوض اليه يده * فتعاضدوا

لمعا ورنته * وثبا وثبوا على معاقده * وحين استووا قاعدا *

تهادى بينهم بشيبته ومرجته راقصا *

* قلت *

* ومن عجب الدنيا اشل مصفق * وابكم قوال واعرج راقص *

فنثر عليه الملوك والكبراء * ونساء السلاطين والامراء * الجواهر

واللآلي * والفضة والذهب وكل نفيس غالي * ولم يزل على ذلك حتى استوفى

الهوجصته * ودخل العروس منصته * وانقضت تلك

الامنيه * وتفرقت ماتيك الجمعيه *

* شعر *

* ما كان ذاك العيش الا سكرة * لذ انها رحلت وحل خمارها *

* فصل *

ولما بلغ من دنياه المرام * وانتهى ليله الى الكمال والتمام * وعرج

فيما يرومه الى ما عرج * وصعد في سلم ارتقائه الى اعلى الدرج *

وقارب بدر عمره الافول * وشمس حياته ان تزول * رشقه الزمان

بسهم اصاب فما اخطأه ونادى بلسان فصيح * فرغ

العروس يا بيت الاحماء لو سمع لكان يصبح *

قلت *شعر*

* وما الدهر الا عالم فبقدر ما * يكون صعود المرء فيه هبوطه *

* وقيمة ما فيه نزول وانما * شروط الذي يرقى اليه سقوطه *

* ومن صار راضيا كان اوفى تهشما * وفاء بما قامت عليه شروطه *

فافاق من سكرته * وعاد الى عسكره * وارعوى وما ارعوى * وعلم انه

اضل قومه وما هدى * ورأى انه قد فرط في امر الرياسة * وحط من جانب

الايالة والتياسة * وانه سام الملك خسفا * وسائس السلطنة وجد

عليه مائة طريق في التقصير والغا * فاخذ يتدارك ما كان فرط *

ويطلب التقصي مما فيه تورط *

ذكر بعض حوادث * متقدمة لمتعلقات ذلك العابث *

وكان تيمورلنك رأى في الهند جامعا * للبصيرة مرتعا وللبصر

واسعا * عرشه في حسن بنائه ونقشه * من الرخام الابيض

كجسم الطرشة * فاعجبه شكله * واراد ان يبني له في سمرقند

مثله * فقرر لذلك مكانا في فرز * ورسم ان يبنى له جامع

على ذلك الطرز * وان يقطع له احجار من المرمر الصلد * وفوض امره
الى رجل يقال له محمد جلد * احد اعوانه ومباشري ديوانه * فاجتهد
في بنيانه * وتشييد اركانه * واستقصى جهده في تحسينه * من تأسيسه
وتركيبه وترتيبه وتزيينه * واعلى له اربع ميادين * بأعلى بنيه ائمة
البنائين والاستاذين * وظن ان لو كان على ذلك اعمر * لما قدر ان يصنع
صنعه ويسير سيره * وان تيمور يشكر له صنيعه * وينزله عنده بين تلك
منزلة رفيعه * فلما آب من سفرته * وتكفف ما حدث في غيبته * توجه
الى الجامع لينظر اليه * فبجر ما وقع نظره عليه * اذ بمحمد جلد
واقف على رجليه وربطوا رجليه * ولا زالوا يجرونه * وعلى وجهه
يسحبونه * حتى بصقوا على تلك الحال * واستولى على ماله من امل
وآل وعيال * واسباب ذلك متعددة ومنظمها ان الملكة الكبرى *
اجزاة تيمور العظمى * امرت ببناء مدرسة * واتقن المعمارية واهل
الهندسة * ان تكون في مواجهة * مقابلة لبناء هذا الجامع * تشيدوا
اركانها * وشدوا بنيانها * وعلوا على الجامع طباقها وحيطانها *
فكانت ارفع منه تمكينا * واشمخ منه عمرانا * وتيمور كان قد سرق

الطبع * اشد على الوضع * ما تكبر عليه رأس الاشد * ولا تجبر عليه
ظهر الا فضحه * وكل ذلك كلنا احيت اليه * او هول في النصبة عليه *
فلما رأى قامة ذلك المذرعة طالت * وعلى قدر ما عليه الجمهور تعرفت
واستطالت * فنزل صدره قيظا واشتمل * وقنع مع مباشرة ذلك ما فعل *
فلم يصارفه فيما اعطه فعل * وهذه الحكاية متقدمة لما ذكره بعد *
* نكتة * كان هذا الجامع كما جيه * احاطت اقوال الاخبار
بجوانبه * وتناقلت على غواربه وعاكبه * ودقت عنق طائفة من حملها
ورقت * وقد لعان سقفه اذا السماء انشقت * وما امكن تيسر
الاشتغال بهدمه ثم احكامه * ونقض بنائه واستيفاء ابرامه * فطوى
ثوب عمارته على غرة * واستبقى خشب اخشبه على وهنه وكسره * لكن
الرخامة وزوبه * ان يجتمعوا ليجمعوا فيه * واستمر ذلك في حيوته وبعد
وفاته * فكان اذا اجتمع الناس فيه للصلوة * يرتقبون من تلك الحجارة ما يهبط
من خشية الله * وصار ملك الجبال في تلك المحله * يتلو واذ نتقنا
الجبل فوقهم كانه ظله * فهي بعض الاحيان * وتنغص بالناس ذلك
المكان * واخذ كل منهم جذوة * سقط من حجارته من اعلاه شذرة *

فقبّل من كان جاثيا * وانقضّوا الى الابواب وتركوا الامام قائما *
وكان من جملتهم الله داد * احد الاكفاء والانداد * فلما اطلعوا
على حقيقة الخبر * تراجعوا وزال عنهم الخور * فلما قضوا الفرض *
وانتشروا في الارض * قال لي الله داد * وكان من اللذ ماة ذوق
الكياد والاذكياء النقاد * له حوالي كعبة الحجاز بي مائة شوط
وألف طوف * ينبغي ان يلقب هذا الجامع بمسجد الحرام والصلوة
فيه بصلوة الخوف * وقال لي الله داد * وقد فهم معنى هذا الانشاد *
وينبغي ان ينقش * في شأن هذا المعبد * ويكون رقم طرازه
ونقش صدره ومجازه *

* قول الشاعر *

* ضيعتك تبني مسجدا من حيايه * وانت بحمد الله غير موفق *
* كمطعمة الايتام من كد فرجها * لك الويل لا تزني ولا تتصدقي *

* فصـــــل *

ولما كان تيمور ببلاد الروم يصول * كان استخلاص ممالك الشرق
في فكره يجول * وقد ذكر انه ارسل الى الله داد * يستوصفه

اوضاع تلك البلاد * ولما انكشفت له احوالها * وتبينت له قراها
ومضافاتها واعمالها * حتى شاهد لها عين بصيرته * واستقرت كيفيتها
في مرآة بصيرته * جهز لتلك النواحي * رؤس مائتيك الصواحي *
ومن جملتهم بهادي بيك وتنكزي بيردي وسعادات * والياس خواجه ودولة
تيمور مع زيادات * واضاف اليهم طوائف من الاجناد * ورسم ان يتوجهوا
كلهم الى الله داد * وان يجهز الله داد امرة * ويتوجهوا فيبنوا قلعة
تدعى باش خمرة وهي عن اشبارة نحو من عشرة ايام * ومن متعلقات
المغل الطغام * وكانت امورها اضطربت * ولكونها متنازعة بين مملكتين
خربت * فتوجهوا الى تلك الدارة * بالعساكر الجرارة * واشتغلوا
على تعميرها وتهيم بالعمارة * وكان توجههم هذه الغزاة * في اوائل
سنة سبع وثمانمائة * وقصد بذلك ان يكون لهم معقلا *
وعند توجههم الى الخطا واياهم ملجأ وموئلا * فلما احكموا اساسها *
وصنفوا انواع بيوتها واجناسها * ورفعوا من حجارة الاساسات
اقدامها * ورفعوا على اعلام الاسوار اعلامها * ارسل اليهم مرسوما انهم
يرجئون امرها * ويتناسون ذكرها * ويأمرهم فيها بالرجوع *

والاشتغال بتغليق البلاد بالزروع * يجب ان يقضاء الدرين
وايديهم من اهل القرى والامصار * والمشتغلين بفقه المزارعة والمساقاة
من فلاحي الانهار والاغوار * وابل الزرقانات والآبار * من جلود
تمرقند الى اشبارة * يتركون مسائل المعاملة والمبايعة *
ويكثرون البحث قولا وعملا في درس المساقاة والمزارعة * ويوذن
في حماعتهم ان يقيم كل منهم في الزرع فلاحه * وان اضطرا حدهم
ان يترك صلوته فالحذران يترك فلاحه * وراس بذلك ان يكون لهم
في سفرهم عتاد * اين بقص لهم في الدرب قضيم وحصيم زاد *
فتركوا العمارة * وقصد كل من الامراء ديارة * واشتغلوا باستخراج
البقر والبذار * واجتهد وافي احياء جميع الموات كما رسم واشار *
فما غيروا من ذلك الا قدر طوف المصيف ببساطه * ونشر رايد الخريف
على العالم اعلامه وانماطه *

ذكر وفاته كما كان على الخطاة * وتجهيزه سكرة الموت بالحق وكشف عنه
الغطاء * ثم انتقاله من سفرة * الى سفرة *

فلما افاق * اخذ فيما كان عليه من التوجه الى الآفاق * وقصد

الحواشي والاطراف * واستخلاص المعالي والاكناف * وصرف
عنان الذهاب * نحو الخطا على عادته وكان ذلك عين الصواب *
فارسل الى امم عساكره ان يستوفزوا * ويأخذوا اهبة اربع
سنين او اكثر ويتجهزوا * فلبت كل امة دعوة رسولها *
وشنفت باقراط مراميه آذان قبولها * وحمل كل اسد جوزاء
عتاده * وامتطى جدي بغيه * وعدت كل ثور سنبلة زاده * ودلو
سقيه * ودب كل عقرب منهم دبيب السرطان * وانسابوا انسياب
الحوت في بحار العدوان * مجازفين مظالم العباد بلا كيل ولا ميزان *
فابرد هلال القوس سهم برده بمرموميه الى كل صماخ * يخبر ان
بعد الشتاء على عالم الكون والفساد اناخ * فليستعد له الكفاة * وليحذره
العراة والحفاة * ولا يكتفوا في كفه بكافاته فما كل كاف له كفوا *
لانه في هذه المرة آية من آيات الله فلا تتخذوا آيات الله هزوا * وان
فصده بعد وعة تبريد الانفاس * وتثبيط الانوف والآذان بسقاط
الاكارع وقلع الراس * وان فصل الخريف رائد جنوده * وقائد
نوده * ونموذج طلعته * ومرآة عين غلته * وعنوان مكاتبته *

ومُقدَّمَةُ كَتيبَتِه * ثم زَمْجَرَ بعواصِفِ رِياحِهِ الباردَة * وخيَّمَ على العالَمِ بخيامِ غُيومِهِ الصادِرَةِ والواردَة * فارتعَدَتِ الفرائِصُ من زَئيرِه * ولاذَ كُلٌّ من الحَشَراتِ بقَعْرِ جَهَنَّمِه خَوفًا من زَمْهَريرِه * وخَمَدَتِ النيرانُ وجَمَدَتِ الغُدْران * وارتَجَفَتِ الأوراقُ ساقِطَةً من الأغصان * وخَرَّتْ على وَجْهِها الأنهار * جارِيَةً من الأنجادِ الى الأغوار * وتَخَيَّسَتِ الأُسودُ في أخياسِها * وتَكَنَّسَ الظِّباءُ في كِناسِها * وتعوَّذَ الكَوْنُ من آفَتِه * واصْفَرَّ وَجْهُ المكانِ من مَخافَتِه * واغبَرَّتْ خُدودُ الرِّياض * وذَبُلَتْ قُدودُ الغِياض * وراحَ ما كان بها من النَّضْرَةِ والارتياح * وأصبحَ نباتُ الأرضِ هَشيمًا تَذْرُوهُ الرِّياح * فاستَمَعَ تَهُورَ لَفظاتِ هذه النَّسَمات * واستَمَرَّ نَفَثاتِ هذِهِ النَّفحات * وأمَرَّ باعدادِ لُبوسِ القِباب * واستِعدادِ بَرْكستوانات الحِباب * واتَّخَذَ لِصفاحِ الجَمِدِ وسِهامِ البَرَدِ * من المُبَطَّناتِ الدُّرَقَ ومن الفِراءِ الزُّرَدَ * ثم ضاعَفَ لِمُلاقاةِ الشِّتاءِ مُضاعَفاتِ اللِّباس * وأمَرَّها على قامَةِ عَزْمِهِ الثاقِبِ أمَدَّها من كافاتِ كِفايَتِه بأتراس * ولم يَلْتَفِتْ الى كَلامٍ ومَلام * واستَكْفى من الغِتاءِ ما لَبِسَهُ واحِدٌ من كُلِّ كافٍ ولام * وقالَ لِعَسْكَرِهِ لا تَكْتَرِثُوا

يا مَرِ الشتاء فانيا هو بَرْدٌ وسلام * وحين اجتمعت عساكره * والتأمت أموره وأوامره * أمر أن يصنع له خمس مائة عجله * وتضبب بالحديد لتحمل عليها ثقله * فبادر الشتاء خروجه بالدخول * وأورد بانقطاع جراية عمره من ديوان الفناء الوصول * فبرز في شهر رجب * وقد أصبح البرد عجبا واي عجب * وسار لا يرق لمرق * ولا يرثي لجسد من البرد محترق * فوصل في سياحته الى سنجون وقد تجمد * وبنى عليه رائق النسيم الصرح الممرد *

قلت قد يما * شعر *

* على البحر قد عاينت جسرا ممددا * بناه آله العرش صرحا ممردا *
* بكيت فخلت الدمع في جنباته * رقيق رحيق في زجاج تجمدا *
فعبره ومر * ومضى على ذلك واستمر * وتمادى على لجاجه واصر * فدمر الشتاء عليه بالدمار * وانحط عليه من الجوانب بكل اعصار فيه نار * وحطم جيشه بكل تكباء صرصر * وضرب اثباج عسكره بصرة طول فيها وما قصر * وهو بذلك الجمع الكثير يسير * لا يحصى لا يسير ولا يحصر ومن كبير * يسابق البرد برده * ويجاري اجرده بجرده ومرده * فجال فيهم

الشتاء بحراجيف عواصفه * وبث فيهم حواصب قواصفه * وأقام عليهم
فائحات صبابره * وحكم فيهم زعازع صنابره * وحل بناديه *
وطفق يناديه * مهلاً يا مشوم * ورويداً أيها الظلوم الغشوم *
فالى متى تحرق القلوب بنارك * وتلهب الاكباد بأوامك وأوارك *
فان كنت احد نفسي جهنم فاني اثاني النفسين * ونحن نحسان
اقترنا في استيصال البلاد والعباد فاتحس بقران النحسين * وان كنت
بردت النفوس وبردت الانفاس فنفحات زمهريرك منك ابرد *
اوكان في جرائدك من جرد المسلمين بالعذاب فاصمهم واصمهم نفي
ايامي بعون الله ما هو اصم واجرد * فوالله لاحابينك * فخذ ما آتيتك *
ووالله لايحميك ياشيخ من برد ريب المنون * لواعج جمر مجمرة ولاوامج لهيب
في كانون * ثم كال عليه من حوامل الثلوج ما يقطع الحديد ويفك
الزرد * وانزل عليه وطى عساكره من سماء الزمهرير من جبال
فيها من برد * وارسل عقيبها زوابع سوافيه فحشتها في آذانهم وماقيهم *
وردستها في حياشيمهم فاستقبلت بها نزع ارواحهم الى تراقيهم *
وجعلت تلك الريح العقيم * ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته

كالرميم * واصبحت مشارق الارض ومغاربها من الثلوج المنقضة * كأنها برعرعات القيامة او بعض صافات الله من نفضه * فكانت اذا ابزغت الصقعاء ولمع الصقيع ترا آن عجب * سماء من فيروزج وارض من بلور ملأ ما بينهما شذور الذهب * فاذا صبت فيما بين ذلك والعياذ بالله نسمة ريح * على نسمة ذي روح * اخمدت نفسه * وجمدته وفرسه * وبذلك الجمل والجمال * حتى اتت على كل مرمق الحال * وانتهى الشان الى ان طابت النار وردا * وصارت لوارديها ملاما وبردا * واما الشمس فانها ارتجفت * وجمدت عينها من البرد ونشفت * وصارت

كما قيل

* يوم تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها *

وكان الرجل اذا تنفس جمدت انفاسه على حباله ولحيته * فيصير كأنه فرعون وقد رضع لحيته بحليته * وان لفظ من فيه نخامة عاقدة * لا تصل الى الارض مع ما فيها من الحرارة الا وهي بندقة جامدة * فانكشف ستر الحيرة عنهم * وانشد لسان حال كل منهم *

* شعر *

* فيا رب ان المرء اصبح كالجا * وانت بحالي عالم لا تعلم *

* فان كنت يوما مدخلي في جهنم * ففي مثل ما الیوم طابت جهنم *

فهلك من عسكره الجم الغفير * واتى الشتاء على كبير منهم وصغير *

وشاط منهم انوف واذان وسقط * وانحل عقد نظامهم وانفرط *

ولا زال الشتاء يهب ويصب عليهم ريحا وبحارا * حتى اغرقهم فيها

وهم عاجزون حيارى * ونودي عليهم مما خطيآتهم اغرقوا فادخلوا

نارا * فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا * وهو مع ذلك لا يلتفت

الى من مات * ولا يتأسف على ما فات *

ذكر مرسوم ارسله الى الله داد * بعث منه الاكباد * وفت

القلوب والاعضاد * وزاد ما خيله فيه من هموم بانكاد *

وكان تيمورجين مخرجه من سمرقند ارسل الى الله داد باشبارة *

مرسوما اذهب فيه قراره * ونفر طائر نومه عن وكر اجفانه واطاره *

وفيهم من نحوا به الاشارة * انه طالب دماره * وموتم اولاده ومخرب

ديارة * شق عليه فيه المضائق * وسد في وجهه الطرق والطرائق *

واقترح عليه فيه بأمور يسهل منها قطع الجبال ونقل الصخور
ويعذب عندنا ماء شرب البحور من أقلها أن يهوي له بمفرده
إقامة ليوم قد ومه دون غده خفيا يكله ليله وقفيا يطيعه
خيله ومن عرض ذلك مائة جمل جملا طحينا خاصه وهو مخصوص
به لليلة واحدة خاصه وانه مع عساكره الجرارة لا يبيت سوى
ليلة واحدة باشارة الى غير ذلك فلما اطلع الله داود على هذا
الكتاب وفهم ما تضمنه فحوى هذا الخطاب علم انه قد حق به
العذاب فعلت رعيه وبذل سعيه واخذ في اعداد الطحين
واجتهد في ادارة الطواحين وكانت الطواحين ارقف من حال ايوب
في هذا الزمن العجيب ومجاري مياهها ايبس من كعب شحيح
كلف زمن القحط تذرية الدقيق في الريح ورد ماء الانهار في مجاري
عروق الجبال ناضبه ودموع العيون في آماق الغروب عازبه
فبذل ما كان اعده لكل نائبة وشده واباح نفائس الاموال
واستعان على اجراء الماء بالمال واستغاث بأولي النجدة من الرجال
واستمد المدد من كل عدد وعدد واستنهض آراء المحققين من الاصحاب

واستدفع بهم ما نزل به من مخلب للبلاءات ونائب * وقرع لقرع
ما وقع عليه مما لا طاقة له به كل باب * فاستجابوا دعاءه * واجابوا صداه
ونبراه * زرافات ووحدانا * واستطبوا المرضه * وجمعوا من العملة الفعلة
الاسودوا السراجين * فعملوا في سوق الانهار من الاعمال ما يدير
الطواحين * وجعلوا يعالجون البرد * ويقطعون في طريق الماء
الجمد * فكانوا كالضارب في حديد بارد * والكابد بتزويق وعظه
قلبين قلب الجامد * حتى سهلت حزونه * ورق لكابدتهم فدمعت عيونه *
وصاروا لا يقطعون من الجليد * مقدار ذراع بالحديد *
الا وقعت تسيمه يائسه * على تلك الوجوه العابسه * فاذا هب بارد
النسيم * قابلة الماء بوجه بسيم * فيبرد قلبه من نازهم * ويبرد
لبه من اوارهم * فيجمد ملتفوق ذلك * فتضيق عليهم المسالك *
فيرجعون القهقرى * ويشكون كالحبالى الى ورا * والله داد مع
ذلك يمثل الاموال * وينادي مستغيثا يا للنساء يا للرجال *

* قلت *

* كان كل منهم كالحمار * يخرج ما امكنه بالحمار *

* يوقفه الله لاجرائه * وكلما ازعجه البرد دار *
الى ان وقع الاتفاق بين الرفاق * ان هذه مسئلة تكليف مالا يطاق *
وحين تعين له امرهم * وتعين عندهم ذلهم * قارنه الحظ الحالك *
وتيقن انه لا محالة هالك * وانه قد وقع في البلاء العريض الطويل *
وان محمد ومه ما طلب منه في ذلك الحرز الدقيق الا لامر جليل * وكان
بلغه ما وشاه به اضداده * ونقل الى تيمور عنه اعداؤه وحساده *
وعلم ان خاطره تغير عليه * وفعله مع محمد جلد مشيد جامعه قد
نقل اليه * وكيف قتله شر قتله * ونهب اموله واسر اولاده واهله *
وكان متوقعا من تيمور * اضعاف هذه الشرور * لا يقره قرار *
ولا يسكن له ليل ولا نهار * وقد غسل من الحيوة يده * وودع
حيوته واهله وماله وولده * وقد قرب شهر الصيام * وصار بينه
وبين تيمور نحو من عشرة ايام * وقد انقطعت الدروب * وضعف
الطالب والمطلوب *

* مفرد *

* اذا تضايق امر فانتظر فرجا * فاضيق الامر اداناه الى الفرج *

ذكر سبب انكسار تلك الجرار * وانتقاله الى ذاوالبوابر * واستقراره

في الدرك الاسفل من النار *

وجعل تيمور يواصل التسيار * حتى وصل كورة تدعى النزار * ولما كان بظاهرها من البرد آمنا * اراد ان يصنع له ما يرد الابردة عنه باطنا * فامر ان يستنطر له من عرق الخمر المعمول فيها الادوية الحارة * والافاويه والبهارات النافعة غير الضارة * وابى الله ان تخرج تلك الروح النجسة * الا على صفات ما اخترعه من الظلم واسسه * فجعل يتناول من ذلك العرق * ويتفوق افاويقه من غير فرق * لا يسأل اخيار عسكره وانباءهم * ولا يعبأ بهم ولا يسمع دعاءهم * حتى سقته يد المنية كاسها وسقوا ماءها حميما فقطع امعاءهم * فانه لم يزل للقضاء معاند * وللزمان مجالد * ولنعم الله تعالى جاحد * ولا شك انه جاء يوم القيامة وتحمل مظالم الخراج زائدا * فاتخذ ذلك العرق في اثنائه وكبده * تخرق بسلن جسمه ورفع اركان جسده * فطلب الاطباء * وعرض عليهم ذلك الداء * فعالجوه في ذلك البرد * بان وضعوا على بطنه وجبينه الثلج فانقطع ثلاث ليال * وعلم احمال

الانتقال * الى دار العز والنكال * وبئست كبده * ولم ينفعه ماله وولده * وصار يتقلب ندما * ويأكل يديه حسرة وندما

* مفرد *

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع *

وجرعه ساقي المنية امر كاس * وامر بما كان جاحده فلم ينفعه ايمانه لما رأى الباس * فاستغاث فلم يوجد له مغيث * ونودي عليه اخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث * اخرجي ذميمة * ظالمة اثيمة * وابشري بحميم وغساق * ومجاورة الفساق * فلو تراه وهو يغط غطيط البكر المخنوق * ويخمد لونه ويزبد شدقاه كالبعير المشنوق * ولو ترى ملائكة العذاب وقد اظهروا استبشارهم * واخذوا على الظالمين ليخربوا دياره ويطيروا ثمارهم ويهدموا منارهم * ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم * ولو ترى نساءه وحاشيته وهم حوله يبكون * واعوانه وجنده وقد ضل عنهم ما كانوا يفترون * ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون

عَذابَ الهُونِ بما كُنتُم تَقولُونَ على اللهِ غيرَ الحَقِّ وكُنتُم عن آياتِهِ تَستَكبِرُونَ * ثم انهم احضروا من جهنم المسوح * وحلوا سلل السفود من الصوف المبلول تلك الروح * فانتقل الى لعنة الله وعقابه * واستقر في اليم زجرة وعذابه * وذلك في ليلة الاربعاء سابع عشر شعبان ذي الانوار * سنة سبع وثمانمائة بنواحي انزار * ورفع الله تعالى برحمته عن العباد العذاب المهين * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

قلت * شعر *

* الدهر دولاب يدور * فيه السرور مع الشرور *
* بينا الفتى فوق السما * واذا به تحت القبور *
* كم من شهم في سما * فلك العلا له يدور *
* لما استوت في عزها * زالت واكفها القتور *
* وملوك دنيا اضرمت * من نار حقد واها السعور *
* ملكوا البلاد وأهلها * ماضي الاوامر والامور *
* اغرامهم الدهر الخؤون وغر بالله الغرور *

* ضَحِكَ الزَّمانُ بِغَيْرِهِ * لَهُمُ وقد مَلَكُوا الثُّغُورَ *
* فَغَدَرَ اذِ ثابَ الى الاذ * نِ وغَدَرَ اسْوَءَ مَلْقَى الشُّرُورِ *
* عَنَّى لهم فتَرَاقَصُوا * مِثْلَ الشُّخُوصِ بِلا شُعُورِ *
* وحَكَوا طَرَبًا بِاَنَّهُمْ * طَيْفُ الخَيالِ اذا يَدُورُ *
* وتَوَهَّمُوا اَنَّ الزَّمانَ * مُطاوِعٌ غَيْرَ النَّفُورِ *
* واَنَّ ما نالُوهُ مِنْ * دُنْيا يَفُوزُ ولا يَفُورُ *
* فتَواثَبُوا وتَهارَشُوا * وتَكالَبُوا بِشَبَهِ النُّبُورِ *
* وتَلاكَزُوا وتَلاحَزُوا * وتَناجَزُوا الضَّرْبَ الهَصُورِ *
* وتَناخَزُوا وتَلابَزُوا * وتَناقَرُوا نَقْرَ النُّسُورِ *
* هٰذا واِنْ يَتَصالَحُوا * يَتَصافَحُوا مَيْنًا وزُورِ *
* فَتَهافَتُوا في نارِها * مُتَصَوِّبِينَ مَعَ الشَّرارِ النُّورِ *
* بَيْنا هُمُ في عِزِّهِمْ * واللهُ مِنْ مَكْرٍ غَيُورِ *
* اِنْقَضَّ فيهم صَرْفُهُ * كالصَّقْرِ يَقْصِدُ كُلَّ طَيُورِ *
* اَمْسَوا وكُلٌّ منهم * كالنَّجْمِ يَلْقَى لِلْمُقُورِ *
* لا مُلْكَ رَدَّ يَدَ الرَّدى * عنهم ولا مُلْكٌ وَدُورِ *

كلا ولا جحش ولا ولد ولا مد ونصور
ثم اضمحد آثارهم محوا كما نقش السطور
لم يبق منهم ذو قم شيأ يموت ذكر بذور
تا ميلك منهم فتنة كلا بحر الظلما تمور
الا عوج الدجال من تقتم الجاجم والظهور
داخ البلاد دمارها وثوابت الدنيا تدور
أملى له الله العليم فزاد عدوه في فجور
ولعله مستدرجا اياه في شيء يسور
ليزداد في امهانة حكما يعدل لام تجور
فاجتاح كل الخلق من غرب ومن عجم القطور
ومحا البلاد ومدن الورى بحسامه الماضي يمور
ما فتن الملوك كلهم في غرب وفي علم وقور
وعصى على اطهاره نور الاله والبين الطهور
فمروج جنتك خلت ذاك الظالم النجس الكفور
فلياح اغيرا ق الدما من كل صاد وشطور

* وَأَجَلَّ مَنْ حَصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ مِنَ الْخُدُورِ *
* وَرَمَوْهُنَّ النَّارِ الْبَتَّارَ تَنْعَمُ بِهَا تَتَبَخْتَرُ *
* مَرَاضَاتٍ فِي هَذَا الْـ * نَعْلِ الزِّنَا شُرْبَ الْخُمُورِ *
* طَوْرًا يَرَوْنَ تَكَسُّبَ الْعُهُودِ وَتَارَةً نَقْضَ النُّذُورِ *
* وَعَدَا عَلَى السَّادَاتِ مِنْ * أَهْلِ الصِّيَانَةِ وَالْوُقُورِ *
* مِنْ كُلِّ ذِئْبٍ سَائِلٍ * مِنْهُمْ وَمِنْ كَلْبٍ عَقُورِ *
* فَتَكُوا وَقَدْ بَتَكُوا الْقُلُوبَ وَبَعْدَ مَا بَتَكُوا السُّتُورِ *
* وَشَوَوْا أَجِسَّةً طَالَمَا * مَجَدَ مُصَلِّيَ الرَّبِّ الْغَفُورِ *
* وَكَوَوْا جُنُوبًا قَدْ حَمَتْ * طِيبَ الْمَضَاجِعِ وَالظُّهُورِ *
* وَاسْتَخْلَصُوا الْأَمْوَالَ مِنْ * أَيْدِي الْبَرَايَا بِالْفُجُورِ *
* وَسَقَوْهُمُ كَأْسَ الْبُؤْسِ وَجَرَّعُوا كَأْسَ الْحَرُورِ *
* وَاسْتَأْسَرُوا آلَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الطُّهْرِ الْبَشِيرِ *
* عُوضًا مِنْ مُشْرِكِ الْـ * تُرْكِ فِيهِ أَوْ تَصَعْلُكِ جُورِ *
* وَكَفَى أَكُفَّ رَاحِلَاتِهِ مِنْ كُلِّ خَلَّاجٍ مَرُورِ *
* وَبَرَوْا طَرِيقَ صِرَاطِ بَيْـ * ـتِ الْمُصْطَفَى الْهَادِي الْمُنِيرِ *

* ما بين ايوان وتوراني البلا * لهم قبور *
* وامتد ذاك من الخطا * اخذا الى اقصى القطور *
* لما انتهى افساده * وتكاملت تلك الشرور *
* هجم القضاء لاخذه * وبكل تكميل قصور *
* حذفته ايدي الموت من * تلك القصور الى القبور *
* وتبدلت منه الكرا * مة بالمذلة والغثور *
* ومضى الى دار النكا * ل بما تحمل من وقور *
* وتفرقت تلك الجموع * ومد ما شاد الثبور *
* ابقت عليه فعاله * لعنا على مر العصور *
* وتخلدت آثاره * آذى على كر الدهور *
* فانظر اخي ثم افتكر * في ذا المصاب وذا البكور *
* لا فرق عند الموت بين * شكور فضل او كفور *
* اين الذين وجوههم * كانت تلألأ كالزبور *
* املى السعادة والحجى * وذووا السيادة والوقور *
* المطعمون بالسنا * والمخجلون غيث البحور *

* كانوا عظاما في الصدور وهم صدور في البدور *
* طحن الزمان تلك العظام وفت ما تيك الصدور *
* وحتهم ريح الفنا * مثل الرمال يذا الثبور *
* اين المنون ومن غدا * للقلب افراحا وسرور *
* كانوا اذا رفع الحجاب وحزمت منهم ستور *
* تلقى الدنا قد اشرقت * كالشمس من جنب الخدور *
* من كل ظبي احور * او ظبية تزري ببدور *
* بشر الجمال عليهم * ثوب الدلال على حبور *
* وقد تهم مهج الورى * من شر احداث الدهور *
* كانوا اذا سكنوا مكانا حركوه من السرور *
* كانوا على وجه الدنا * حدقا وللاحداق نور *
* وحدائقا لريا ضها * وعلى حدائقها زهور *
* بينا هم في مكرم * قد مازج البأس الزرر *
* والعمر غض والزمان مسلم لهم الامور *
* واذا بساقي الموت قد جاءهم بكاسات الثبور *

* فسقى رياض خيوتيهم * قطر الحما اعداد الكل بور *

* تركوا فسيح قصورهم * رغما الى ضيق القبور *

* وسقوا كؤس فراقهم * صبرا لكل شج غيور *

* من شق حزنا جيبه * ولفقدهم دق الصدور *

* لو كان ينفعه الرثى * او كان تجديه النذور *

* لفداهم ورقاهم * ورعاهم رعي الخدور *

* سكنوا الثرى فتغيرت * تلك المحاسن والشعور *

* ورعاهم ورد الليالي * وفراهم فري الجزور *

* امسوا رميما في الثرى * وثووا الى يوم النشور *

* يسعى المحب مخاطبا * اجدا ثهم يوما يزور *

* ينعى ويندب نائحا * قبرا تناوشه الثؤور *

* يصرخ الخدين في * تربٍ يراها كالقرور *

* يا حرقتي يجيبه * الا صدى صم الصخور *

* بينا تراه زائرا * واذا به امسى مزور *

* فسبحان المقدر للانام وحكم فعال صبور *

* دُنياكَ جِسْرٌ فاعتَبِرْ * واحرُصْ على زادِ العُبُورْ *

* واطمَحْ الى اللُبِّ الهَنِي * فجَميعُ ما فيها قُشُورْ *

* لو لم تَكُ الدُّنيا وما * فيها هَباءً لَخَيْثَعُورْ *

* ما كانَ يُزْوَى بِرُّها * عن كُلِّ صَبّارٍ شَكُورْ *

* كَلّا ولا انقادَتْ لِمَنْ * قد صارَ مُختالاً فَخُورْ *

* هذا وغالِبُ مَنْ عَتا * في ارضِها عُرْجٌ وعُورْ *

* خُلِقُوا لِحَقٍّ فانثَنَوا * عَنْهُ الى مَيْنٍ وزُورْ *

* يا رَبِّ ثَبِّتْنا على * ما تَرْتَضيهِ من اُمُورْ *

* واغفِرْ لَنا ما قد علِمْتَ * من الخَطا يا يا غَفُورْ *

* واختِمْ لَنا بسَعادَةٍ * نُكفى بِها شَرَّ الغُرُورْ *

* وامْنُنْ لَنا بتِجارَةٍ * من بابِ فَضْلِكَ لن تَبُورْ *

* وادِمْ سَحائِبَ رَحْمَةٍ * تَهمي على بَدْرِ البُدُورْ *

* خَيْرِ الأَنامِ مُحَمَّدٍ * الشافِعِ الزَّيْنِ الطُّهورْ *

* والآلِ والصَّحْبِ الكِرامِ وتابِعيهِمْ يا شَكُورْ *

فصل في ذكر ما وقع بعد وفاة تيمور * من حوادث وامور * وما ظهر

من سرور وشرور *

وكان لله داد احد الخلان * يدعى سعادت نائب اندكان *
من ذوي النباهة والشهرة * واحد الامراء الذين توجهوا
لعمرة باش خمرة * فارسل قاصدا الى الله داد * انه ارتفعت
مادة الفساد * وان تيمور ترك تبعة الممالك * وتوجه بتبعاته الى دركي
مالك * فوصل القاصد بهذا السرور * رابع عشر شهر رمضان من العام
المذكور * ففرج عن الله داد همه * وزاح عنه غمه * وكأنه استأنف له
الحيوة * اورد راحلته التي عليها طعامه وشرابه بعد ان اضناها
في تلك * وسيأتي حكاية الله داد وامره * وما جرى له بعد ذلك
الى آخر عمره *

ذكر من عاد الى بخت * واستولى بعد تيمور على التخت *

تيمور رتبته * وازال الله عن العالم كربه * لم يكن معه
في اجناده * من اقاربه واولاده * سوى خليل سلطان بن اميران
شاه حفيده * وسوى سلطان حسين ابن اخته الذي هرب الى السلطان
في الشام عند ورود * فاراد واكتم هذه القضية * وان لا يشعر بها احد

من البرية * فشاعت وراعت * وطن رعبهم دعت * فاضطربوا
واضطرموا * واضطلموا واضطلموا * فاطلع الناس كلهم على ذلك
وفهموا وعلموا * انه قطع دابر القوم الذين ظلموا * فجفلت العساكر
واجفلوا * وحملوا عظامه والى سمرقند قفلوا * وساعد خليل سلطان
البخت * وخلا له الجو فاستولى على التخت * وكان ابوه اميرانشاه *
متولي ملك اذربيجان وما والاه * وعنده ولداه عمر وابوبكر *
وبينهم وبين ماوراء النهر * من الاطواد والاشجار مائة مياج
والف سكر * وكان ابوبكر هذا في الجغتاى من الفوارس * والضاربين
بالبيض الهام والقوانس * يذكر انه كان يوقف بقرة * او ينيخ بكرة *
ويضربها بالسيف ضربة لا ضربتين * فيجعلها قطعتين مفصولتين *
وامير انشاه هذا قتله قرا يوسف بعد تيمور واستخلص منه ممالك
اذربيجان * وولده عمر قتله اخوه ابوبكر وابوبكر قتله ايدكو
متولي كرمان * ومصاقاتهم مذكورة * وحكامهم مشهورة *
وشاه رخ كان في هراة وممالك خراسان * وبير عمر كان في ولايات
فارس وتلك البلدان * وتيمور كوركان * جعل ولي عهده محمد سلطان *

وفور ان كان من احفاده * لكنه قد مه على اولاده * لما
لاح له من فلاحه * وظهور رشده وصلاحه * فعاند الفقهاء
فيما يروم * ومات كما ذكر في آق شهر من بلاد الروم * وكان له
اخ يدعى بير محمد * فجعله ثيمور ولي عهده من بعده * فلما هجم عليه
داء الموت * واصاب روحه الخبيثة بازعج صوت * كان مستغرقا في
بحار غفلته * مستر جيا ارجاء مهلته * فذبحه اغتباطا * وسام
مسكره اختباطا * وكان اذ ذاك من اولاده واحفاده بعيد الدار *
مستقر القرار آمنا من البوار فارغا عن الدمار * وهم كتيمور غافلون
وبير محمد في قندهار * وهي بين حدي خراسان والهند وبينه وبين
ما وراء النهر سباسب وقفار * فلم يكن اقرب الى دار الملك الذي انشاه *
وهي سمرقند سوى خليل سلطان بن اميرانشاه * مع ان قطان الشتاء
وقد افاء * كان بسط على فراش الارض لحافه * وقد ف عليه من
قطان الثلوج ما غطى وجه العالم واطرافه * وطم ظهره واكتافه *
فلم يقدر احد من اولئك الحشرات ان يخرج رأسه عن اللحاف *
او يضحك ثغر زهرة انملة في كم كمه خوفا من جاني النمير ان يبادرها

باختطاف الاقتطاف * فضلاً أن يتمطى في فراش أمنية الى حركة سفر
فيميد نحو بطش او رجله نحو طواف * تأستولى خليل سلطان على
ذلك الغنم البارد من غير منازع وعديل * واستبد الملك بل العالم
من جهنم الكوثر والسلسبيل * وناداه لسان السلطنة في رفعتها نعم
البديل * بديلت عن بغيض بحبيب وعن عدو بخليل * وتمكن من
العساكر والامراء * وخلاصة الجند واساطين الزعماء * واجتمعت
على تلك الامم * وطوائف الرؤس من العرب والعجم * وادخل عنق
الجميع في ربقة المتابعة * وفتح لهم في اسواق الصداقة حوانيت الصلات
فعاملوه بعقود المبايعة * ولم يمكن احدا منهم الخروج عن المأمول
في الطاعة * والتخلف عن المبادرة الى مبايعته في ذلك اليوم والساعة *
فاطلق لهم البشرة * واحسن معهم العشرة * وكان يوسفي الخلق *
محمدي الخلق * خليلي الرفق * اسمعيلي الصدق * جمشيدي
الملاحة * وحازمنوف الصباحة * نقش معاصمه كاتب الصنع بقلم الكاف
والنون * على احسن ما يكون من الحركات والسكون * فاول ما شغل
على نوح الجمال الف تنه القويم * فباء له كل من طاله من لائم عن ازره

مُتَقَوِّسًا في خِدْمَتِهِ كالدَّالِ والجيم * وحَسُنَ كُلَّ واوٍ ما فيه من زين *
وماشين مِينُ ثَغْرِهِ وميم فمِهِ مِنْ فاما نُخْلِفُ ولا مِينُ * فاستقفى بوا بلِهِ
كُلَّ قافٍ * واستكفى بنائِلِهِ كُلَّ كاف * وامطر من غَيْنِ كفِّهِ العَيْنَ * فصادَ
من الجُنْدِ كُلَّ ذي لامٍ وباء * ورَدَّ أَلَ بذلك على كُلِّ مَنْ باءَ عن وَعْدِهِ
ورَجَعَ عن عَهْدِهِ وفاءَ * فغَدَتِ الواقياتُ مُهْجَتَهُ * ورَقَتْ من عَيْنِ
الحَوادِثِ نُهْجَتَهُ * وعَوِذَتْ منه الأَرْدافُ * بالطُّورِ والأَحْقافِ *
ورَحِمَتْ نُونَ حاجِبِهِ رَفاهُ وطَرْفَهُ وطُرَّتَهُ ورِدْفَهُ بحمِ عشق * وفَتَحَتْ لَهُ
المُلُوكُ بالثَّناءِ فاما * وخَفَضَتْ لارتفاعِهِ خُدُودَها معوِذَةً له وقالَتْ

يا مين وطا ما *

ذكر خلاص العساكر من البند * وقفولهم مع عظامه الى سمرقند *

ولما ذَبَحَ قَصّابُ الفناءِ تيمورَ ولحرَهُ * جزرَهُ كالجزورِ فجعلَ يخورُ
كالثورِ والبقرةِ * ثم أرادَ أن يُصليَهُ من نارِ الجحيمِ حفرةً * فاستغاثَ
بخليلِهِ فاجارَهُ واخرَهُ * وقالَ لا تعجلْ عليه وحملَهُ في محفةٍ بعدَ العجلةِ
وصبرَهُ * والنورُ راجعاً الى سمرقند * وكان قد انجلى نهرُ خجند *
وطالبُ الشتاءِ قد ادركَ ثارَهُ * وبردُ قلبِهِ وصفيرُ الحرارةِ *

* قلت *

* ورق للعالم * بسيم * واقبل الدهر بوجه بسيم *

ثم هجم جيش الربيع المصور * فانهزم جند البرد مولى وهو مكسور *

ذكر ما اضمره وزراء تيمور * واخفاه كل منهم في التامور *

وكان في افلاك ذلك العسكر * سيارات نجوم بهم سعاوة تزهر * وبآرائهم

يقتدى * وبرؤيتهم يستضا *

* قلت *

* من كل منتخب للامر منتجب * كالشمس رأيا وكالضرغام اقداما *

قد هذبتهم الامور * وشذبتهم بلايا تيمور * واستفتح بهم المغالق *

واستوسع بصدماتهم المضائق * وتخلص بحملاتهم من شدة كل مارق *

وتوصل بعزمهم الى نيل المآرب * وتوسل بعزيمتهم الى كنوز المطالب *

وكان هو البدر وهم الهالة * وهو الفاعل وهم الآلة * وهو الروح

وهم الحواس * وهم الاعضاء وهو الراس * فلما كورت شمس

مواكبهم * وانتثرت كنس كواكبهم * ورحل زحلهم * وخاب املهم *

* قلت *

وعوّض الكون الدجى بالضحى * وبدّل اليمن بالمشتري *
أجال كل منهم قداح فكره * وتدبر في ذلك الحادث وعاقبة أمره *
واستصغر خليل سلطان * وعلم أن موج المنازعة سيأتيه من كل مكان *
وأنه لا يصفو له ورد الملك من مكدر * ولا هواه من مغير * واقل
الأشياء أن يقول له رسول اكابر اقاربه كبير كبير * فاعد لكل شدة
شدة * ولكل صدة عدة * ولكل خزة فزة * ولكل حزة حزة * ولكل بوسا
لبسا * ولكل سهم ترسا * ولكل نابة نابا * ولكل بائقة بابا * ولكل
خطبة خطابا * ولكل خطاب جوابا * ولكل حرب جوابا * ولكل امر
أمرا * ولكل غدر غدرا * ولكل ازمة حزمه * ولكل نصب نصبه *
ولكل كسرة جزمه * ولكن شكيمة البرد ردت جماح كل جموح *
وسفيحة الجد قدت جناح كل سبوح * فما وسع كلا منهم الا
الاطاعه * والانقياد لامر خليل سلطان بالسمع والطاعه * واستمروا معه
على القفول * مصغرين لخليل ما اضمره للحبيب عبد الله بن ابي بن
هلول * وكان احدهم يدعى بزندق * فرام الى التحصن بقلعة
المخالفة التسلق * فقال لخليل سلطان ان اقتضى الاراء ان تقدم *

وأمهد لك الأمور الى حين تقدم * وأكون رائد دولتك * وقائد سلطنتك * فأشيد القواعد * وأبشر الصادر والوارد * فيكون كل مستعد للملاقاة * ومهيأ اسباب الموافاة * فاذن له * وامامه ارسله * فوصل الى سمرقند وقد عقد عليه جسر بالمراكب * وهيئت اسباب عبوره لكل راجل وراكب * فعبره بزندق بجماعته * ثم امر بقطعه من ساعته * واعلن العصيان * وقصد سمرقند مجاهرا بالطغيان *

* نظم اتفاقي *

* فكشرت انيابها * في وجهه انيابها *

* واسبلت عصبتها * بما بها حجابها *

* واعدلت له جبين منعة نقابها *

فاستدرك فارطه * وسلك في مسئلة مغالطه المغالطه * ووصل خليله سلطان الى الجسر فوجد عقده قد انحل * ونظامه قد اختل * فلم يكترث بمزندق وما فعل * بل عقده مرة ثانية ودخل * وولى ما وراء سمرقند من البلاد * متوليها اولا وكان بن محمد ايداد * وامر كبير امرائه * ومن وفاه تيمور ونظرائه * ومنسوبا الى السلطان حسين *

وهو في تلك البلاد بمنزلة الروامي والعين * فلم يسع خليل سلطان الا مضالمته * واقراره في بلاده ومهادنته * اذ امورة كانت في اوائلها * تفوض اليه امرها والقلوب في غوائلها *

ذكر وصول خليل سلطان * بما ناله من سلطان الى الاوطان *

ثم توجه الى سمرقند فاستقبله كبراؤها * وخرج اليه نابيها وزعماؤها * ووفد عليه نواب البلاد * منغمسين في السواد * لابسين اثواب الحداد * وجاء الاكابر والعظام * معظمين هاتيك العظام * ومهنين خليل سلطان بالسلامة * ونيل سرير الزعامة *

* قلت *

* وجه كل من غدا * مثل الربيع القادم *
* بعين شعب قلبكت * وثغر زهر باسم *

وجعلوا يقدمون التقادم السنية * والنحولات المهية * ويقابل كلا منهم بما يليق بحشمته * وينزله في منزلته * وقال لبزندق لا تثريب * وقابله مقابلة الخليل الحبيب * ومهد له بساط المواسطه * وسلم اليه مسئلة المغالطه * وحين ثبتت اوتاده واقتلعه * والقاه على عقله *

في فم اسد المنية فابتلعه * ثم اخلى طريد يا ركلاب التهاب * وشهاب
الالتهاب * فمزق اديمها * وممتك حريمها * ومحا حديثها وقديمها

ذكر مواراة ذلك الخبيث * والقائه في قعر الجدث *

ثم انه اول ما اشتغل بمواراة جثته * وتجهيز امره والقائه في حفرة لحده *
فوضعه في تابوت من آبنوس * وحمله الرؤس على الرؤس * ومشى
في تشييع جنازته الملوك والجنود * حاسري الرؤس لابسي
الثياب السود * ومعهم طوائف الامراء والاعيان * وانزلوه
على حفيدة محمد سلطان * في مدرجة حفيدة المذكور *
بالقرب من مكان يسمى روح آباد وهو موضع مشهور * فكان مناك
على اثاث * في مرداب معلوم غير خاف * واقاموا عليه شرائط العزاء *
من اقراء الختمات والربعات والدعاء * وتفريق الصدقات * واطعام
الاطعمة والحلاوات * وسنم قبره * وتجزامره * ونشر على قبره
اقمشته * وعلق على الجدران اسلحته وامتعته * كل ذلك ما بين
مكمل وموضع * ومزركش ومصنع * ادنى شيء من ذلك بخراج
اقليم * وحبة من كل من تلك الجواهر تفوت التقويم * وعلق نجوم

قناديل الذهب والفضة في سماء فوانيها * وبنطاق مهاد عاقرقرش
الحرير والديباج الى اطوافها وحواشيها * ومن جملة هذه القناديل
قنديل من ذهب زنته اربعة آلاف مثقال * وطل واحد بالسمرقندي
وبالدمشقي عشرة ارطال * ثم رتب على حفرته القراء والخدمة *
وارصد على المدرسة البوابين والقومة * وقدر لهم الادرارات *
من المسانهات والمياومات والمشاهرات * ثم نقله بعد ذلك بمدة
الى تابوت من فولاذ * صنعه رجل من شيراز ماهر في صنعته استاذ *
وقبره في مكانه المشهور * تنقل اليه النذور * وتطلب عنده الحاجات *
وتبتهل عنده الدعوات * وتخضع الملوك اذا مرت به اعظاما * وربما
تنزل عن مراكبها اجلالا له واكراما *

* فصل في اعتدال الزمان * واخبار خليل سلطان *

ولما اخذت تيمور لصيحة بالحق فصارغتا * وقعد خليل سلطان
على التخت وقام الشتاء بعد ان كان جثا * مد الشعراء السنتهم للزمان
بالمدح ولخليل سلطان بالتهنية ولتيمور بالرثا * فسمع الشتاء وغنى
صوته زاجل * ورفع عن العالم في نهوضه الكلل والاعجاز * فانشج

الكون بورود الربيع * وشكر الروض للسحاب ما اسداه اليه من حسن الصنيع * ورفع على الروابي من الشقائق اعلامه * ونصب مما زهر دغيام الصنع من ازهار الاشجار خيامه * ونور الحدق بانوار الحدايق * واستنطق بتسبيح الخالق * من خطباء الاطيار على منابر الاغصان في جوامع الرياض ما استنصت بلغاته كل ناطق * من كل معرب في ديوان الفصاحة رائق * ومعجب باسرار البلاغة فائق * فرقصت الاشجار * لغناء الاطيار * وصفقت الانهار * واهتز الليل والنهار * واكتسى البسيط الاغبر * خلع السندس المزهر * وتبدلت الاغصان من قطني النلوج * كل ثوب باصباغ القدرة مزهر وبدل مقص الازهار منسوج * وكل قباء صار مزهرا في كل دف اغن لكل طائر مروج * وبسط الكون على المكان * لاقدام خليل سلطان شقق الورد والريحان *

* فصل *

ولما فرغ خليل سلطان من ذلك * شرع في تهييد الممالك وتسليك المسالك * وعلم انه لا يتقيد به انسان * الا بقيد الاحسان * ولا يجتمع له الناس * الا بتفريق المال * فعقد القلب على تلك الملمات الخطوم وحل

الرموز * وصرف الموانع والتوابع عن تلك المطالب والكنوز * وقوى العزيمة على فتح الخبايا * وصيد صعاب القلوب ببذل رحبات الهبات فتحت شباك العطايا * ففرق ما كان شتت جده في جمعه شمل البرايا * وثقل الكواهل بتخفيف ما اثقل ظهر غيره بالمآثم والخطايا * واوسق احمال الآمال * وربوع الاطماع بالاموال * وامطر ايادي يمينه بالنوال * فغاض الخير من صوب الشمال * وملأ الافواه والمسامع والمقل من الناس * بما افرغ من حواصل الكنوز والصناديق على اغتام الجند والاكياس * فنثر اغصان الدوح عند ورود الربيع اصناف ازهاره * فكأنه انامل كفه المنتظمة في نثار درمه وديناره * رجاد السحاب بدرره وامطاره * فضاهى جوده جوده الهامي على العالم واقطاره * فقيد الناس كلهم بهذا القيد * ونحوا صراف بذله معربين له بالاطاعة فترك عمرو وزيد *

ذكر من اظهر العناد والمراء * وتشبث بذيل المخالفة والعصيان من الامراء والوزراء *

غير ان بعض تلك القواد * وزعماء الوزراء والاجناد * اعلن

فكان اسرّ * ووضع المضمر من العصيان موضع المظهر * فازل من شهر عيد العصيان * وفوق سهام العدوان * وشرع بالمخالفة الردينى * خدايداد الحسينى * متولى ماوراء نهر سيحان * واطراف تركستان * فوجد من كان عزم على نقض يده من عقد الطاعة * اماما يقتدى به فى البغى ومفارقة الجماعة * لاسيما وقد كان صواغ الربيع قد اذاب بجموا ته سبائك الجمد والثلوج * ورصع بما اخرجه من ذلك ديباجة الارض وروضات الجنات وارباض البروج * واستمعت اموات الحشرات صيحة الرعود بالحق فقالت ذلك يوم الخروج * فاقتفى خدايداد * فى العصيان والعناد * شيخ نور الدين * وكان عند تيمور من المقدمين * وذوى الآراء والتمكين فانخزل جهارا * وسار ليلا ونهارا * فوصل الى خدايداد * وقوى منه الظهر والاعضاد * وشاركه فى التمرد والفساد * ثم بعده فرط نظام الطاعة شاه ملك * واخذ فى طريق المخالفة وهو منهمك * وخرج من سمرقند وهو يعرغ * وقطع جيحون ووصل الى شاهرخ * وكان نظير شيخ نور الدين * وذا رأى مكين وفكر رصين * فلم يكترث خليل سلطان

بالعامي والكوم من ثم يمتص * وعمم بتاج انعامه كل رامٍ وما خص *

ذكرا خصاه الله دام حسب اشتهاره * واخلائه ايامه وقصده ديار *

وما صنع في تدبير الملك واثاره * قولا وفعلا واشاره الى ان اراد ركبه

في ذلك دمارة وبواره *

ثم ان الله داود جمع اخصاءه ليلة ورود الخبر اليه * وعاورهم فيما يصنع

وما يبني امره عليه * فاتفقت كلمتهم * واجتمعت مشورتهم *

على قصد ديارة * واخلائه باشارة * فانهم كانوا في ذلك المكان *

كالعسيق في شهر رمضان * والزنبق بين قراء القرآن * فلما طوى

الجيوش تلك المسكنة * ونشر على المكان مروطه الكانونية * والقى ثعبان

الخبر من فيه على هذا السقف المزوق خرزته المضيئة * حضر الى خدمة

الله داود * امراء الجيوش على عادتهم ورؤس الاجناد * من الترك

والخراسانيين * والغوري والعراقيين * فاستقى باخيلهم * ومن ارادة

مكاوليهم * ونشر لهم من مدة العصبية طيها * وطلب من آرائهم فيها رشدها

وغيها * واستكتمهم امره * لئلا يستشير المغول نشرها * واني

لعين الشمس في الشعرا الا ستتار * وكيف تخفى على ذي عينين

النهار * لكل منهم فوض الامر الى مرسومه وطرح غصة سمه *
القضية في جنب مكتومه * فاستدعى من اولئك الرفاق * ان يكونوا
معه فيما يراه على طبق الوفاق * فاجابوه الى سؤاله * وربطوا افعالهم
باقواله * فاكد ذلك بطلب ايمانهم * وان اسرارهم في ذلك كاعلانهم *
فشرع كل في المحالفة * انه ليس في هوا نفقته مخالفه * وانه مهما رآه
الله راضيه * وما امر به فعله * وجبن من من مخالفته وعصيانهم *
وحصل له اليسار بربط اعناقهم بامانهم * قال اي جماعة الخير *
وقيتم المضرة وكفيتم الضير * اريد ان اكون في صلوة هذا الامر
امامكم * فاتقدم بجماعتي الى سمرقند امامكم * فامهدوا الامور لكم *
وارسل الى بلدكم هذا بلد لكم * وايم الله لا ياخذني قرار ولا
هدو * ولا اتركم مضغة لضاغم ثغور العدو * فان رايتم ان تضبطوا
بحسن الاتفاق امورهم * وتحموا قريحة وردة قلعتكم من سورة شارب
العدو وسورهم * فلن امهلكم الا بقدر ما قطع نهر خجند *
واصل الى سمرقند * فامهلوني بقدر ما اصل * وبخليل سلطان اتصل *
فتبعوا مراده * وانتفوا ما اراده * وما مدوه ان لا يخلفوا من بعده *

ولا يحلوا بعد ارتحاله من رقابهم حبل عهده * فامر عليهم رأس جنود العراق * وكان هو اكبر المرافق بالاتفاق * وقرر لكل مسلحة في اسوارها من كل سالح جزءا مقسوما * وصار زعيم اولئك السالحين كالنبي في امته مع انه كان يدعى معصوما

* فصـــــل *

ثم امر الله داود بتنجيز الامور * وخرج سابع عشر شهر رمضان المذكور * ولم يلتفت الى برد وحر * وكان قد استوطن اشبارة واستقر * ونقل اليها حريمه واولاده * وبذل لك امر حاشيته واجناده * فاقتلع الكل معه كبيرا وصغيرا * ولم يدع بها مما يتعلق به فتيلا ولا نقيرا * فساروا تارة دبيبا وحينا زحفا * وطورا تسوهم الارض من تلجها خسفا * وآونة تسقط السماء عليهم كسفا * فادركهم العيد المرقوق * في مكان يدعى فولانجوق * من ابرد البلاد * كأنه ينبوع ريح عاد *

قلت * شعر

اذا احتاجت جهنم زمهريرا * تنشق منه انفاس الهجير *

ذكر ورود مكتوب من الى الله داد * من خليل سلطان وخداداد * تخالفت معانيهما * وتصارمت لحاريهما *

فورد عليه مرسوم من خليل سلطان * يذكر فيه ما حصل لجده من حادث الزمان * وانه استولى على سريره * واطاعه من الملوك كل كبير القدر وصغيره * وان الامور بحمد الله مستقيمه * وقواعد الملك على عاداتها القديمة مقيمه * فلا يحدث امرا * ولا يخرج من حرم مدينته برا * وليتمسك بمكانه * وليتثبت باشباع زمع طوائف جنده واعوانه * وليطيب خاطر الجزء والكل * فانه عقيب ذلك يرسل اليهم بدل الكل من الكل * فتحير الله داد وتفكر * وحاسب نفسه هل يربح في سفره ذلك او يخسر * فكر وقدر * فقال كيف قدر * فبينما هو في امره يعيد ويبدي * ويلجم في شقة افكاره ويسدي * واذا بقاصد خداداد ورد عليه * يستحثه على الخروج من اشبارة والوصول سريعا اليه * فوجد خروجه من اشبارة عند خليل سلطان مندوحه * وعاش قنام وهو مغمض العينين بعد ان مات وعيناه مفتوحه * فطوى بساط تردده * وتوجه ببسط امله نحو مقصده *

وكان ذلك بعد وقعة الزاب بقرب الفتاد * والمواضع التي ذكرها صاحب
الفتوح التي بعد قصر زيادة نصر حسين وخندك اباد * فواصل التأديب
والاسناد * حتى وصل الى خندك اباد فابتهج برؤيته * واستنجح
مقصوده بطلعته * ثم قطع نصر حسين * وقصد ضواحي سرخس *
ونزل على جبل غيلة وقترة الى مكان يسمى تبرك * وقد شمر للعلو والن
الحسام وشمر للفتك المنيزك * فاخذ طلائع جشارتيمور فنهبها * *
وتغلب على ما وراء المرو من نقيد وجنيس فسلبه * واكثر اموالك شرا
وغلبه * واشبها في ذلك تبعة وهيطشود اوعلد * وكان قصدهم اول
غرة ربيع * فقطعت من سقط الزند * وبسطت يد ما بالفتن
بعد قبض تيمور في حياتك سرخس * لان اصلها كانوا قد اصلوا الشرور *
وقوع الفتن في حيوة تيمور * فحين دهمهم اولئك المغترون *
اتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * وذلك في شوال سنة سبع *
وهو العام الذي خلا فيه من تيمور الربع لما مكن السلطان خليل * تملك
هذا الخطير الجليل *

ذكر من خلفه اقتضاء باشارة تيمور الطوائف * وما وقع بينهم

من التناظر والتخالف

وأما الذين حملته الاعتقاد في الجبائية من طوائف الأجناد
فانهم خافوا من القول حلول حينهم فتحزبوا واختلف الأحزاب
من بينهم فمنهم فرقة قالت قائلهم انا على مذهب كرمي فلا احرك
واهين وقد استمسكت بالي بعروة غير مكين وارتبطت
بحبل حلف فلا اصير من اهل اليسار باليمين وادنى ذلك الذي نصير
حتى يصل من الله دار رسول او كتاب ونظرنا يبين لنا من حلوك
بينة فنميز بصائب نظرنا الخطاني ذلك من الصواب فان وافق ذلك
مرادنا امتثلنا ما يقول واتبعنا في ذلك الكتاب والرسول وتوجهنا
في تلك النحلة سالكين السنة مع الجماعة وان جاء المخالف بكل آية
بخطاب احلج عدلنا الى الاعتزال ومال كل منا في مصلحة نفسه
الى القول بوجوب رعاية الاصلح ومنهم شيعة مالت الى رفض تلك
الدارة والمبادرة الى الخروج حين اثارة وانتقلوا من تكرار منه
المجاهدة الى القتال وقطع راس احد رؤس الخوارجيين في حسابات
اليوان ومنهم طائفة امتنعوا الكتم فلم يلبثوا الا يسيرا حتى

ثم تحملوا وخرجوا من المدينة وتركوا الدار تنعى من بناها * فلم يسع الباقين الا اتباعهم في الخروج * لان مقامتهم من اول الزمان هناك كانت كبنيان العصور على الثلوج * فتحملوا بقضهم وقضيضهم * وتجهزوا بصحيحهم ومريضهم * وتركوا البلد بما فيه من غلات * ومستغلات ونعم وخيرات * واموال وارزاقه * ونفائس من عيشه * ولم يبق فيه من تلك الامم المسجونة * سوى ما عجزوا عن حمله من اموال مشحونة * وسوى امرأة واحدة مجنونة * والحقوا بالله داد * وهو عند خداداد * فلم يعنف واحدا منهم بما فعل * واعتذر اليهم بان خداداد منعه ان يتوجه الى سمرقند ويجهز لهم البدل * وامرهم بالاقامة معه مستوفزين * وان يكونوا لفرصة التوجه الى سمرقند اذ الاحت منتهزين

ذكر ما تم لالله داد مع خداداد وكيف ختله وخلبه * واسترق عقله وسلبه *

ثم ان خداداد تحقق بوقوع هذا الفساد * تأكد العداوة بين خليل سلطان والله داد * فركن اليه بعض الركون * وجعل يستشيره

بما يجري من الامور وما يكون * وكان من جنود خداداد * طائفة
من ممالك الاجناد * تخلفوا من العساكر في تلك البلاد * وقد ضيق
عليهم الممالك * واراد ان ينقلهم من مالك الى مالك * فلم ينعم له الله
ذا وبذلك * وقال ان عادة الاكياس * اصطلاب خواطر الناس *
خصوصا في مبادي الامور * وحل وافي اوائل الشرور * فلا تنفر عنك
الخلق * وعاملهم اولا بالاحسان والملق * راي فائدة في قتل هؤلاء
وتمزيق اديمهم * يوجب نفي الصداقة وتاكيد العداوة بيننا وبين
منجادبيهم * وربما يكون في خاطر احد من منجاذبيهم نعرة من خليل
سلطان * ويتوهم لذلك ظهورا وملجأ يلوذ به من رفيق وقان *
فتلجئه الضرورة الى ان يقصد ممالك تركستان * فاذا ازيته
في متعلقيه التي يبقى له اليك ركون واطمئنان * واقل ما تفعل مع
هؤلاء يا انسان * امساك بمعروف او تسريح باحسان * ومنجادبيهم
هؤلاء لنا رفقاء * وخليل سلطان اصدقاء * فان زرعت معهم
الجميل * ملكت كل رفيق وجليل * والقيت العداوة بين من عاداك
من صديق وخليل * للتاسع كلامه * القى الى ولده من ذلك

الأمور زمامه * فاشار عليه بمراجهم * واحسان اليهم في
غدوهم ورواحهم * فزاد في نجاحهم * وراش محصوص جناحهم *
وحرفهم بالعز في طريق مراجهم * فداربهم السعد افلاكهم * واجتمعت
بهم املاكهم وملاكهم *

ذكر ورود كتاب من خليل * فيه لفظ رقيق لحل امر جليل *

ثم ان وافد خليل سلطان وفد على الله داد * يطلب منه السعي في لم
الشعث فيما وقع بينه وبين خداياداد * وان يستعطف حاظره
الى الرضى * ويستقبل المودة في الحال ويعفو عما مضى * ومهما طلبه
يتكفل به * ويعد قربه من افضل قربه * ويكون هو السفير بينهما *
ويقربا نصلح عينهما * فتوجه الله داد الى خداياداد وابلغه هذه
الرسالة * وبين له ما في هذا القول من رقيقة وجزالة * وسبب
العداوة التي كانت بين خليل سلطان وخداياداد * على ما ذكر ان خليل
سلطان كان في اوائل الزمان مجاورا لخداياداد في تلك البلاد *
وكان جده جعله ناظرا عليه * وفرض امور تربيته اليه * وكان كفؤا
وافيا * وحلفا جاسيا * فكان يعامله بالغلظة * ويقابله بالكتابة

لغلاظه * وكان خليل سلطان لطيف الذات * ظريف الصفات *
مم اخلاقه لا تحمل من خلل اد زعازعه * ويزيد مزاجه اللطيف
قوة حاشيته لا يثبت لمجاذبة المشاقر المنازعه * فتولد من تلك
نمازجه * بينهما المداراة * وجمعت بينهما الوشاة * الى ان دس له
لكأسقاه * فكأنه احمه * فتلافى نفسه * وتعاطى علاجه *
ما يصلح مزاجه * فقضى الزمان ان نصل من تلك الدامية *
بمثل ما كانت القاضية * وبقي فيه من ذلك ارج * واورثه العرج *
فصارت العداوة الخاصة عامة * وغدت منه *
الفعلة لهذا المعلول علة تامة *

* فصـــــل *

ان الله داود حلف لخليل داود * الايمان الغلاظ الشداد *
كل منها الايمان * بان استصحب معه القرآن * واشار اليه *
مع يده عليه * وزاد تاكيدا بايمان الطلاق * وبالالتزامات
لتلو وزر والعتاق * انه لا يقبل من طاعته يدا * ولا يستحيل
به ابدا * وانه ان توجه الى مصر قبل تجهد في رأيها انصدع

وَرُدَّ مَا انْقَدَعَ وَرَتِّقْ مَا بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ انْفَتَقَ * وَرَفِّعْ مَا فِي خَوَابِرِهَا
مِنَ الشَّحْنَاءِ وَالْعَدَاوَةِ انْخَرَقَ * وَإِنْ يُجَهِّزْ لَهُ تُومَانُ إِحْدَى نِسَائِهِ
تَيْمُورُ * وَحَامِلُ الْأَمْرِ أَنَّهُ تَكَفَّلَ بِحَسْمِ مَوَادِّ الشُّرُورِ وَإِصْلَاحِ الْأُمُورِ *
وَإِنْ عَجَزَ عَنْ رَفْعِ الشَّنَآنِ * وَمَحْوِ خُطُوطِ الْعُدْوَانِ * فَإِنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ
مِنْ مُصَادَقَةِ خَلِيلٍ أَدْنَى الْمِرَا وَالِاعْلَانِ * وَصَارَ يَتَمَلَّقُ وَيَتَرَقَّنُ *
وَيَتَوَصَّلُ بِتَمْوِيهَاتٍ زَخَارِفِهِ إِلَى مَجَارِي فِكْرِهِ وَيَتَسَلَّقُ * وَيُشَدِّدُ أَيْمَانًا
تُرْجِفُ الْقُلُوبَ وَتَصْدَعُ * بِاللهِ الْوَاحِدِ وَيُثَنِّي بِالطَّلَاقِ الثَّلْثِ مِنْ
زَوْجَاتِهِ الْأَرْبَعِ * وَكَانَ مُخَيَّمُهُمْ عَلَى سَاحِلِ شَحُونَ مُمْتَدًّا * وَمُوَحَّشًا
رُخَيَّةَ نَحْرٍ مِنْ بَرِيدَيْنِ بُعْدًا * فَعَمَرَسَهُمْ خَتْلُهُ إِلَى سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ بِمَكْرٍ
وَدَخَلَ * وَغَرْبَلَهُ إِذْ طَحَنَ مَعَهُ نَا عِمًا مَا زَرَعَهُ بِيَمِينِهِ فِي سَاحِلِهِ
وَنَخَلَ * إِلَى أَنْ سَمَحَ بِإِطْلَاقِهِ * بَعْدَ تَأْكِيدِ عَهْدِهِ وَمِيثَاقِهِ * فَرَجَعَ اللهُ
وَادَ إِلَى وِثَاقِهِ * وَاجْتَمَعَ بِحَاشِيَتِهِ وَرِفَاقِهِ * وَكَانُوا فِي شَاةِ رُخَيَّةَ *
وَأَخْبَرَهُمْ بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ * وَكَانَ قَدْ مَهَّدَ قَبْلَ ذَلِكَ أُمُورَهُ * وَأَخَذَ مِنْ
كُلِّ جِهَةٍ أَسْلِحَتَهُ وَعُدَدَهُ * ثُمَّ إِنَّهُ سَرَى اللَّيْلَ * وَقَطَعَ شَحُونَ
بِالرَّاكِبِ تَحْمَاجِنَ اللَّيْلِ *

ذكر لحوق الله داد لخليل سلطان * وحلوله مكرما معززا في الاوطان *

وحين حصل على هذا الجانب * ولم يبق له في ذلك الجانب غاير ولا غائب * امر في الحال * بحكم الاحمال وعقد الاثقال * واختيار الاهبه * قبل النهبه * فافرغ عليهم صوابغ السلاح * واذن بصلوة الرحيل قبل الفلاح * وقدم ضعفة اهله والاثقال امامه * ونقض بهذا الاذان شروط الاقامه * وطير الى خليل سلطان مخبرا بهذه الاخبار * وما جرى بينه وبين خداداد وكان وصار * ويستمده باستقبال المدد * وارسال العدد * لاجتياز ان خداداد الاباله * يتعطن لغائله هذا الفعله * فيخطر بباله ردهم * ويرسل وراءهم من يصدهم * ثم مارروا كالسهم الصائب * وطاروا كالنجم الثاقب * فما اصبح لهم الصباح * الا وقد ظهر لهم من السعد فلاح * وجاوزوا كل قائم الاعماق خاوي المخترق * وقطعوا من الزال المسير ما اعجلته مطاياهم من مزعجر الرياض الوان الشقق * فوصلوا المسير مرامهم * فمارروا الهاربين اجمع حتى عيشهم مما مهم * وحين اخذ منهم اللغوب * وكل الراكب

والمركوبة * وعدلت عليهم عنقاء الظلام الجناح * عدل بهم
الى بعض البطاح وحط عنه واستراح * ورام ان توقد نار * ولا يطمع احد
في طعم النوم بغرار * ولا يشام في جفن طرف سنيف ولا سنيف طرف *
ثم التمسوا ما يسد الرمق فصلوا صلوة الخوف فعبدوا الله على حرف *
وامهلوا ريثما قطعت الدواب العليق * ثم ارتحلوا وركبوا متن الطريق *

ذكر تنبه خداداد بان الله داد * خلب عقله بانكال وانكاد

ثم ان خداداد تنبه من رقدته * وارعوى من ليلته * وعلم ان
الله داد خلبه نهارة ذلك وحجره * وكسف شمس عقله ولعب به
في دمية حلفه وقمره * فعض كما يعض الظالم على يديه * وعمى في الحال
عسكرا جرارا وانفذه اليه * فاسرعوا وراءه * والتمسوا لقاءه * فلم
يروا له عينا ولا اثرا * ولا رووا عنه من احد حديثا ولا خبرا * فلم يزالوا
في طلبه حائرين دائرين * ثم غلبوا امانيك وانقلبوا صاغرين *
ووصل الله داد الى مقبرة * فوجد وظيفة الوزارة فارغة فاستولى
عليها بمفرده * اذ قيل دهر له كان شيخ نور الدين قد خرج *
وهاه ملك وكل من رام العصيان كان قلبه يرتج * فابتهج بقدومه

خليل سلطان * وقد منه كما كان على مايرا الوزراء والاركان *
فتمكن الله داد كيف شاء * وتصرف في معاني الملك بما يراه
اخبارا وانشاء * وتعاطى في الحال تمهيد الامور * وتجهيز السرايا
وحفظ الثغور * فتراجع امر الناس وانضبط * وانتظم عقد الملك
بعد ما انفرط * واستقر حال الناس * وتمكنت القواعد على الاساس *
وكان هو وبزندق وارغون شاة وآخرون كجول يدبرون مصالح
المملكة * ويسلكون بكل احد مسلكه * ولكن الله داد هو الدستور
الاعظم * والمشار اليه المفخم * وعليه مدار القبض والبسط * ونظام
امور الحل والربط * واستمر شيخ نور الدين وخدايداد * يغيران
على البلاد ويزيدان في الشرور والفساد * واستولبا على اطراف
تركستان * ومما لك تلك البلدان * منها هيرام وتاشكند * واندكان
وخجند * وشاهرخية وانزار ومغناق * ويميز ذلك مما في تلك الاكناف
والآفاق * فكانوا يقطعون سنين * ويتوجهون الى ممالك ماوراء
النهر ويغيرون * فتارة يتوجه اليهم خليل سلطان * وتارة يجهز لهم
طوائف من الجند والامراء * وعلى كل تقلب بردفانهما كانا

لا يثبتان ويهزمان * وسيأتي ذكر ذلك كما كان *

* ذكر ما وقع في توران * بعد موته من حوادث الزمان *

وأما المغول * فانه لما اتصل بهم خبر ذلك المخذول * وكان بلغهم انه قد صوب أحجار كبده الى حشر تلك الثغور * وفوق نيران قصده الى خرق تلك البطون والصدور * ولم يشكوا في أن ذلك شرك مكيدة * وأحبولة صيدة * فلم يقر لهم قرار * وتنادوا الفرار الفرار * وتشتتوا في البلاد * وتشيتوا باذيال القلاع ورؤس الاطواد * ولجأوا الى الحصون والبروج * وتحاوتوا في قعر المغارات والكهوف * وكذلك كل ذي يمين من أهل الدشب والشمال * وتوزعوا في الاخفاف والرمال * وصار أهل المشرق والخطا الى حد وذ الصين ومن في ذلك الوجه يتمرحون * لا يجدون ملجأ ومغارات ومدخلا يلوذون اليه وهم يجحرون * والحق انه كان في هيبته وقوته قد عرج * الى ان اهلك العالم شرقا وغربا بالارج * وصار

* كما قيل *

* تكاد تميته من غير رام * تمكن في قلوبهم النبال *

* تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم استلالا *

* تكاد سوابق حملته تغني * عن الاقدار صونا وابتذالا *

فلما تزادف هذا الخبر * وتكرر بمرقند هذا السكر * واشتهر اسناده حتى ترقى من الآحاد الى التواتر * وتقرر هذا الحق عند كل احد فلم يسع فيه جحود ولا تناكر * تراجع فؤاد كل الى جوفه * وتبدل امنا من بعد خوفه * وتنادوا يا للثارات * وشرعوا في شن الغارات * وقصد كل مستحق استرجاع حقه * وكل مسترق لمسترق استفكاك رقه * فاول من نهض من الشرق المغول * وقصدوا اشبارة وآبسكول * وامتدوا في تلك البلاد حتى جاوزوا خذايد أد * فهادنهم وصافاهم * وشرط لهم ردما اخذوه تيمور من مآلهم * وان يكونوا يدا واحدة على من ناوأهم * واحسن كل منهم مع الآخر الجوار * واطمأنت بواسطة هذا الصلح تلك الديار *

* ذكر نهوض ايدكو بالتتار * وقصده ماوراء النهر وتلك الديار *

ثم نهض من جهة الشمال * ايدكو بما جركا لرمال * وتوجه بعزم وجزم * الى ممالك خوارزم * وكان نائبها يدعى موسكا فلما احس

بالتتار * وخاف على نفسه البوار * اخذ اهله ومتعلقيه وسار * وذلك بعد ان هجمت التتار الرومية المضافة الى ارغون شاه * وعبروا جيحون وهو جمد ورجع ارغون شاه الى مأواه * فوصل ايدكو الى خوارزم واستولى عليها * واستطرد بخيله الى بخارى فنهب ما حواليها * ثم رجع الى خوارزم وقد اذكى في الجغتاى اللهيب انكى * وولى من جهته في خوارزم وولايتها شخصا يدعى انكا * فتهددت ايضا تلك الاماكن * واطمأنت الظواعن والسواكن * بواسطة ان خليل سلطان قابل كل من اساء اليه بالاحسان * وصار يسترضي كل ساخط * ويستدني بمكارمه كل شاحط * ويصطاد النفوس بالنفائس * ويفترس الاسود بالفرائس * فاحبه الاجانب والاباعد * ورغب فيه كل صادر وارد * غير ان شيخ نور الدين وخداداد * تماديا في العناد * ولجا في اللجاج * فخرب ما تجوذب بين الطرفين من البلاد *

* ذكر بيرمحمد حفيد تيمور ووصيه * وما جرى بينه وبين خليله وليه *

ثم ان بيرمحمد ابن عم خليل سلطان * وهو الذي عهد اليه تيمور كوركان بعد فوت اخيه محمد سلطان * خرج من قندهار * وقصد سمرقند

بعسكر جرار * وارسل الى خليل سلطان * وسائر الاكابر من الوزراء
والاعيان * بانه هو ولي عهده * وخليفة جده تيمور من بعده * فالسرير
حقه فاني يغصبه * والملك ملكه فكيف يسلبه * فكل منهم جاوبه * بما يليق
وخاطبه * واما خليل سلطان فتصدى للمعارضه * وقابل كل مسئلة من
الخطاب بما ينا فيها من المعاكسة والمناقضه * وقال لا تخلو مساءلتنا
يا فلان * من ان الملك في هذا الزمان * اما ان يكون بالانتساب *
او يظفر به بطريق الاكتساب * فان كانت الاولى * فثم من هو احق به
مني ومنك واولى * وذلك ابي امير انشاه * وعمي شاه رخ اعني اخاه *
فيكون بينهما بالسوية نصفين * فما لك كلام مع وجود هذين *
وانا اولى ان اكون صاحبه * فارعى جوانبه واسلك مذاهبه *
اما بان يقطع كل منهما المشاغبه * ويترك لي ماله فيه من ولاية
المطالبه * ويقنع بما هو فيه من مملكته ويحفظ جانبه * واما بان
يجعلني خليفته في سلطانه فاصون نصيبه واكون نائبه * وان كانت الثانية
فكلامك لا يستقيم * لان الملك كما زعموا عقيم * ومن قبلي وقبلك قيل *

في الاقاويل *

* شعر *

* صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم * وشمروا انها ايام من غلبا *

ان رعمت ان جدك عهد اليك * اوعول في وصيته لك عليك *

فهو من اين استولى الا بطريق التغلب * وانى حصل له ملك وملك

الا بالاغتصاب والتأثب * وطى تقدير التسليم * وان امر وصيته

مستقيم * فانه كان في حيوته قسم بلاده * ووزع عليها اولاده

واحفاده * فولى والى مماليك آذربيجان * وقرر عمي في ولايات

خراسان * وابن عمي ببر عمر في عراق العجم وتلك الديار * وولاك انت

من جملة ذلك قندهار * وجعلك وصيه كما زعم واشار * وتحمل هو

المظالم وانتقل * فاين نصيبي انا من هذا الثقل * فاجعلوا حصتي

من ذلك ما استوليت عليه * وليقنع كل منكم بما تقرر فيه وفوض اليه *

ومع هذا ان تابعك ابي وعمي تابعتك * اوصادقاك على الوصية

وبايعاك بايعتك * وان سلكنا في ذلك طريق الحق * فالملك صيد

والاولى به من حاز فيه قصب السبق * وان الله ازاح علله اذ

شبثني باسبابه * واباحه لي مباحا من سبقت يده الى مباح فهو اولى به *

مذ اولياً كلاً من مدبر سي فقه الملك تابعني * ومن له في عقود السلطنة
شركة ترك المضاربة * وطاوعني * وعد عقد توليتي موانحة * ولما وقف
على سيوف القى اليّ السلم وبايعني * واما الوزراء والاعيان فاجابوه
بما لا طائل خيه * هو من ما تعجه اذن معتمعيه * غير ان الخواجا
عبد الاول وهو صدر صدور العلماء * والمتصرف في رؤساء ما وراء
النهر من السادات والكبراء * المنفذ بهام احكامه في جميع الامراء
والرعماء * اجاب فاجاد * واصاب وافاد * واختصر واقتصر * وعصر
من بير محمد وخليل سلطان انتصر * فقال في جوابه * مجاريه
في خطابه * نعم انت ولي العهد * وخليفة الامير تيمور من بعد *
ولكن ما صادف طالعك سعد * ولو ما عدك البخت * كنت قريبا
من التخت * والاولى بحالك * ان تقنع بمالك ومالك * وتبقى
على خيلك ورجالك * وتضبط ما في يدك من ممالك * وان ابيت
الا طلب النما * ولم تقنع بما قسم الله لك وقضى * وخرجت من مملكتك
الى هذا الفضاء * فانك تقع في العناء * وتخرج ولا يتك من يدك
فتصير مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء *

ذكر تجهيز خليل سلطان سلطان حسين لمناصرته * وخروجه من خليل سلطان وقبضه على امرائه ومخالفته *

ثم ان خليل سلطان لم يقنع بذ قائق هذه الاقوال * واردفها بحقائق الافعال * وامر بتجهيز جيش جرار * الى استقبال بيرمحمد * واضافهم الى ابن عمة والده السلطان حسين * وعين فيهم من امراء الجغتاي كل رأس وعين * وضم اليها الظهور والاعضاد * ومنهم كجول وارغون شاه والله داد * فساروا سايقي العدة * كاملي العدة * وذلك في سنة سبع منتصف ذي القعدة * فعبروا جيحون الى بلخ وخيموا في ضواحيها وانبثوا في اقطارها وفواحيها * وبينا هم عرفوا الحال * فارغوا البال * قريروا العين * تمارض السلطان حسين * ثم انه دعا الامراء * ليقرر معهم فيما هو بصدده الا راء * وقد كمن لهم كمينا * وارصد لهم الرجال شمالا ويمينا * وجيش وليجوا خيسه * ودخلوا كيسه * وثب عليهم ثوب الليث على الفريسه * واغرى بهم اسوده فوقعوا فيهم وقوع الجياع على الهريسه * ثم نادى من معه من الرفاق * ضرب الرقاب حتى اذا اثخنتوهم فشدوا الوثاق *

وكان كما ذكرناه الطيش والشجاعة * وتصور زورقاعة * وصولة وجولة *
يسبق فعله قوله * فاهم يقي في تلك الساعة * دم واحد من تلك
الجماعة * يدعى خواجا يوسف وكان في حيرة تيمور * نائب الغيبة
بسمرقند وهو أمير مشهور * ففي الحال قتل * والى الله راجعون
نقل * ثم استقل لنفسه بدعوى السلطنة * ودعا الخلائق من مهنا
ومن هنه فدهشت اولئك الرؤس * وعلموا انه قد حل بهم النقم والبوس *
ذكر خداع الله داد سلطان حسين * وتلافيه تلافه بالكروالمين *
غير ان الله داد ثبت جاشه المزؤد * واستحضر تلك الساعة عقله
المفقود * فابتدر سلطان حسين منادیا * واستثبته في امرهم
مناجيا * وقال له بعبارة فصيحة * ان لي اليك نصيحة * ثم استخلاه وقال *
انا كنت مترقبا منك هذه الفعال * ومتوصدا عنك اظهار ما انت بصدده *
ومن اين لخليل سلطان ان يحتوي على الملك بمفرده * غير ان غيبة
مولانا السلطان باسطه * ولم يكن بينه وبين الملوك واسطة مباسطه *
ولو كان عندي من ذلك ادنى شعور * لرتبت المصالح على ما تقتضيه
الاوامر الكريمة والامور * ثم ان الخاطر الكريم * يشهد بصدقي

هذا الحب يعد وانا عبدك من قديم * وسل من كان من اطلاليك
والاجناد * الذين كانوا محصورين في اسرخده ايداذ * من خلصهم
من حبائل اسره * وانقذهم من ضرام ضره * واطفأ عنهم ما التهب
من شرار شره * اذ لولا انا لكان آبادهم وايتم اولادهم * وفجع بهم طريفهم
وتلادهم * فانك ان تسلهم يخبروك * وعلى حقيقة الامر وجلية
الحال يظهروك * وربما اخبروك بذلك لما اتوك * ومع هذا استغث
قلبك وان اتوك وافتوك * ولازال يطفي بماء خزعبلاته شواظ تفوعنه
ولهيبه * ويذكي في خياشيم رعونته عنبرا حتيا له متمسكا بمسكه
وطيبه * ويرمي عن قوس حتله الى سويداء اجتبالاته نبال مكر انفذت
فيه نصال القضاء والقدر لانها كانت مصيبه * فاشرب مكره * وتبع امره *
وجعله ظهره * واستقدح في امور فكره * ثم انه بعد ان امتن عليه
باستبقائه * استشاره في قتل رفقائه * فقال له لا شك ان خليل سلطان *
ملك الناس بالانعام والاحسان * وهو وان كان في الشجاعه *
قاصر اليد قليل البضاعه * لكن استعبد ابطال الرجال * بحسن
الخلق وبذل الاموال * غير ان المال * بمعرض الفناء والزوال

وانت عند الله مأثرك مشهورة * ومنازل منازلاتك الابطال معمورة *

ورايات كسرك قرون الاقران على جبين الكباش منشورة *

ورؤس مناطحاتك ثيران الوغى على قرون الزمان ابدا منصورة *

* قلت *

* فكم لزرت شجاعا في البرازفذ * رأى محياك ولى ضارطا وجرى *

* مذ كنت راس رعينا في الحروب ارى * في راسك الفتح بل في عينك الظفرا *

وانا اعلم ان عامة الجند سيبتهج بطلعتك * ويرقص فوادة لحصول

كونه فرحا بحركتك * فانه لابد لهم من راس يسوسهم * وضابط يسوسهم

يصان بتدبيره نفائسهم ونفوسهم * وقرم كالليث الخادر * والمشبل

الهامر بل كالبحر الغامر * منصور ان دعا وان دعي فناصر *

موصوف بما قال

الشاعر *

* اضاف الى التدبير فضل شجاعة * ولا رأي الا للشجاع المدبر *

وبما قال * شعر *

* ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها *

وعلى ثم فى هذا العصر موصوف بهذه الصفات الا انت * وما الشجاعة والكرم
والحسب الا راحل حيثما رحلت وساكن اينما سكنت * ولو حدث شاه
ملك وشيخ نور الدين * ان وراءهما منك الحصن الحصين * لا سندا
اليك رواية السند الشديد * ولا وهما من جنابك العالى الى ركن شديد *
وحاصل الامر انك مولى الكل وجميعهم لك عبيد * واذا كان الامر كذلك
فقد ملكتهم * فسواء عندك ابقيت عليهم او ابدتهم * ولكن
الابقاء اولى * ولا زال العبيد تترقب مراحم المولى * فان اقتضى
الرأى السعيد ان نكون كلنا موثقين فى الحديد * مع يد باقية
قيد ايمان اكيد * فرأيه اعلى * واتباع ما يقتضيه احرى واولى *
فاقتفى رأيه * واتخذه علما لامره ورايه * فاستتبعه
لجينه وقال اسلك ورايه *

* ذكر اخذ سلطان حصين على الامراء الميثاق * ومشيه
على خليل سلطان وصرعه فى الايثاق *

ثم انه احضر الامراء * وهم فى قبضة سطوته اسراء * وقد نادى كل
من متعلقيهم مهما شاءه * وتوجه الى دار المخبرون فقاصت عليهم

النائحة والنائحة * وأوثقهم بقيد الحديد والايمان * بان يكونوا معه
في السراء والضراء على خليل سلطان * فمد كل منهم الى القيد رجله
والى اليمين يده * وعاهده على ما يختار ان يقدم له نفسه واهله وماله
وولده * فحين استوثق منهم * أزاح بالامانى السوء عنهم * وتركهم
موثقين في البند * ونكص قاصدا سمرقند * وارسل الى خليل سلطان
يخبره بما دب من امره ودرج * فليستعد لما رزيه فيها هو قد عمر
حصون وخرج * وانه هو ايضا طالب من ملك خاله حصته *
ومنازع خليل سلطان في السرير منصته *

* ذكر توجه خليل سلطان من سمرقند * لملاقاة سلطان حسين * بطوائف
جنده * ورجوع سلطان حسين مما يرومه بخفي حنين *

فاستعد له خليل سلطان * وخرج من سمرقند لاستقباله في اسرع
زمان * ثم ان السلطان حسين أحضر الله داد * ومن معه من الشياطين
المقرنين في الاصفاد * واستأنف عليهم العهود * واكد عليهم قيود
العقود * وأحل كلا منهم محله * واجاز عقده وحله * وخلع عليه واجازه *
واحترم جرم جقمقته ومجازه * وبش بانعامه الى متعلقيهم وحشمه *

وسار بهم حتى وصل الى مدينة الكش * والله داد كان قبل ذلك بزمان *
ارسل الى خليل سلطان * تخبره بوقوع هذا الهم * وما جرى عليهم
من شرور وماتم * ثم قال له ان فالك سعيد * وامرك حميد * فانهض
برأي رشيد * وعزم سديد * وجناحي حديد * فان ضدك مصيد * والله تعالى
ناصرك قريبا غير بعيد فلا تخف من كيد مكيد * وان كنت طفلا فانك فتى شبت
اهواء القلوب نسمات محبته فصرت شيخ السلطنة وكل الانام لك مريد *
فوصل خليل سلطان * الى ذلك المكان * فعبى السلطان حسين جيشه *
وستعمل تهوره وطيشه * وجعل الله داد على الميمنة * ورفيقه
على الميسرة * ولما تراءى الجمعان * وتدانى الزحفان * وحقت الحقائق *
وسدت المضائق * وتعادت الاسود والغرانق * وبادر كل منهم
من مكانه * وقصد كل من الله داد واقرانه عساكر خليل سلطانه *
فتخبطت عساكر السلطان حسين * وسلب ثوب عزه فنبذ بالعراء ملتحفا
من ظنونه ثوبي خيبة وحين * ودهمه من البلاء ما انساه سلفه فرجع
يخفي حنين * ومر على وجهه قاطع الفلاة * حتى وصل الى ابن خاله شاه رخ
صاحب هراة * فلم تطل له عنده مدة * فاتاه هلاكا واتاها موت

حتف انفه عنده * فكان ذلك آخر العهد بسلطان حسين *

ورجع خليل سلطان الى دار ملكه قرير العين

بقية ما جرى لبير محمد مما قصده من فرح وهم * وكيف

آل ذلك الى وبال وحزن فتنقص ماتم *

ثم ان بير محمد تمادى في خروجه * واستمر يرتع في روض الطلب

ومروجه * وتكررت بينهما رؤس المراسلة * وتحررت مسائل ما يعد

مطاولة المقاولة * ان ينزلوا منازل المنازلة * ويخطوا بروج المقابلة

والمقاتلة * وكان متولي امور ديوانه * ومشيد قواعد ملكه وسلطانه

شخصان عمي بير علي تاز * حامي حقيقة باب الملك وحارس الحجاز *

سرة بطحاء مملكته * وقطب سماء دائرته * وقدوة علماء عواليه *

وقوة خوافي عسكره وقوادمه * فجرد من عساكر قندهار * كل طويل

لو مال على قندهار مارها * وتوجه بعزم امضى من البتار * وحزم انفذ

من الخطار * قائدا ذلك الخضم الهدار * والسيل الثرثار * والغمام

المدرار * حتى وصل الى جنجون فوقف منه التيار * ثم امر ذلك المعسر

العجاج * ان يركب من جنجون الاثباج * ويصادم منه تلاطم

الامواج * فمرّ بهم لجة البحر بين هذا العذب الفرات فسائغ شرابه وهذا ملح اجاج * فخرّوا منه بسفنهم البحر * وجاوزوه مجاوزة بني اسرائيل البحر * وسار بذلك الاخشب * حتى ارسى على صواحي نخشب *

ذكر مقابلة العساكر الخليلية * جنود قند ما ربصد قنيه * والقائهم بهزيمتهم ايّاهم في اشر بليه *

وكان قبل ذلك خليل سلطان * قد نجز امره كما كان * ونفث اعطاره منه لي الايثار * وقوى العزائم على الملوك بالاستحضار * ليجنوا من اشجار الجرايات وثمار الادرار * ما يستعدون به لملاقاة شياطين قندهار * فلبى دعوته العام والخاص * وكل بناء من عفاريت الجنود وغواص * واجتمع من اعيان * اولئك الاعوان * كل مطيع مقتطف ثمر احسان * ذلك البستان * من انس وجان * وجاء ذلك البحر افواج امواج العساكر من كل مكان * وهم ما بين روس الجغتاى والجتا * وكل غرغون من بلاد تركستان قد ملا وعتا * وفوارس الهراتي وزستند او * وجان تريانية خراسان والهنود والتتار * ومن كان تيمور امة * بلغاتي الامور * لم يفارقه في سفر ولا حضر *

وارْصَدَ لكلِّ نائبةٍ من خَبَرِهِ

* شعر *

* فوارسٌ لا يملُّونَ الطِّعانَ * اذا دارتْ رَحى الحَرْبِ الزَّبونِ *

فاستأنفَ عليهم فواتحَ الفتوحِ * واستنتجَ منهم لما تُوِّجَ كلَّ صديقٍ

نصوحٍ * واسبغَ عليهم من دُروعِ عطاياهُ السابغاتِ * وخلعَ على

قامةِ أملِهم من خِلَعِ انعامِهِ المُضاعفاتِ * ففتحَ عليهم الأرضَ خزائنَها *

وصبَّ عليهم من معادِنِها وفلزاتِها ظاهرَها وكامنَها * فصارَ

كلُّ راجلٍ منهم وفارسٍ * وقد تجلَّى فيما تحلَّى بهِ من تلكَ النفائسِ *

يزهرِي بحسنِ هيبتهِ على محلَّاتِ العرائسِ * فطارُوا وسماتُ النصرِ

من انفسِهم فائحهْ * ولمعاتُ الفتحِ من بوارقِ بيارقِهم لائحهْ *

والسبعُ المثاني لأبوابِ النجحِ والفتوحِ في وجوهِهم فاتحهْ * ولا زالَ

ذلكَ الرأسُ يزهِي ويمشِي * حتى حطَّ على ضواحِي قرشِي * وهِيَ المدينةُ

المذكورهْ * فاستقرَّتْ تلكَ العساكرُ المنصورهْ * وذلكَ اليومَ الأحدَ

مستهلَّ شهرِ رمضانَ * سنةَ ثمانمائةٍ وثمانَ * فباتَ كلٌّ من ذينكَ

البحرينِ وقد ضمَّ ذيلَهُ * وكفَّ من التبذيرِ والتبديدِ سيلَهُ * وحفظَ

الامواج * فمن لجة البحر من عذب نمير الى سائغ شرابه ومن
ملح اجاج * فجروا منه بسفنهم البحر * وجاوزوه مجاوزة بني اسرائيل
البحر * وسار بذلك الاخشب * حتى ارسى على نواحي نخشب *

ذكر مقابلة العساكر الخليلية * جنود قند ماربصد قنيه * والقائهم
بعزيمتهم اياهم في اشر بليه *

وكان قبل ذلك خليل سلطان * قد نجز امره كما كان * ونفض اعطاره
منذ لي الايثار * وقوى العزائم على المروك بالاستحضار * ليجنوا
من اشجار الجرايات وثمار الادرار * ما يستعدون به لملاقاة شياطين
قند هار * فلبى دعوته العام والخاص * وكل بناء من عفاريت الجنود
وغواص * واجتمع من اعيان * اولئك الاعوان * كل مطيع مقتطف
ثمر احسان * ذلك البستان * من انس وجان * وجاء ذلك البحر
افواج امواج العساكر من كل مكان * وهم ما بين روس الجغتاى
والجتا * وكل فرغون من بلاد تركستان قد علا وعتا * وفوارس
فارس والعراق ورستمدار * وجان قربانية خراسان والهنود والتتار *
ومن كان تيسور اعده لطائل الامور * ولم يفارقه في سفر ولا حضر *

وارتد كل فائتة من خير وشر

* شعر *

* فوارس لا يملون الملايا * اذا دارت رحى الحرب الزبون *

فاستأنف عليهم فواتح الفتوح * وانتخب منهم لما دهاه كل مديد

نصوح * واسبغ عليهم من دروع عطاياه السابغات * وضاعف على

قامة املهم من خلع انعامه المضاعفات * فتحجب عليهم الارض خيلها *

وصبت عليهم من معادنها وخزائنها ظاهرها وكامنها * فصار

كل راجل منهم وفارس * وقد تجلى فيما تحلى به من تلك النفائس *

يزهى بحسن هيبته على محدثات العرائس * فسارو ونسمات النصر

من انفسهم فائحه * ولمعات الفتح من بوارق بيارقهم لائحه *

والسبع المثاني لابواب النجح والفتوح في وجوههم فاتحه * ولا زال

ذلك الراس يوسي ويعشي * حتى حطمت على ضواحي قرشي * وهي امينة

المذكورة * فاستقرت تلك العساكر المنصورة * وذلك اليوم الاحد

مستهل شهر رمضان * سنة ثمانمائة وثمان * فبات كل من ذينك

البحرين وقد ضم ذيله * وكف من التبذر والتبذيله * وحفظ

من الاخبار بجملة خبره * واحببت في معتكف المراقبة الى الصباح ليلة *

* قلت *

الى ان بدا لمع الضيا في ظلامه * يلوح كموج الملح من سيف صيقل *
ولما سل الفجر صارمه الفضي وابرز زابر يزترسه * ومسح من لوح الدجى
ما طرسه مسود الليل من دخان نفيسه * تهيأ كل من اولئك الاطواد
للاصطدام * واشتعلت في قلوب تلك القبائل نار الحمية للاصطلام *
والاصطلام * فعبى كل عسكر ما بين ميسنة وميسرة * ومقدمة وموخرة *
ثم تداوروا وتكاتروا * وتعاونوا وتعانوا * وتواجزوا وتحانوا * وتعانقوا
وتهانوا * وتناجزوا وترفانوا * والتقت الرجال بالرجال والخيل بالخيل *
ولم ترتفع ظلام القتام الى رؤوس الاسنة فرأوا في صلوة الظهر نجوم
الليل * وجرى في ذلك القسطل من كل قناة عيون السيل * ثم عند
منتصف النهار * انكشف الغبار عن ان طود قتام عار * وسعد اولئك
الكبار * وعليهم غبار العار * وخبرهم بالانكسار * وميت خليل سلطان الى
الاقطار طار * والى الآفاق بالانتصار * فولى يعرض وهي راسه بحر الدماء
مدرار * وفي قلبه زناد الموار * حتى

كأن في قلبه جمر الغضا والبارغار * اوفي كبده نار لهب المرخ والعفار *

وجندلت رجاله * واوطلت ابطاله * ونهبت اثقاله * وتحولت

لاحواله * وسبي حريمه وعبيده * وسلب طريفه وتليده * وتشبث

هو باذيال الهزيمه * وعلم ان اتيانه سالما نصف الغنيمه *

* كما قيل *

* اتيانك سالما نصف الغنيمه * وكل الغنم في النفس السليمه *

ورجع خليل سلطان * وقد استغاريه الكون والمكان * واصفرت

ذرلته * واستطارت عقولته * وشكر الله المليك * واتم صيام رمضان

في مكان يسمى جكدليك *

ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان * ومحاصرتهم بالخروج

وتصدعهم الاوطان *

ثم في ليلة الاثنين غرة شوال * خرج من العراقين الرؤس والابطال *

ومعهم حريمهم واتباعهم * واولادهم واشياعهم * وكبيرهم شخص يدعى

جهانشاه * وهم جارون تحت امرة كيغاسا * وكانوا ذوي صولة

وجولة * وصحبتهم السلطان علاء الدولة ابن السلطان احمد البغدادي

لصلبه * وكان قد وقع في اسر تيمور فسجنه في سجن محنته وكربه *
فافرج عنه خليل سلطان * وجعله عنده ذا مكانة ومكان * فبينما
الناس مشغولون بامورهم * رفع ايديهم اولئك الصناديد *
وكأنه كان تقدم لهم بذلك مواعيد * فخرجوا تحت جنح الليل *
وشمروا نحو عراقيس العراق الذيل * وطلقوا مخدرات ما وراء النهر
ومالوا عنها كل الميل * لانهم كانوا استمعوا ان دار العراق انزلت بانيها *
وميادة انهر سلطنتها عادت الى مجاريها * فلم يقف احد امامهم
ولا مشى خلفهم * ولا قدر على ان يربط عن السير جلهم وكلهم *
فقطعوا اجيحون ووصلوا الى خراسان * فتصدى لهم كل من سمع بهم
من كل مكان * فانفرط نظامهم لعدم اتفاقهم * فتقطعوا في البلاد قبل
وصولهم الى عراقيهم * واين ايران من توران * ودجلة من جيحان *
فعيد خليل سلطان في ذلك المكان * ثم التوى راجعا الى الاوطان *
ذكر ما فعله ببرمحد بعد الكسارة * وما صنعه بعد وصوله الى قندهار *
ولما وصل ببرمحد الى قندهار * واستقرت به الدار * تلملمت امورة *
وحامت حوله نسور سعوده * ودارت من حياته عسكرة مدوره *

بدورة * وتسعرت صدوره وحدورة * وتطاير شواره وشرورا * فتأرق
وتمرق * وتحرق أسفا قلبه وتخرق * وتمزق غيظا أديمه وتفرق *
وكان ذا حماقه * وقلة لباقه * فطير أجنحة مراميه * الى سكان
أقاليمه * واستنهض على خليل سلطان كل حبيب صحيح الود وكليمه *
واستطب لجريح قلبه كل قريح الطعن والضرب وكل لديغ القلب وسليمه *
فلبوا دعوته بالاطاعه * وأجابوا نداءه بالسمع والطاعه * ثم سالت
الارمية والجبال * بالخيل والرجال * وارسل الى خليل يقول *
ضمن كتاب مع رسول * إن اول مصابنا كان فلتة فتمت * وشرارة
تسومل في اطفائها فالتهبت وطمت * ولو اني استقبلت من امري
ما استدبرت * وتحذرت ما استحقرت * واستكبرت ما استصغرت *
لانتصرت وما انكسرت * ولعثرت على مرادي وما عثرت * ولكن اضعت
الحزامه * فحرمت السلامه * وتناولت امرك برؤس الانامل فاكلت
يدي ندامه * مع ان صلابة جندك * وقوة ظهرك وعضدك *
ونبال كنانتك وساعد سعدك * وعضب عضبك ورمح رشدك *
وحد صارمك وصرامة حدك * انما كان رؤس العراق * وما حصل

لك منهم من الاتفاق * واما الآن فقد وقع منهم نفاق * واتفق لك منهم عدم اتفاق * وظهر تباعد وشقاق * فقد لك ذلك كيدك * واختل فكرك وجندك * وما انفك جيشك بيقين جديد * وبالحديد والحديد * فاستعد للقاء * وتيقن عدم البقاء * فان الحرب كما علمت مجال * وكما ادل لك علينا بالامس فان غدا لنا عليك يدال *

ذكر توجه بير محمد لقتال خليل سلطان ثاني كرة * وما حصل عليه في ذلك من كرة وفرة * وتوليته الى بزكما بل الاول مرة *

ثم توجه بتلك الجنود والاعوان * وقطع جيحون ورضل الى مكان يعرف بحصار شادمان * فتوجه اليه خليل سلطان * وعدة من عساكره الرجال والفرسان * وجرادي الجيش وقيله وفساده ما يجري من الدم الطوفان * فحربتلك الاطوار دوا البحار * وعبر وهو ما بين رامين وسار * حتى وافى جنود قندهار * وكان كما ذكر من قبل * قد قدح في حراقي احشاء العساكر القندهارية من خوف نار الخليل زناد القبل * فكانوا ملسوعين والملسوع يخاف من جر الحبل * فقبل ان يزعق النفير ويضرب الطبل * نفر من كل فرقة منهم طائفة * وتنادوا

أرقت الأزنه * ليس لها من دون اتيها كافه * فالبس بيوتها
خلعة الخلع * ولم يكن له بها فوق فاقلع الى القلعة القلع * وأوصد
الابواب وأحكم الاحراز * واستعد في جمعا وشاور ان للحصار *
فاحاط به من العساكر * كل جارح وكاسر * ودار عليه من بني يافث
كل سام وحام * وجند في المحاضرة منهم كل طاعن وضارب ورام *
فتندم بيبرس محمد * على ما قصد في ذلك وتعمد * وقد ذكر ما قال له
أول * الخواجا عبد الاول * لكنه اعتذر * بالقضاء والقدر *

فرماه القضاء بسهم جراب * أجاد فيه واصاب

وقال

* وعاجز الرأي مضياع لفرصته * حتى اذا فات امر عاتب القدرا *

فانعكس منه كل رأي وقال * وتغير عليه كل امر وحال * وغصب عنه
منعطفا ما بيده من ملك ومال * ونفر عنه كل اهل اصلى للحرب فارا
خامية لما سطا على حام وسال * ورجع عنه لبوء تدبيره كل ذي قرابه
معين لم له بالامالي الكاذبه كل هوابه رآل * وتمزقت شقق تدبيره *

على منوال تفكيره * سدى ولحمة فلم يبق له من دون الله من وال *

ذكر ما دبره من حيلة عادت عليه بانكار الوبيله

لان جده واهاكا نت قليله

ولما تم حوله اخذ في اصلاح الحيله فاستدعى جدة مضبوطه من الجلود المخطوطه الجيدة الدباغ المصبوغة بالوان الاصباغ ثم فصلها لبوسا لكل بوسا رسم عليها المرايا المصقوله وبعض مفاتيح مسوله وصورها وانقشها بالمسامير واحضر من سوقة بلده رؤس المسامير واستكثر من الرصاع والصمغ الجموع ثم احضر تلك الدلاص والدروع ووزع على تلك الوزرين والظهور ما تيك النطوع فصار كما صارت الشمس بازغه فاصعد الى الاسوار وخارج البلد تلك الاسود وعليهم تلك الدروع السابغه فاذا رآهم الناظر من بعيد حزم وجا لاول يعلم انهم يندق العيد واذا توا آي ذلك الهماء والخيتعور الذي يملأ الفضاء كان كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء واستمر على ذلك مده يقاسي معانا ويعاني شده وكان الذي تعاطى من المكر الجلي دستور مملكته اعني بيرطى ومع ذلك كله لم تنفعه منى الحيله وعاد في عليه انكار الوخيمة وساءه الوبيله وانكشف

مِرَّة * وانهتك حِتْرَة * فضاق ذَرْعًا وقَصُرَ منه باعُ المجال * وعد بنقص عُدَده وعَدِيده وزادَه الى مَرِّ النكال *

* ذكر اعتراف بيرمحمد انه ظلم * وطلبه الصلح والمقاله السلم *

فبسط بساط التضرع * وطلب وساط التشفع * وعلم انه لا عاصم من أمر الله الا من رحم * فناشد خليل سلطان الله والرحم * وقال معتذرا ما قلت *

* يُعطي الكريم ولا يمل من العطا * والعفو شيمته اذا وقع الخطا *

فاجاب خليل سلطان مقاصده * وقد كنت من الطرفين معاقدة المعاهده * بان لا يقصد احد منهم بلاد صاحبه * واذا كان الله تعالى رفعه لا يضع من جانبه * ويسلم اليه ما في يده * ويبقى على الود المصادقة في يومه وغده * ثم تحالفا * ان لا يتخالفا * وتواثقا ان يتوافقا * وتصادقا ان يتصادقا * وتعاقدا على ان يتعارفا * وتوافقا ان لا يتنافقا * وراقبا الايمان والذمه * وراعيا القرابة والحرمه * وانشمر كل عن صاحبه بما معه من غنمه * وذلك في سنة

تتمع وقائعه *

* ذكر مخالفة ونكبة * وقعت بين بيرطي وبيرمحد * ازاحت ثوب الحيوة

منهما * وازاحته مخالفيهما منهما *

ولما وصل بيرمحد الى وطنه * واستقر بين خدمه وسكنه * خرج عليه

بيرطي تاز * واستقل بالهوى الملك وامتاز * ثم قبض عليه وكبله *

ثم انه خلى لمرجله * وشرع يقول * وهو يصول ويجول * امور

الدنيا اضطربت * واشراط الساعة اقتربت * ومنه دولة الدجالين *

واوان تغلب الكذابين والمحتالين * مضى تيمور وهو الدجال الاعرج

ومنه ازمان الدجال الاقرع * وما تى بعد هذا الدجال الاعور

وان كان احد يخرج من قرع باب السلطنة فانا اقرع * فلم يجب

احد من الروم والا ذنابي هو اله * ولا انعم بما اقر عينه وانعم باله *

اذ لم يوجد في تناول هذا الامر الخطور من يسبح * ولم يكن لذلك الوعيد

في مقام الملك غير المسيح والسبيح * فلما از يابهما اليها تضرعا وخيفة *

فكشر كل في وجهه انيابه وجاذبه في نية الجيفة * فلم يبق له قرار ولا ثبات

فسل يده ومد رجله هرب صاحب مراة * فبحر دروعه عنده في شرك

الإقتناص * قبض عليه وأجرى عليه أحكام القصاص * وصفت له المالك قندهار * من غير مضارب ولا مضار * واستراح خليل سلطان أيضا من الانكاد والمضار *

* ذكر ما وقع من حوادث الزمان * في غيبة خليل سلطان *

وفي هذه السنة بادرت بالهجوم * تتار الروم * ووصلوا بالعزم * وقطعوا جيحون بالرجل وهو جمد من خوارزم * وقصدوا بلادهم * فتصدى لهم من كل جانب من شتتهم وبادهم * وحصل لهم من عدم الاتفاق * ما حصل لعساكر العراق * وايضا في غيبة السلطان خليل * واشتغاله بهذا السفر الطويل * اغتنم الفرصة خدابنده شيخ نور الدين فتوجهوا الى سمرقند مطمئنين * واخذوا عليها * ونهبوا ما حواليها * فتحصنت منهم * وترفعت عنهم * فنهبوا خارجها ورجعوا * ونحو بلادهم انقلعوا *

* ذكر تجريد خليل سلطان الاجناد * وتوجهه الى شيخ نور الدين وخدابنده *

ولما رجع خليل الى سمرقند * اراح طوائف عسكره وجنده * ثم دعا اصحابه * ووجه نحوهم وكابه * وهيأ انصاره واطلابه * وصار بتلك القبائل المضطرمه * والاسود الخوادر والفحول المغتلمه * واستمر ذلك الطود الركون * بين حركة وسكون * حتى وصل الى عيحون * وحين شرع ذلك الطور * والنار ذات النور * على نهر سيحون في العبور * رأيت البحر المجور * فاذعن له شاه رخية وخجند * وتحصنت منه تاشكند * فتوجه لحصارها * وعزم على مدم اجارها * فبعد ان حاصرها مدة * واذاقها لباس الجوع والشدة * لجأت الى طلب الامان * وسلمت اليه قيادها الاذعان * فاجاب سؤالها * ورقح بالصلح حالها * ثم قفا آثارهما * طالبا دمارهما *

ذكر ايقاد شيخ نور الدين وخدايداد نار الخليل ليحرقا *

فاطفأها الله تعالى ووقاه *

وكان خدايداد وشيخ نور الدين يحومان حول الحمى * ويترقبان من فرص النهب والسلب معاني همي ولعلما * فتوجه وراءهما * ودام

لقاءهما * فجعلا يرحلان بمرأى منه ومسمع * وينزلان بمأمل فيه ومطمع * وجعل يقتفيهما في كل منزل * فاذا رحلا يتبع قفاهما وينزل * وكان خليل سلطان معتمدا على عسكره * مستيقنا بحلول نصره وظفره * فكأنه في بعض الليالي يغفل عن التحرس * وكان لهما في جيشه من دأبه التجسس والتحسس * فخيبه الظن وخانه * وحط على مكان يسمى شرابخانه * وكان قد تقدم على القفل * فطار بجاسوسهما اليهما بما فعل * فاقبلا كالسيل * وبيتاه بالليل * فخرج من عسكره جماعة * وكأنما قامت القيامة في تلك الساعة * ثم تركاه ورداً * وفراً عنه وندا * وتشتتا في المهامه والموامي * ومن أين للسلطان اقتناص الحرامي * فكف عنهما عنان الطلب * وقصد بالسلامة ديارة وانقلب *

ذكر مفارقة شيخ نور الدين خداوندادي * وتقاسمهما تلك البلاد

ولما كانت مودة خداوندادي وشيخ نور الدين كالفخار * وما بينهما من الصداقة كمن اسس بنيانه على شفا جرف هار * اختلفا وما ائتلفا * وتجاذبا بأشقة الشقاق * ونفق في تمايعهما بضائع النفاق *

ولم يعلم احد من راق * وظن انه الغراق * فقهقر شيخ نور الدين نحو سغناق * واستولى على تلك الاطراف والآفاق *

ذكر رجوع شيخ نور الدين الى الاعتذار *

والتنصل عند خليله مما كان منه وصار *

ثم راسل شيخ نور الدين خليل سلطان * واعتذر عما صدر منه من العصيان * وطلب منه ان يقابل اساءته بالاحسان * ويرجع اليه عوائد صدقاته كما كان * فاجابه الى سؤاله واسبل على سوءة جرمه ذيل النسيان * وارسل اليه امرأة جدته تومان *

* فصل *

ولم يزل على الوفاق * وشق شقة الشقاق * مرتبقا ريقة الرقاق * حتى وقع خليل سلطان فى الرباق * وصفا لشاه رخ سمرقند وراق * وتوجه اليه شاه ملك مظهرا الصلح ومضمر النفاق * واستنزله بالمكر من قلعة سغناق * بعد ان احكما العهد والميثاق * ووقع بينهما الاتفاق * وان يتلاقيا ركبانا ويتباثا الاشواق * بعد السلام والاستسلام والعناق * وكان فى جماعة شاه ملك شخص يدعى ارغوداق * ثم اقبل

شاه ملك بجماعته * ونزل شيخ نور الدين من قلعته * وسار شاه ملك
وحده * من غير عدة وعدة * ولعانق هو وذلك المغرور * وبثه ما نابه
في غيبته من أمور وهرور وشرور * فأكد عليه الميثاق والعهد *
ووصى كل منهما ما يفعله الآخر من بعد * ثم ودعه وانصرف *
واتصل بجماعته وقف * وسار كل من جماعته بمفرده * الى مصافحة
شيخ نور الدين وتقبيل يديه * حتى انتضى النوبة الى ارغوداق *
فتوجه بما أضمره من الخداع والنفاق * وكان في الشجاعة أسدا *
وكالفيل قوة وجسدا * فوصل اليه * وقبل يديه * ثم التزمه
عناقا * وأحكمه اعتناقا * فاقتلعه من سرجه * واهبط نجمه من برجه
وقطع راسه * وفجعه فاسه * ولما سمع بذلك شاه رخ * طفق يندب
ويصرخ * ولعن شاه ملك ونهره * وضرب ارغوداق وشهره * لكن
ما أمكنه وصل ما قطعاه * ولا غرس ما قلعاه * كما قيل ع * وليس لما تطوي
المنية ناشر * واستمر مدة لا ينظر اليهما * ثم بعد ذلك رضي عليهما *
واستمر خدايداد * متشبثا باذيال العناد * مشتركا بين العتو والفساد *
غير مسلم الى الصلح العباد * الى ان اباره الدهر وابادهم *

وصنذكر كيف جازها بعد اياه واجاده *

ذكر امر خليل سلطان ببناء ترمذ التي خربها

جنكيزخان * وتجهيزه العساكر لهذا الشان *

ثم في شهر صفر سنة عشر وستمائة * ارسل خليل سلطان من الجنود فئة *
واضافهم الى الله داد * وضم اليهم من رؤس الاجناد * الياس
خواجا وابن قماري منصور * وتوكلي قرقراود ولة تيمور * الى
ترمذ مع آخرين * ليعمروها فاستمروا سائرين * حتى وصلوا الى
ترمذ * فجمعوا في الحال احتياجاتهم من الاحجار والاخشاب والقرمد *
ثم تقاسمت تلك الرؤس ابدانها * وعلموا من ان يتصوروا قلة اسوارها
وحيطانها * وجعلوا يعملون ولا يلبثون * ويبنون بكل ربع منها آية
يعبثون * وتركوا بالنهار الكلاء وبالليل نوما * فاتموا بنيانها في نحو
من خمسة عشر يوما * وحين ميزوا محلاتها * وفرزوا دروبها وطرقاتها *
ورفعوا اعلام مساجدها ومناراتها * وبنوا مواضع اسواقها وابياتها *
امروا الباقين * من ذرية التازجين منها من اهلها * وكل من رحل
من خراب ذكرها الى عمران سهلها * ان يرجعوا اليها * ويعمروا عليها *

وكان اولئك المساكين * قد استولوا منها المساكين * وبنوا
فيها اسواقهم وبيوتهم * وجمعوا اليها اسباب معايشهم وقوتهم واستمر
ذلك من وقت جنكيزخان * الى وقت تيمور كوركان * فكانوا في وطنهم
آمنين * وعن حركات الانزعاج والتقلقل ساكنين * فلما مات
تيمور * وحدث شرور وامور * اراد خليل سلطان ان يصونهم *
فارسل من شيد حصونهم * وكانت الجديدة هي العتيقة نحوا من فرسخ *
* فصارت العتيقة احصن من الجديدة وارسخ * لاسيما وقد طمى البانون
منارها * ونهر جيحون يصانع اقدامها طود حمل اسوارها * بخلاف
الجديدة * فان قصورها مساكينها غير مشيدة * وهي عن النهر بعيدة *
فلما نادوا الناس ان ادخلوا الى داركم * فكأنهم كتبوا عليهم
ان اقتلوا انفسكم واخرجوا من ديارهم * فلم يثقل الله داد عليهم *
ولا اكترث في ذلك ولا التفت اليهم * ولم يظهر في ذلك عنادا * ولكنه
حشر فنادى * ان كل من سبقت يده من اهل البلد * الى شيء من هذه
الاماكن والعمائر الجدد * فهو له من غير منازع * ولا ممانع
ولا مدافع * ثم امر بانتقال الخبازين * والقصابين والطباخين

والسابين * ومنزلهم منزلهم وماؤهم * ولم يتعرض لمن يواثبهم *
فجعلوا يبيعون على العساكر ويشترون * ويربحون في ذلك ولا يخسرون *
فاختل نظام سائر الجمع اذ الانسان مدني بالطبع * فالجأهم الاضطرار *
ان يتبعوهم بالاختيار * فتفقد ما يليق به احوال كل من كبيرهم
وصغيرهم * وقرر على ما اقتضته اوامره قواعد امورهم * ثم جمع
رؤس جنده * وقفل الى ممرقند *

ذكر ما فعله شاه رخ من جهة خراسان * في مقابلة ما فعله خليل سلطان *

ولما سمع شاه رخ بما فعله خليل سلطان * جهز طائفة من عساكر
خراسان * وجعل يمد ذلك السحاب المنجاب * من بحر امرا ميرزا
ولد عمر مرزا * وهو اخو جهان شاه * الذي كان تيمور على محاصرة
قلعة دمشق ولاه * وامر رؤس تلك الجنود * ان يبنوا قلعة تسمى
بحصن الهنود * وهي من اقصى بلاد خراسان * يفصل بينهما وبين
قرمان نهر جيحان * ففعلت من البناء العساكر الخراسانية * نحو
ما اعربت عنه العساكر الخليلية السلطانية * وفي اثناء مدة البناء تراسل
الله داد ومرزا بوقصافيا * وتواصلا بالاحتشام والاحترام وتهاديا *

امارة التي ما حدث في اقاليم ايران * وما جرى من سيول الدماء

عند تصوب ذلك الطوفان *

ن السلطان احمد وقرا يوسف رجعا الى العراق * ووقع بينهما

سياسة الملك الاتفاق * واستقر السلطان احمد في بغداد * ووثب

وسف على الجغتاي بالعياد ليستخلص منهم ما استولوا عليه من بلاد *

ب الفتح على رايات آيات نصر من الله * فاستخلص ممالك اذربيجان

ان اباد طوا بقهم وقتل اميرانشاه * ومد عنان الكلام في استيفاء

المقام * نخرجنا عما نحن بصدده من المرام * الى ان وقع بينهما

اق * وتخبطت اذربيجان والعراق * ثم قتل قرا يوسف السلطان

د باشارة بسطام * وذلك في شهور سنة ثلثة عشر وثمانمائة

جرة النبي عليه السلام * واما عراق العجم * فانها كانت احصن

* فاستقل بها عمر الملك متولیها بیر عمر * فنهض عليه ذو القرابة

علي اسكندر * فقاتله وكسره * ثم قبض عليه وقتله * ثم قبض على

تل بدخواه * فتوجه اليه شاه رخ صاحب هراة * فقبض عليه

وده * ورجع به امله وولاده واستصفى بلاده * فخلصت لشاه رخ

ممالك العجم كلها * وانثال الى خزانته من اموالها وابلها وطلها *

من غير ان يعاني في ذلك نصبا * ويقاسي في تحصيله تعبا ووصبا *

مع ان مملكته كانت اوسط الممالك * فلم يتطرق اليه احد بسوء

لذلك * وانه كان حسن الجوار قليل الحركة * وابوه قد حسم عنه

بقتله ملوك العجم مادة كل شر وهلكه * فثبت في مكانه بين اسود شحت

ونبت * وكبت ماله من الاعداء بما له من الاصدقاء وثبت * فاهتزت

ارا ضي دولته بنبات الثبات وربت * وكأن عيون السعد كانت تراقبه *

وعرائس الملك تناجيه وتخاطبه *

* بقوله * شعر *

* نزه فؤادك من غوانا والقنا * فجنابنا حل لكل منزه *

* والصبر طلسم لكنز صالنا * من حل ذا الطلسم فاز بكنزه *

ذكر خروج الناس من العصر * وطلبهم اوطانهم

من ما وراء النهر *

وفي اثناء هذه الحالات * قصد الناس من سمرقند التبدد والشتات *

وطلب كل غريب وطنه * وتحرك يبغي سكنه وقطنه * اما باجازة

واحتياما * وإما بهزيمة واختفا * فأول من استجار من أهل الشام
ورام المسير * شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير * ثم تفرقت
الطوائف عجما وعربا وتبددوا في الآفاق شرقا وغربا * ووقع في سمرقند
القحط وغلاء الاسعار * ولم يرخص بين الناس سوى الدرهم والدينار *
ثم حصل بعد ذلك الرفاهية * واجتمع للناس الرجاء والامنية * وطاب
الزمان * وحصل الامان * وذهب المقت * وصفا الوقت *

ع * وعند صفو الليالي يحدث الكدر *

ذكر ما اثار الزمان الغدار * من دمار وبوار * القى به الخليل في النار *

وكان خليل سلطان تزوج بشاد ملك زوج سيف الدين الاسير *
وملكه سلطان هواها فكان فيه كالاسير * فمال بكل جوانحه اليها *
بحيث انه قصر نظره عليها * وصارت محبته كل يوم تزداد * وانست قصته

قضية قيس وليلى وشيرين وفرهاد *

فكان كما قيل * شعر *

* اعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تداني *
* والثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما القى من الهيمان *

ممالك العجم كلها * وانثال الى خزانته من أموالها وابلها وطلها *
من غير أن يعاني في ذلك نصبا * ويقاسي في تحصيله تعبا ووصبا *
مع أن مملكته كانت أوسط الممالك * فلم يتطرق اليه أحد بسوء
لذلك * وانه كان حسن الجوار قليل الحركة * وأبوه قد حسم عنه
بقتله ملوك العجم مادة كل شر وهلكه * فثبت في مكانه بين أسود شمخت
ونبت * وكبت ماله من الأعداء بما له من أصدقاء وثبت * فاهتزت
أراضي دولته بنبات الثبات وربت * وكأن عيون السعد كانت تراقبه *
وعرائس الملك تناجيه وتخاطبه *

* بقوله * شعر *

* نزه فؤادك من هوى وتجنبا * فجنابنا حل لكل منزه *
* والصبر طلسم لكنز وصالنا * من حل ذا الطلسم فاز بكنزه *

ذكر خروج الناس من الحصر * وطلبهم اوطانهم من ما وراء النهر *

وفي أثناء هذه الحالات * قصد الناس من سمرقند التبدد والشتات *
وطلب كل غريب وطنه * وتحرك يبغي سكنه وقطنه * إما باجازة

واحتياطا * واما بهزيمة واختفا * فاول من استجاز من اهل الشام ورام المسير * شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير * ثم تفرقت الطوائف عجما وعربا * وتبددوا في الآفاق شرقا وغربا * ووقع في سمرقند القحط وغلاء الاسعار * ولم يرخص بين الناس سوى الدرهم والدينار * ثم حصل بعد ذلك الرفاهية * واجتمع للناس الرجاء والامنية * وطاب الزمان * وحصل الامان * وذهب المقت * وصفا الوقت *

ع * وعند صفو الليالي يحدث الكدر *

ذكر ما اثار الزمان الغدار * من دمار وبوار * القى به الخليل في النار *

وكان خليل سلطان تزوج بشاد ملك زوج سيف الدين الامير * وملكه سلطان هواها فكان فيه كالاسير * فمال بكل جوانحه اليها * بحيث انه قصر نظره عليها * وصارت محبته كل يوم تزداد * وانست قصته

قضية قيس وليلى وشيرين وفرهاد *

فكان كما قيل * شعر *

* اعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تداني *

* والثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما القى من الهيمان *

* كان فؤادي ليس يهدأ الذي به * الى ان يرى الروحين تجتمعان *

واستمر ذلك الى ان ران هواها على قلبه * واخذ بمجامع لبه * وربط

جوارحه * وحل جوانحه * وفصل قميصا واسعا فكانا يلبسانه * واتحدا

فصار ينطق بلسانهما وتنطق بلسانه * وصارا ينشدان *

والى حالهما يرشد ان *

* انا من اهوى ومن اهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا *

بل كانت القصة بالعكس

* رملت *

* انما كانا بروح نفخت * مذ هراها ربها في بدنين *

وكان لا يصدر امرا الا عن رايها * ولا يستبدي في سياسة الملك

الا برائها * فسلمها قياده * واتبع مرادها مراده * وهذا

من غاية البله والعته * وكيف يفلح من ملكت قياده امرأته *

وكان لها خادم قديم * ليس من بني الاحرار ولا بكريم *

بل كان من اطراف الناس * يبيع في اول امره المزر والكرباس * يدعى

بابا ترمش * بطرف معمش ووجه منمش * وصورة قبيحة *

وهيبة غير ملبسة * وكان يتقاضى هو نجمها ويدخل عليها * قبل وصول
خليل سلطان اليها * فلما وصلت مخدومته الى ما وصلت * وحصلت
لها المرتبة التي لغيرها ما حصلت * ارتفعت درجة خدمها * وزادت
حشمة حشمها * واستفاد بابا ترمش من اضافته اليها التعظيم *
وبحسب كرامة المخدوم يحصل للخادم التكريم * فصار يرأس جماعتها
ويسوسهم * وبجالستها تحلى بخلعة * ع * هم القوم لا يشقى جليسهم *
ثم ترقى حتى صار عليه مدار امرها * ثم تخطت قدمه الى التكلم في اسباب
الملك وغيرها * ثم تدرج الى فصل المحاكمات الديوانية * واجراء
القضايا السلطانية * ثم ترفع الى التولية والعزل * وتعاطى ذلك على
سبيل الجد والهزل * وانتهى في ذلك * فصار دستور الممالك * ولم يقدر
احد على رد كلمته * لجدة شوكته بقوة مخدومته * فبسط يده
ولسانه كما اختار * وامتثل كل احد ما امر به واشار * واستطال على الله داد
وارغون شاه * فصار يبرم ما ينقضانه وينقض ما ابرماه * وبلغ في قمة
الادب الى ان كان يمد رجله بحضرتهما * ولا يقوم بذرة من واجب
حرمتهما * ثم حجر ان لا تفصل قضية * الا بمشورته * وان كان غائبا

فينتظر حضوره او يتوجه الى حضرته * ومن حينئذ تبغ الى ما بلغ كان
فحرا من ثلاث سنين * وعفاريت الجفتاى وجنهم لا يثبتين معه العذاب
المهين * فحصل لاله داد وارغون شاه من هذا التدرج * غاية
الضرر ونهاية التحرج * وبلغا الغاية * فى الاهانة والنكاية * واعضل
داؤهما * واعجز دواؤهما * واستلذا ذهاب العيش
وزواله * على البقاء في هذه الحاله *

ذكر ما افتكره الله داد * ودبره في مراسلة خداياد *

ثم ان الله داد استعمل فكره * لكن اخطأت استه الحفره * فطبخ
قدرا فانقلبت عليه * ونضج كدود القز شبكة حتفه بيديه *

قلت

* اذا انعكس الزمان على لبيب * يحسن رأيه ما كان قبحا *
* يعاني كل امر ليس يعني * ويفسد ما رآه الناس صلحا *

فلم يجدا لتبريد الاكباد * الا مراسلة خداياد *
فجليا عليه صورة هذه القضيه * واخبراه بها عن وضوح
وجليه * واشارا عليه ان يتوجه بأميل فسيح * ويقصد

بعساكره سمرقند وخاطره مختبر بح * فنهض من ساعته * وتوجه
بجيشه وجماعته * ودب دبيب الذبا * فوصل الى مكان يدعى
اورابا * فلما سمع بذلك خليل سلطان * ارسل الى الجنود
والاعوان * وتعجب من وقاحته * وتعوذ من كلاحته * وجهز الله
داد وارغون شاه * مع العساكر الجرارة للملاقاه * فسار امتى
دانياه * فقابلاه وما قاتلاه * ثم ارسلا الى خليل سلطان يستنديان
المدد ويقولان * ان هذا الرجل بلغ من ملاحاته * وشدة
دعارته وقلة مبالاته * انه لم يتزعزع من مناخه * ولا دخل ريح
هيبتنا في صماخه * فامدنا بباقي العسكر * وجعل يتشوف لما يكون
من الخبر * فارسلا ايضا ان هذا قد آذى وزاد فسادا * وجار
في عداوته ثمودا وعادا * فامدنا بنفسك * وادركنا بحدسك
وحسك * فان هيبتك اقوى * وطلعتك اضوى * وما اركب هذه
الجراءة * ولا اقدم على هذه الجيئة * الا وقد اضمر شرا كبيرا *
ويطوي في باطنه قارا وقيرا * فادركنا بباقي المقاتلة * فان هذه المرة
تكون الفاصلة * فخرج خليل سلطان بقلب مطمئن * وخاطر من حلول

الجوادِ مُستكِنّ * وأمَلٍ نَمِيٍّ * وصَدرٍ مُنشرِح * مُعجبًا بشبابه *
مُغرمًا باصحابه * مُتمايلًا بين أحبابه * مُتهاديًا بين أترابه *
في شِرذِمَةٍ قليلة * وطائفةٍ نبيلة * أبعدُ ما عندهُ نزولٌ ممّ * وأشرد
ما لديه حلولُ نكدٍ وغمّ * يُغدِّيه الكمال *
ويُناديه لسانُ الجمال *

بقوله

* تمهّل لا فانت أمَلُ لذاكا * وتحكّم فالحُسنُ قد أعطاكا *

فوصَلَ بتلك العصابةِ السُّلطانيّة * الى قصبةٍ تُسمّى سلطانيّة * فارسَلَ الله
داد الى خُدايداد أنّ الركابَ السُّلطاني * خرجَ من سمرقند
في اليوم الفلاني * وفي الساعةِ الفلانيّة *
يحلُّ كورةً سلطانيّة *

ذكرُ ما قصدهُ خُدايداد من الكيد * ووقوعُ خليل سلطان
في قفص الصيد *

فقصدَ خُدايداد المُحاتلة * وتركَ ثقلَهُ مُقابلَ المُقاتلة * وخلّى العساكرَ
وراءَ ظهره * وتأبّطَ شرارةً وضراوةً مرّة * واستصحبَ من أبطالِ القتالِ

ورجال النضال والنزال * طائفة * جاسرة غير خائفة *

* شعر *

يزان اذا لاقوا خفاف اذا دعوا * كثيرا اذا شدوا قليل اذا عدوا *

والتحف ذيل الليل * ولطأ بظهر الخيل * واستطرق الى مطلوبه

طريقا موجا * واستقود الى مقصوده قوادا لجبا *

كما قيل * شعر *

* لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد *

حتى وصل الى سلطانية وهي قصبة انشاه تيمور * ولم يكن لاحد

به شعور * فلم يفجأ خليل سلطان * الا وقد جاءه موج البلاء من كل

مكان * فنهض كل من معه من الاصحاب * واخذوا في الحرب والطعن

والضراب * وقاتلوا قتال الموت * وايقنوا حلول الفوت * فعضت عليهم

الحرب العضوض * وطرحتهم ما بين مهشوم وموقوذ ومرضوض * فقتل

كثيرهم وجليلهم * ووقع في نار عدوهم حبيبهم وخليلهم * ثم رجع

خليل اداله الى معسكره * فائزا بنجحه مستبشرا بظفره *

* فصل *

ثم ان خداداد حلف لخليل سلطان * بأشد ما يكون وابلغ من انواع الايمان * انه لا يقصده باذى * ولا يرمي في عين معيشته بخيال قذى * ولا يؤذيه بقول ولا عمل * ولا يسلط عليه من يؤذيه بمكر ودخل * وسيرى نتيجة ما حلف * وان الله تعالى عفا عما سلف *

* فصل *

ثم التمس منه ان يرسل الى الله داد * ممن دونه من الاجناد * ان يستسلموا لخداداد * وارسل خداداد ايضا الى الناس * بانه قد استولت منكم على الراس * فان اطعتموني اطعته * وان لم تصلوني قطعته * ولما وقع خليل سلطان في هذا الكرب * تصور ان هذا اسهم غرب * ثم ظهر له مكان ذلك المكمن * وتحقق كيف اخذ في المأمن * وعلم من اين صب ذلك البلاء عليه * وانى اخذ من ذلك الجانب الذي بأمن اليه * فقال * بلسان الحال *

* جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا نتعارف *
* فما بيننا خسفا ولا شفنا اذى * من الناس الا من نود ونعرف *

ثم ارسل الى سائر الامراء * وزرماء الجيش والوزراء * ان يستسلموا

لخد ايلاد ولا يُنازعوه * ولا يُلوا نحوه فيما يريد ولا يُمانعوه *
فاستسلم الكل اليه * واستقبل ذرا وسلم عليه * فاستولى على تلك الجنود
الجنود * وتحصن من قوائل المقاتل بالرماح المسددة * والسيوف
المهندة * وقدم جنود جند وخجند * واغتنم تركستان وطغام
اوزجند * واخرج من هو اولئك وتقدم الى سمرقند * ولم يلتفت
الى الله داد فمن دونه * وتحقق اتقاد ان صفقته في ذلك مغبونة *
فسامح الزمان عنه ما كان البسه من ثوب عز وسلب * وخرج من بين يديه
ما كان فيه من جاه ومال وذهب * وكان قيام ذلك الخفر
في سنة ثمانمائة واثنتي عشر *

ذكر ما جرى من الفساد بسمرقند عند قدوم خدايداد *

فوصل خدايداد الى سمرقند ودخل * فتغيرت تلك الرسوم والدول *
وكأنه ظهر اختلاف الملل والنحل * وكان له ابن يدعى الله داد *
فدعاه بالسلطان على رؤس الاشهاد * وتفحص عن مكامن الخزائن *
ونقب في اطوادها عن الغلزات والمعادن * ونقر عن مضمرات الضمائر
وتحسس عن الخبايا والدفائن * وتغيرت الاوضاع * وتبدلت

ثم ان خداداد حلف لخليل سلطان * بما شاء ما يكون وابلغ من انواع الايمان * انه لا يقصده باذى * ولا يرمي في عين معيشته بقذى * ولا يؤذيه بقول ولا عمل * ولا يسلط عليه من يؤذيه بمكر ودخل * وسيرى نتيجة ما حلف * وان الله تعالى عفا عما سلف *

* فصل *

ثم التمس منه ان يرسل الى الله داد * ممن دونه من الاجناد * ان يستسلموا لخداداد * وارسل خداداد ايضا الى الناس * بانه قد استولت منكم على الراس * فان اطعتموني طعنته * وان لم تصلوني قطعته * ولما وقع خليل سلطان في هذا الكرب * تصور ان هذا سهم غرب * ثم ظهر له مكان ذلك المكمن * وتحقق كيف اخذ في المأمن * وعلم من اين صب ذلك البلاء عليه * وانى اخذ من ذلك الجانب الذي يأمن اليه * فقال * بلسان الحال *

* جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا نتعارف *
* فما ساءنا خسفا ولا شقنا اذى * من الناس الا من نود ونعرف *

ثم ارسل الى سائر الامراء * ورؤساء الجيش والوزراء * ان يستسلموا

لخذ ايلداد ولا يُنازِعُوه * ولا يُدافِعُوه فيما يُريدُ ولا يُمانِعُوه *
فاستسلم الكُلُّ اليه * واستقبل ذرا أوسلم عليه * فاستولى على تلك الجُنُودِ
المُجندة * وتحصن من غوائل المُخاتِلِ بالرِماحِ المُسَدَّدة * والسُيُوفِ
المُهندة * وقدم جُنُود جند وخجند * واغتام تركستان وطغام
اوزجند * واخر من مَوَّرَاءُ النَهْر وتقدم الى سمرقند * ولم يلتفت
الى الله داد فمن دونه * وتحقق الله داد أن صفقته في ذلك مغبونة *
فسلخ الزمان عنه ما كان البسه من ثوب عِزٍ وسلبه * وظفر من بين يديه
بما كان فيه من جاهٍ ومالٍ وذهب * وكان قيام ذلك الخفر
في سنة ثمانمائة واثنى عشر *

ذكر ما جرى من الفساد بسمرقند عند قدوم خلايلداد *

فوصل خلايلداد الى سمرقند ودخل فتغيرت تلك الرسوم والدول *
وكأنه ظهر اختلاف المِلَلِ والنِحَلِ * وكان له ابن يدعى الله داد *
فدعاه بالسلطان على رؤس الاشهاد * وتفحص عن مكامن الخزائن *
ونقبه في اطوادها عن الغلزات والمعادن * ونقر عن مضمرات الضمائر
وتفحص عن النحايا والدفائن * وتغيرت الاوضاع وتبدلت

بالفظاظة رقاق الطباع * وصاروا *

كما قيل * شعر *

* اما الخيام فانها كخيامهم * واري نساء الحي غير نسائها *

وتنكرت الصفات * حتى كانما تحولت الذوات * او بدلت الارض غير

الارض والسموات *

* شعر *

* وتنكرت ارض الغوير فلم يكن * ذاك الغوير ولا النقا ذاك النقا *

ذكر بلوغ هذه الامور * شاه رخ بن تيمور * وتلافيه تلك الحوادث *

وحسمه مادة هذه العوابث *

ولما اتصل بشاه رخ هذا الخبر * عبس وبسر * وتضجر وزمجر *

وازور وازبار * وكشر واكفهر * وتغير وجهه وتمعر * واستغاث

وتقلق * وولول واسترجع وحوقل * وتحرق وتنكد * وتأوه وانشد *

* شعر *

* لقد مزلت حتى بدا من مزالها * كلاما وحتى ما مها كل مفلس *

ثم طير بطائق مراسيمه كل معلر * الى اطراف ممالكه بجمع العسكر *

وامر شاه ملك * ان يسير غير مرتبك * ويستديم السير * ويسابق بعتاقه عتاق الطير * فيتدارك ما انكسر من النظام * ويطارد من ورده الملكة الاغتنام الطعام * فلا يدع رائد هم ان يحل * ويعاجل مستعجل قد رام ان يحل * فسار شاه بيك في الحال * بعساكر في المدد كالجبال * وفي العدد كالرمال * ثم اتبعه شاه رخ بطائر الاساورة * وكواسر الاكاسرة * وطار لا يلوي على احد * ولا يسكن في حركته الى طالع ولا رصد * فجدين وصلوا سنون وعبوره * غطوا وجهه وستروه * فانبسط ذلك السيل على وجه الماء * فكان البحر غطي بالغمام المتراكب وغرق في بحر الحياء *

* فصل *

ولما قطع البحر تلك الاطواد * واتصل الخبر بخدايداد * تيقن انه لا طاقة له بابه وقزوده * بل ثاب جنود شاه رخ واسوده * وان جل عساكره يفر عنه ويسلمه * ويقبض عليه ولشاه رخ يسلمه * فاسرع في تنجيز ما ربه * وبادر الى تجهيز مطالبه * واخذ ما وصلت يده اليه من اموال * ورمى ما بلغت طاقته من نفائس واحمال * واستصحب

قتيبة سلطان * وتوجه الى ابيه كان * وادرع الله داود ارغون شاه
وباشر عرش في الملك * وانف ان يستصحب احدا منهم معه * وترك
شاد ملك ايضا في البلد بعده * بعد ان خلبها رهبته * وبعلب ما كانت فيه
من العز مهيبته *

ذكر ما جرى بسمرقند بعد خروج الجنود الجندية * وقبل وصول
العساكر الناصرية *

ثم لما رحل عنها بك ارانفصل * ولم يكن احد من جيته شاه رخ وصل *
وما كان للناس * ظهر ولا راس * اراد الله داود ارغون شاه *
ان يتوجها الى شاه رخ ويستقبله * فرفع خواجا عبد الاول عليهما
يده * واقام لمنعهما عن الخروج من المقصورة رصده * واستعان بشطار
البلدية * وكان الله داد قبل ذلك انكا تكلة اوثته ضغينة كما قيل * ع
من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا * فلم تختلف في رياسة اثنان *
ولا انتطح فيها عنزان * وصارت اشارته الامرة النافذة *
وحكمه اول مراسيمه فيما بين الناس جاريه * وامره المطاعة في تلك
الايام الخالية * ع والعلم رفع بيتا لا عماد له * ولم يزل خواجا عبد

الأوّل يسوس الرّعيّة * ويوصي على الله داود ورفيقيه ومن معهم

ويشدّد مضائق القضيّة * الى ان طلعت طلائع شاه

ملك واعقبتها العساكر الشامرخيّة *

ذكر ربد وربد والدولة الشامرخية * فيهم سماء ممالك ما وراء النهر

بعلو هروب شمس النوبة الخليلية *

فخرج اهل المدينة لاستقباله * مستبشرين من بروزية جبين جلاله *

فنزل كلّ احد في منزلته * ووضع كلّا من النّاس في مرتبته * ثم قبض

على الله داد ورفيقيه وعاقبهم بانواع العقاب * وصنف في تعذيبهم

واستخلاص الاموال منهم انواع العذاب * ثم قتلهم صبرا * وانتقلهم

من الدّنيا الى الاخرى * الّا بالعرش فانهم عاقبوه * وبانواع

العذاب الصّعبوه * ففي بعض الايام * وقد انكت فيه من العذاب الآلام *

اخذ الموكّلين عليه ليطلعهم على قضيّة * ويذهب بهم الى خبيّة *

فمروا به وهو في قيد وثيق * على حوض ماء عميق عميق * فاستلّ

من قرابه ايديهم عضب يده الدّليق * ورمى بنفسه وزخ

في ذلك الماء على غفلة فغرق *

* فصل *

ثم إن شاه رخ زار آباء * وأقام شوائط عزاء * وجد في ترتيب القراء على تربته والقومه * واستأنف معالم المرتبين في ذلك والخدمه * ونقل الى خزائنه جل ما كان على حضرته * من اقمشته وامتعته وأسلحته * وعفر بيادر الخزائن * وحفر تخوم تلك الكمائن * ع في تمهيد القواعد * وترتيب مراتب الاقارب والاباعد *

* فصل *

وقبضوا على شاد ملك وأهانوها * وشانوها ابتذال من صانوها * وعصبوها بالعذاب عصب السلمه * ومزروها لاستخراج الاموال منها مزات أهوان الظلمه * ثم بعد ذلك الابتذال * واستخلاصهم منها انواع الاموال * حزموها وشدوا منها الوثاق * وشهروها مناديين عليها في الاسواق * واستقرت على شاه رخ الامور * وارتفعت صدور وانقصمت ظهور * من ملا انسان * وانحط انسان * فسبحان من هو كل يوم في شان * عز شانه وتعالى سلطانه يغير الدول ويقلب الاحوال * ولا يعتري سلطانه تغير ولا انتقال *

ذكر ما قصده خلايداد * من اتمام النكال والفساد * وكيف آل

ذلك النكال * الى ان جرى عليه وبال *

واما خلايداد فحين حل في مكانه * وخلا بخليل سلطانه في الدكانه *

جدد معه عهوده ومواثقه * انه آمنه مكره وبوائقه * وذكر ان

ذلك النكال والنكاد * انما فعله معه ارغون شاه والله داد * مع

احسانه اليهم * واسبال ذيل انعامه عليهم * وانهم كافوه مكافاة

التمساح * وقابلوا بافسادهم منه الاصلاح * ثم قال له اذكر صنيعك

معي اولا وظاهرا * وانظر ما افعله معك باطنا واخرا * وما نفعل معك

ما يتحقق به خلوص الطوية * وصدق النية * بحيث يذهب الكدر

ويبقى الصفا * وينمحي الجفا ويثبت الوفا * ونعيش باقي عمرنا متصافيين *

وفي رياض الهنا متوافيين متكافيين * فنمحو بما نكتب في الواح

صدورنا من المحبة والشفقة * مساطير الاساطير المكتبة في باب

الحمامة المطوقة * وساردك ان شاء الله تعالى الى دار عزتك * واجتهد

في تحصيل ما يعيدك الى نشاطك وعزتك * ثم خطب باسمه في الدكان *

وعول على ذلك في اطراف تركستان *

تتمة ما جرى من خليل وخداوند اد من المعاقدات * وتاكيد العهود والمودات * الى ان ادركهما هادم اللذات *

ثم تأكدت بينهما وثائق الايمان * وذهب خداوند اد يستمد المغول لخليل سلطان * وترك خليل سلطان باندكان * وكان المغول لما بلغهم موت تيمور اخذول * سلبوا قرارهم * واخلوا ديارهم * ولجأوا الى الحصون * وتشبثوا باذيال كل كهف مصون * كما ذكر اولا فلما تحققوا موته * واستثبتوا فوته * تنادوا بالامن والامان * وجاروا خداوند اد في ذلك المكان * وارسلوا يهنئون خليل سلطان * وبعثوا اليه هدايا سنية * وتحفا فاخرة ملوكية * من جملتها كرسي من ذهب * افرغه صائغه في قالب العجب * فاكرم خليل سلطان رسلهم * واعظم نزلهم * واجمل معهم جوارا واجرا * وجازاهم بكل حسنة عشرا * قلت *

* الخير ابقى وان طال الزمان به * والشر اخبث ما اوعيت من زاد *

ولا زالت خلع المودة بينهم تنتسج * ووجوه المكارمة والمحاشمة يوما فيوما تبتهج * حتى عرى له ما عرى * وجرى عليه من بحر القضاء والقدر

ما جرى * فساعة وصول خداداد اليهم قبضوا عليه * وارسلوا
الى خليل سلطان ينهون صورة الحال اليه * وقالوا تعلم ما بيننا وبينك
من خالص الوداد * وانا عالمون بما رقع بينك وبين خداداد * وانه
كان السبب في تبددك * وخروج ملكك من يدك * وقد جاء
يستمدك فالك * فارسم لنا ما بدالك * فان رسمت قتلناه * وان اشرت
امددناه * وفي الجملة مهما امرتنا به امتثلناه * فارسل يقول قد علمتم
كيف آذاني * ومزق عرضي واخزاني * واخرجني من ملكي وسلطاني *
وغربني عن اهلي واخواني * واذلني اذ رأسني بمفارقة حبيبي واوطاني *
والآن فقد جعلني ترسا * يتقي بي الحوادث والباسا * وقد عرفتم كيف يريد
ان يتصرف * وعلى كل حال فالعارف لا يعرف * ومع هذا مهما رأيتم
في ذلك من المصلحة فافعلوه * ففي الحال قطعوا رأسه واليه ارسلوه *

* ذكر عود خليل سلطان * من ممالك اندكان *

وقصده عمه شاه رخ * ولعبه بالنفس مع ذلك الرخ *

واستمر خليل سلطان * في ذلك المكان واطراف تركستان * يرسل
بالغارة سيما الى اشعار العراقية * وينشئ في حبيبته ما ينسي القصائد

الزيدونية * ويذكر ما فيه من الغربة * وما جرى عليه من الفراق والكربة * فيصدع بذلك القلوب ويفتت الاكباد * الى ان حل المقام في تلك البلاد * فنفض منها ذيله * وضم رجله وخيله * وقصد عمه * وركب الطريق وامه * فاكرم عمه مثواه * ولم يذكر له اخبار ما انشاه * وضم اليه حبيبته * ولم الى خليل خليلته * وقرر قاعدة ذلك الاقليم وشيده * وولى فيه اولوغ بيك ولده * وقفل الى خراسان * مستصحبا معه خليل سلطان * ثم ولاه ممالك الري * فلم يقم بها الا ادنى شيء * وانتقل الى رحمة الله * وكان عمه دس له شيأ فسقاه * فدفن بمدينة الري * وطوي نشر ذلك الحاتم اي طي * وحين وقعت شاد ملك في هذا الخطب الجليل * واشتعلت احشاؤها بنار الخليل *

قالت لا ذقت فقدك * ولا عشت بعدك * وانت

ورنت * وانشدت وغنت *

* شعر *

* كنت السواد لمقلتي * فبكى عليك الناظر *

* من عاش بعدك فليمت * فعليك كنت احاذر *

ثم اخذت خنجرا فوضعته في لبتها * واتكأت عليه بقوتها * فنفذ من قفاها * واحرقت بنارها كل من رآها * فدفنا في قبر واحد * وامسى لسان حالهما ينشد *

* شعر *

* اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب *

وصفا لشاه رخ ممالك ما وراء النهر وخراسان * وخوارزم وجرجان * وعراق العجم وما زندران * وقندهار وراء الهند وكرمان * وجميع بلاد العجم الى حدود اذربيجان الى يومنا هذا اعني سنة ثمانمائة واربعين * ونسأل الله تعالى حسن العاقبة بمنه ولطفه والحمد لله رب العالمين *

* فصل *

* في صفات تيمور البدليعه * وما جبل عليه من حجية وطبيعة *

وكان تيمور طويل النجاد * رفيع العماد * ذا قامة شامقه * كأنه من بقايا العمالقه * عظيم الجبهة والراس شديد القوة والباس * حجيب الكون * ابيض اللون * مشربا بحمرة * غير مشوب بسمرة * فخيم الاطراف * عريض الاكتاف * غليظ الاصابع * سميك

الاكارع مستكمل البنية * مسترسل اللحية * اهل اهرج اليدين *
عيناه كشمعتين غير زهراوين * جهير الصوت * لا يهاب الموت *
قد نامز الثمانين * وهو مع ذلك بجائش مكين * وبدن مستمسك متين *
صلبا شهما * كأنه صخرة صما * لا يحب المزاح والكذب * ولا يستميله
اللهو واللعب * يعجبه الصدق ولو كان فيه ما يسوءه * لا يأسى على ما فات
ولا يفرح بما يجيئه * وكان نقش خاتمه راهبتي وهبتي * يعني صدقت
فجوبت * ومسمر دوابه وسرة مكيته على الدرهم والدينار ثلاث حلق
هكذا ٣ لا يجري غالبا في مجلسه شيء من الكلام الفاحش ولا سفك دم *
ولا من سبي ونهب وغارة ومتك حرم * يعد ماشجاعا * مهابا مطاعا *
يحب الشجعان والابطال * ويستفتح بهم اقفال الاموال * ويفترس بهم
اسود الرجال * ويستهدم بهم وبصدماتهم قلل الجبال * ذا افكار
مصيبة * وفراسات عجيبة * وسعد نافق * وجد موافق * وعزم
بالثبات ناطق * ولدى الخطوب صادق *

* قلت *

* كم قد حمت اراوة وندى فتية * حمته لدى البأس واردت قبائلا *

منهاجا دراكا للحجة والمزة * مرتاضا مستيقظا لرمزة * لا تخفى
عليه تلبيس ملبس * ولا يتمشى عليه تدليس مدلس * يفرق بين
المحق والمبطل بفراسته * ويدرك النامح والغاش بدربة درايته *
يكاد يهدي بأفكاره النجم الثاقب * ويستتبع بآرائه فراسته مهم كل
كوكب صائب *

* قلت *

* يشاهد اعقاب الامور بعقله * كما شاهد المحسوس بالعين ناظر *
اذا امر بامر واشار بشيء لا يرد عنه * ولا يثني عنان عزيمته
عن شيء منه * لتلا ينسب الى قلة الثبات * وركاكة الرأي والحركات *

* قلت *

* اذا قال قولا واشار اشارة * توخى امرة في ذاك كالنص قاطعا *
وكان يقال له في القابه صاحب قران الاقاليم السبعة وقهرمان الماء
والطين * وقامر الملوك والسلاطين * يحكى ان قاضي القضاة ولي
الدين عبد الرحمن ابن خلدون المالكي قاضي القضاة بمصر كان
صنف التاريخ العجيب والمآلك فيه الاسلوب الغريب * على ما ذكر لي

مَنْ رآه * واطّلع على لفظه ومعناه * من الأذكياء المهرة * والأدباء
البررة * مع أنّي لم أرَه * وكان قد قدم الشام * مع عساكر الإسلام *
وحين ولّت العساكر الأدبار * أنشيته في مخاليب تيمور لاقدار *
قال له في بعض مجالسه * وقد انس بتوانسه * بالله يا مولانا الأمير
ناولني يدك التي هي مفتاح فتوح الدنيا حتى اتشرف بتقبيلها *
وقال له أيضاً لمّا أراد أن يستصحبه معه وقد سرد عليه شيأً من تواريخ
ملوك الغرب وكان تيمور مغرماً بإقراء التواريخ واستماعها فاعجبه
ذلك غاية الإعجاب * ورغب منه في الإستصحاب * يا مولانا الأمير
معذور جدّاً عن أن يتولّى فيها نائب غيرك * أو أن يجري فيها غير
أمرك * ولي فيك عوض عن طريفي وتلادي * وأهلي وأولادي *
ووطني وبلادي * وأصحابي وأخداني * وأقاربي وخلاني * وملوك
الناس * وعن كلّ ظهور وراس * بل وعن كلّ الورى * إذ كلّ الصيد
في جوف الفرا * وما أتأسف * ولا أتلهف * إلّا على ما مضى من عمري *
وانقضى من عصري * كيف تقضّى ذلك في غير خدمتك * ولم تكتحل
عيني بنور طلعتك * ولكن القضاء جار * وسأستديل الحقيقة

بالمجاز * وما أزلابي * أن أكرر على لساني *

* قوله *

* جزاك الله عن ذا السعي خيرا * ولكن جئت في الزمن الاخير *

للاستاذ نفن في ذراك عمرا ثانيا * ولاعدن الزمان بابعادي عن عدوتك

عادي يا * ولا تدارك ما مضى من عمري بصرف ما بقي في خدمتك

والتشبث بغوزك * ولا حسبن ذلك أعز وقاتي * وأطول مقاماتي *

وأشرف حالاتي * ولكن ما يقصم ظهري * الا كتبي التي افنيت فيها

عمري * وصرفت جواهر علومي في تصنيفها * وظمئت نهاري وسهرت

ليلي في ترصيفها * وذكرت فيها تاريخ الدنيا من بدئها * وسير

ملوك شرقها وغربها * ولئن ظفرت بها لاجعلنك واسطة عقدهم *

وخلاصة نقدهم * ولاطرزن بسيرك خلع دهرهم * ولاصيرن

دولتك هلال جبين عصرهم * إذا نت ابو المفاخر * والبازغ بدر نصره

في شرق الغرب من دياجير الملاحم * والمكاشف به على لسان كل ولي *

والمشار اليه في الزوائج والجفر المنسوب الى امير المؤمنين علي * وصاحب

القران * المنتظر في آخر الزمان * وهي في القاهرة فلو حفلت عليها

ما فارقت ركابك * ولا فجرت اعتابك * والحمد لله الذي رزقني
من يعرف قيمتي * ويحرز خدمتي ولا يضيع حرمتي مع كلام نصيح صادع *
بديع بليغ خالب خادع * فاهتزت فرحا اعطافه * وترا قصت مزحا
اطرافه * واعجبه ذلك واغراه ميله الى كتب التواريخ والسير *
واستهواه حبه معرفة احوال الملوك الذي ذكر * حتى شغله عما غلبه *
بسحر هذا البيان البديع وسلبه * ثم انه استوصفه بلاد العرب
وممالكها * واستوضحه اوضاعها ومسالكها * وقراها ودروبها * وقبائلها
وشعوبها * كما هو دأبه وشانه * والقصد في ذلك امتحانه * لانه
لم يكن محتاجا لذلك * اذ في خزائن تصوره صور جميع الممالك *
وانما اراد بذلك معرفة مقدار علمه * وكيفية ابداء نصحه له وكتمه *
فاملى كل ذلك من طرف لسانه * كانه يشاهده وهو جالس في مكانه *
وشرح تلك الامور * كما في خاطر تيمور * ثم قال له كيف تذكرني وبخت
نصر مع الملوك الاكابر * ولم ننل في النسب تلك المفاخر * وما نحن
من يعاب بمثل النقل * فاني تعجبنا مع الفضل * فقال افعالكما البديعة *
اوصلتكما الى تلك المنزلة الرفيعة * فاعجبه هذا الكلام * وقال لجماعته

اقتل ولده فانه امام * ثم اخذ تيمور يخبر القاضي بما وقع في بلاده *
وسار حتى بين ملوك الغرب واجناده * ولا زال يذكر له اخبار الناس
حتى ورد عليه اخبار متعلقيه واولاده * فتحير القاضي من املائه *
وقال ان الشيطان ليوحي الى اوليائه * ثم ان تيمور هاد القاضي
ان يتوجه الى القاهرة * ويأخذ اهله واولاده وكتبه الزاهرة *
ولا يأمن اكثر من مفارقة الطريق * ويتوجه اليه بامل فسيح وعهد بنيل
الامانى وثيق * فتجهز الى مصر * واستراح من ذلك الشر *

* فصل *

وكان تيمور محبا للعلماء * مقربا للسادات والشرفاء * يعز العلماء
والفضلاء اعزازا تاما * ويقدمهم على كل احد تقديما عاما * وينزل
كلا منهم منزلته * ويعرف له اكرامه وحرمته * وينبسط اليهم انبساطا
ممزوجا بهيبة * ويتحدث معهم بحضرته بما فيه الانصاف والحشمة *
لطفه منذ ربي في قهرة * وعنفه منذ نشي في برة *

* شعر *

الطعن مجتمع القوى * كأنه المرا والمرا *

* وقيل *

* مُرّ المذاقِ على أعدائِهِ بَشِعٌ * حُلوُ الفكاهةِ للأصحابِ كالعسلِ *

وكان مُغرَمًا بأربابِ الصّنائعِ والحِرَف * أيّ صناعةٍ كانت اذا كان لها خطرٌ وشرَف * يبغضُ بطبعهِ المضحكينَ والشعراء * ويُقرّبُ المنجّمينَ والأطبّاء * ويأخذُ بقولِهم * ويصغى الى كلامِهم * أملا زِمًا للّعبِ بالشطرنجِ لكونهِ منبّهًا للفكرِ * وكانت علّتهُ عِمّتهُ عن الشطرنجِ الصّغيرِ * فكان يلاعبُ بالشطرنجِ الكبيرِ * ورُقعتهُ عشرةٌ في احدى عشرَ * وفيهِ من الزّرائبِ جملانِ وزرافتانِ وطليعتانِ ودبّابتانِ وزيرٌ * واشياءُ غيرُ هذهِ وسيأتي وضعهُ والشطرنجُ الصّغيرُ بالنسبةِ الى الكبيرِ كلا شيءَ * مواظبًا لاقراءِ التواريخِ وقصصِ الأنبياءِ عليهم الصّلوةُ والسّلام * وسيَرِ الملوكِ واخبارِ من مضى من الأنام * سفرًا وحضرًا كلّ ذلك بالهاديّ * وربّما تكرّرت قراءتها عليهِ * وطالت نغماتها على اذنيهِ * فبغضَ زمامَ ذلك وملكهُ * حتّى صارت لهُ ملكهُ * فحبّذا ان قارنَ ذلك اذا خبطَ * ردّهُ الى الصّوابِ من الغلطِ * وذلك لانّ التكرارَ يفيدُ الحمارَ * وكان اميًا لا يقرأُ شيئًا ولا يكتبُ

ولا يعرف شيأ من العربية * ويعرف من اللغات الفارسية والتركية والمغولية * حسب لا غير * وكان معتقدا للقواعد الجنكيزخانية * وهي كفر ورفع الفقه من الملة الإسلامية * وأمشيا لها على الطريقة المحمدية * وكذلك كل الجغتاي وأهل الدشت والخطا وتركستان وبلاد الطغام * كلهم يمشون قواعد الملعون جنكيزخان على قواعد الإسلام * ومن هذه الجهة أفتى كل من مولانا شيخنا حافظ الدين محمد البزازي رحمه الله * ومولانا وسيدنا وشيخنا علاء الدين محمد البخاري أبقاه الله وغيرهما من العلماء الأعلام وائمة الإسلام * بكفر تيمور وبكفر من يقدم القواعد الجنكيزخانية * على الشريعة الإسلامية * ومن جهات أخر أيضا * وقيل إن شاه رخ أبطل الثورة والقواعد الجنكيزخانية * وأمر أن تجري سياستهم على قواعد الشريعة الإسلامية * وما أظن لذلك صحة فإن ذلك عندهم قدح في الملة الصريحة * والاعتقادات الصحيحة * ولو اتفق أنه تجمع مواشيه ومواشيه في دسكرة * ويغلق أبوابها ويطلع عليهم من منظرة * ويفتح عليهم شيأ من هذا الباب * لجاصوا جيصة الخمر الى الأنياب *

* فصـــل *

وكان فريد الطور بعيد الغور * لا يدرك لبحر تفكيره قعر * ولا يسلك في طود قد ببره سهل ولا وعر * قد اقعد في مماليكه نواميسه * واقام في سائر الممالك جراسيسه * وهم ما بين اميركا طلا بيش اهل اعوانه * وفقيه بقير كمعود الكحجاني عين اصحاب ديوانه * وكان ذلك في القاهرة المعزية * ومذ ابلى مشق اهل الصوفية بالشمنطائية * وما بين متنيب وناجر * ومصارع شرير وبهلوان فاجر * ومكدي وصنايعي * ومنجم وطبائعي * وقلندري قوال * وحيدري جوال * وبحري سباح * وبري سياح * وسقاء ظريف * وحذاء لطيف * وسعلاة دلاله * وشيخة محتالة كدلة المحتاله * ومن مرت به التجارب * وضرب اكباد الابل مشارق ومغارب * وبلغ فيما هو بصدده من المكر والاحتيال منزلة الكمال * والف بلطيف حيله ودهاه بين الماء والنار والهدم والبلل * وجاوزني الحيل والكيد * ما حان وما زيد * والزم في حكمته وجدله ابن هينا * واحكمه في منطقه اليونانيين اذ حكمين عليهم القضايا * فجمع بين المتنافيين * والف بين المتعاديين

* قلت *

* فاق من قاد للعدى كل جيش * بكلام شتى البعيد قريبا *

* مزج النقل فى القياد بعقل * فهدى ما شقا واهدى حسيبا *

فكانوا ينتهون اليه حوادث الأطراف واخبارهم * ويكتبون اليه ما قدموا وآثارهم * ويذكرون لديه اوزانهم واسعارهم * ويصفون منازلهم وامصارهم * ويصورون سهولهم واوعازهم * ويخطون بيوتهم وديارهم * ويبينون مدى ذلك بعدا وقربا * ومافي ذلك ضيقا ورحبا * وجهاته واقطارا شرقا وغربا واسامي الامصار والقرى * والقاب المنازل والذرى * واهل كل مكان ورؤساءه * وامراءه وكبراءه * وفضلاءه وشرفاءه * واغنياءه وفقراءه * واسم كل ولقبه * وشهرته ونسبه * وحرفته ومكسبه * فكان يطالع بفكره ذلك * ويتصرف بتفكيره في سائر الممالك * وكان اذا حل ببلد * واجتمع به من اعيانها احد * شرع يسأله عن فلان وفلان * وماجرى لفلان في الوقت الفلاني ممازانه من امر وشان والى م آلت تلك الواقعه * وكيف فعل فلان وفلان فيما كان بينهما من المنازعه * فبهت ذلك الرجل ناظرا * ويظن ان تيمور كان في تلك

العائلة حاضرا * وكان كثيرا ما يطرح عليهم من اغاليط المسائل *
ويحكي صورها حتى جرت لهم وقائل * فيتصورون ان له في ذلك
العلم قدمة * او كان منه للغائب خصمه * ولذلك تصور بعض الناس *
ان ذلك الوهواس الخناس * وكان مقيما بالسلارية * وبعض
بالغ حتى قال انه رآه في نقراء الشمعانية

* فصل *

ومما يحكى عن فراسته انه لما نزل عن هيواس * وقد حصتها منه اولو
التجدة والباس * قال لعسكره اعملوا الحيلة * انا فاتحوا مدينة في ثماني
عشرة ليلة * فكان كذلك فلا شك ان ذلك الاعرج * كان ملهما
او مستدرج * وكان ذا مغالطات * وحركات لها مغاورات * اذا
دهمه امر يتعاطى دفعه وهو مظهر انه راغب فيه * وربما يظهر الرغبة
عن شيء وهو يريد حصوله ومشتهيه * وقد مر نظائر من اكله * فمن
مغالطاته انه اذا كان له في مكان رزم * او اراد ان ينزل بساحة
قوم * قصد الاخفاء والتعمية * وطلب الايهام والتورية * وبعث
عسكره لا يخلو من تساج متجسس * او سرطان متحسس * ولو لم يكن

لأحد في عسكره عين * فإن نزغ العين لا تخفى على ذي عقل *
فانه يجمع أركان دولته * وأعيان مملكته * وذوي آرائه ومشورته *
بحيث انه لا يتخلف منهم أحد * ولا يجوز مولود من والد ولا والد
من ولد * ثم يظهر لهم خفية أموره * ويطلب منهم المشورة في جهة
مشيرة * ويطلق لهم عنان الكلام * ويقول لا تقريب على من خالف
في ذلك من خاص الأنام * ناظرني إعقاب الأمور ما بين يوم وعام *
فليتكلم كل ولا حرج * فسواء هوى الى حضيض الخطأ او الى أوج الصواب
حرج * فان أخطأ فلا نقصان * وإن أصاب فله أجران * فيبذل
كل جهده * ويعاني في ذلك وكده * ويبدي في ذلك ما أدى
اليه اجتهاده * ويتصور ان ذلك يوافق مراده * فتتفق الآراء *
على ناحية من الأنحاء * ثم يفض ذلك المجلس * ويجتمع باخصائه
ويجلس * كسليمان شاه وقماري وسيف الدين * والله داد شاه
ملك وشيخ نور الدين * ويحضرون القضية محضا بمور ذلك * ويتحثون
فيها تحثا دقيق المسالك * فيقع آخر الأمر الاتفاق * على التوجه
الى بعض الآفاق * ثم يلقي مشوراته لهم * ويسايقهم في ذلك ويقدمهم

ويأمرهم بالتوجه اليه * فيتصدون على ما عول في ذلك عليه
وحين يقوض الظلام خيامه * وينشر رائد الصبح اعلامه * ويضرب
الكوس للرحيل * ويأخذ الناس في التحميل * ويتوجه الناس الى الجهة
التي امرهم بالمسير اليها * ووقع الاتفاق عليها * دعاها شيئه بعد
ما حملوا واخذ وافي المسرى * وامرهم ان يمتازوا ويرحلوا الى جهة
اخرى * لم يكن ابدا ما لاحد من الجماعه * الا في تلك الساعه *
ولولا الضرورة لما انشاها * ولا اعاد سيرتها لاحد ولا ابداها *
فيضرب الناس ضربا ويضرب ضربا * ويأخذ العساكر شرقا ويأخذ غربا *
فتضطرب تلك الاطواد وتختبط * وتنفرط عقود نظامهم فلا تكاد تنضبط *
وتنحل قوائم مواشيها عن المسير وترتبط * ويموج بعض الناس في بعض *
وينعكسون سماء في ارض وطولا في عرض * ويتولة كل احد ويتدله *
ولا يدري الى اين يتوجه * فان كان في عسكره بيته * او من يراقب
ذهابه ومجيئه * فيجرد ما رأى تحميلهم * وشاهد تحويلهم ورحيلهم *
فما رأى منخرمه * واظهر له ما في معلومه * من توجه العساكر
الى الجهة التي اتفقوا عليها وانه قد عدم بعينه وقد توجهوا اليها *

فيأخذ وحذره امل ذلك الجانب * وتطمئن سائر الجوانب من النوائب *
فلم يشعر الا وقد دمر على الجانب الذي قصده وحطمه * ونبذه من نار
العذاب الموقدة في السعير والحطمه * وكم كان له من دهاء * ومكر خفي
وذكاء * ومن جملة ذلك انه لما كان بالشام * وقد قابلته عساكر
الاسلام * اشاع ان سهوا راسا يورته تخلخل * وتأخر قليلا الى وراء
وتخلخل * واذاع انه اعوز خيله ورجله الزاد * وانه صائب صوب
بغداد * ثم اسفرت القضيه * عن ان انهزمت العساكر المصريه *
وكان قصده بذلك تثبيت جاشهم * واستقرار رؤسائهم واوباشهم *
وان يكز كل منهم على مازم * فيربض في مكانه ولا ينهزم * فيحيط
بالكل كيده * ويصير النجوع صيده * ومما يحكى من شدة عزمه *
وثباته على ما يقصده وحزمه * وحلول نقمته ممن يعارضه * ويعاكسه
فيما يرسم ويناقضه * انه لما توجه بالجنود * الى بلاد الهنود * بلغ الى قلعة
هامقه * اقرا طالدرا ربي باذان مرامها عالقه * ورجوم النجوم
الخارقة تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقه * كأن بهرام
في مهواة احد سواطيرها * وكيوان في مهراة خادم نواطيرها *

والشمس في اعتوانها غرة حجبتها * وخطرات السحاب في الانكاب
تترشح من قعر معينها * وشفة الشفق الحمراء على آذان مراميها
وانوف ابدانها مراوق * وكربات نجوم القبة الخضراء لعيون
مكاحلها وانواه مدافعها طابات وبنادق * فيها من الهنود طائفة *
ثابتة الجنان غير خائفة * جهزت املها وما تخاف عليه الى الاماكن
المعجزة * وتثبتت هي في تلك القلعة حافظة لها متحرزة * مع انها شرذمة
قليلة * وطائفة ذليلة * لا خبر عندهم ولا مير * ولا فائدة سوى
الضرر والضير * ولا للقتال عليها سبيل * ولا حوالتها لاحد مبيت
ولا مقيل * بل هي مطلة على المقاتلة * ممتنعة من المقاتلة * فابى ان
يجاوزها * دون ان يناجزها بالحصار وينا جزها * واللبيب العاقل *
ما يترك لخصمه وراءه معاقل * فجعلت المقاتلة تناوشها من بعيد * ونصب
كل من املها عليهم من اسباب المنايا ما يريد كما يريد * فكان كل يوم
يقتل من عسكره ما لا يحصى * والقلعة تزاد بذلك اباء وامتناعا *
وهو يابى الرحيل عنها * الا ان يصل الى غرضه منها * فمضى بعض ايام
المحاصرة مطروا * وبواسطة المطر احصروا * وصار حصنهم على القتال *

وركب لينظر ماذا يصنعون في تلك المسائل * فلم يرتض افعالهم * فلما
تكلمت لوجالهم احوالهم * فلما علمنهم رؤس الامراء * ورؤساء العسكر
والكبراء * واخذ يمزق ادبهم بعضهم بشفار شتمه * وشقق ستور
حرمتهم بمخالب لعنه وذمه * ونفخ الشيطان في خيشومه * فالهب
فيهم نيران غضبه وشؤمه * وقال يا لئام * وانكلة الحرام * تتقلبون
في نعماي * وتتوانون عن اعدائي * جعل الله نعمتي عليكم وبالا *
والنسكم بكفرانها خيبة ونكالا * يا فاجري الذمم * وكافري النعم *
وسافطي الهمم * ومستوجبي النقم * الم تطوا اعناق الملوك باقدام
اقدامي * وتطيروا الى آفاق الدنيا باجنحة احسابي واكرامي *
وتفتحوا مغلقات الفتوح بحسام صولتي * وتسرحوا في متنزهات
الاقاليم سوائم تحكيمكم بترعية دولتي * بي ملكتم مشارق الارض
ومغاربها * واذبتم جامدها واجمدتم ذائبها *

* شعر *

* الم اك نارا يصطليها عدوكم * وحرزا الما التجأتم من روابيا *
* وباسط خير فيكم بيمينه * وقابض شر عنكم بشماليا *

ولا زال يهمهم ويغمغم * ويهذم ويمرطم * وهم مطرقون لا يجيبون
جوابا * ولا يلفظون منه خطابا * ثم ازداد جنقا * وكاد ان يموت
خنقا * فاخترط السيف بيده ليبدر * وهم به على قيم اولئك الاسرى
وهمان يجعل رقابهم قرابه * ويسقي من دمائهم فرنده وذبابه * وهم
على تلك الحال * في الخزي والاذلال * باذلوا نفوسهم * ناكسو
رؤسهم * ثم تراجع وتماسك * وملك نفسه قليلا وتمالك * فاقعد عن
تشريقهم حسامه * ولم يلق لاجرة قبلة ولا دبرة فغلف غربه وشامه *
ثم نزل عن مركبه * واستدعى الشطرنج الكبير ليلعب به * وكان عنده
شخص يدعى بمحمد ناوجين * وهو لديه ذو مكان مكين ومقام امين *
مقدم على كل الوزراء * ومبجل دون سائر الامراء * مسموع القول *
مقبول الرأي * ميمون النقيبة * محبوب الشكيمة * فتشفعوا اليه *
وعولوا في حل هذا الاشكال عليه * وقالوا ما هذا ولو بلفظه *
وراقبنا ولو بلحظه * واعمل معنا * بهذا المعنى *

* شعر *

* ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال *

* وبما قيل *

وامنون ما يعطى الصديق صديقه * من العين الميسور ان يتكلما *

وبما قيل

* وان امرأ قد ضن عني بمنطق * يسد به من خلتي لضنين *

فاجابهم والتزم * ان يرد عما تأزم به وازم * وراقب مجال

المقال * وراعى فرص المجال * واخذ بالمكارم تمور * تفور في امور الطلعة

وتغور * وجعل يستقري اضواءهم * ويستوري آراءهم * ولا يسمع

كلامنهم الا القبول * لما يستصوبه رأيه ويقبل * بغي بعض الاحايين *

اتفق ان قال محدثا وجيز * وقد زل به القضاء * واحاط به نوازل

البلاء * اطال الله بقاء مولانا الامير * وفتح بمفاتيح آرائه وراعاته

حصن كل امر عسير * منذ افتتحنا هذه القلعة * بعد ان اصيب مناجانب

من اهل النجدة والمنعة * هل يفي هذا بذا * ويوازن هذا النفع

بهذا الاذى * فما احتفل بخطابه * ولا اشتغل بجوابه * بل استدعى

كتابا من المرتادين * فطالع المنظور احاله زريه * يدعى

مراميك * واعرق مجاريك * وربه بالسواد مدبك * اوسع من المطبخ *

واسنخ من في المسلخ * لعاب الكلب طهور عند مرقه * وعصارة الغير
نجسة بالنسبة الى مرقه * فحين ما حضر له * ووقع نظره عليه *
امر بشيلوه محمد قاوجين فنزع عنه * وبخلقان مراملك فخلعت * ثم
البس كل ثياب صاحبه * وشد رحله بحيامته * ودعا واوين محمد
ومباشوبه * وضابطي ناطقه وصامته وكاتبيه * ثم نظر ما له من ناطق
وصامت * وذا ثنيه وجامد * وملك وعقار * واهل وديار *
وحشم وخدم * من عربه وعجم * واوقاف واقطاع * وبساتين
وضياع * ومماليك واتباع * وخيل وجمال * واحمال واثقال *
حتى زوجاته وحراريه * وصبيته وجواريه * فانعم بذلك على الوجه *
وامسى نهار وجود محمد قاوجين وهو من ليل تلك النعمة منسلخ * ثم قال
تبورا اقسم بحق آياته * وكلماته وصفاته * وارضه وسمواته *
وكل نبي ومعجزاته * وولي وكراماته * وبرامي نفسه وذاته * ليئن
اكل محمد قاوجين احد اوشاربه اوماشاه * اوصادقه اوصاغاه *
اوارد اليه اوآراه * اوراجعني في امره * اوشفع عندي فيه اواشتغل
بعذره * لاجعلنه مثله * ولاصيرنه مثله * ثم طرده واخرجه *

وقد سلبه نعمته واحرجه * فصار مسلوب النعم * قد حلت به نوائب
النقم * وسخطوه بالخلق * ورأى نعمته على اقل الخلق * واتصل
غيره بالخلق وقطع منه الخلق * فزلقت حبة قلبه اي قلق * واستمر
على ذلك في عيش مر وعمر حالك * وحاشا ان تشبه قصته قضية كعب
بن مالك * فكان يستحلي مرارة الموت * ويستبطئ اشارة الفوت *
وكل لحظة من هذا التخيف * اشد عليه من الف ضربة بالسيف *

فلما مات تيمور اخياه * ورد عليه خليل سلطان

ما سلبه جده اياه *

* فصل *

وكان من ابهته وعظمته * وشدة شكيمته وعتوه وحرمته * ان ملوك
الاطراف * وسلاطين الاكناف * مع استقلالهم بالخطبة * واستبدادهم
بالسكة * وانفرادهم بالزعامة والرياسة * وقيامهم بامور الايالة والسياسة *
كالشيخ ابراهيم ملك ممالك شروان * وخواجا علي ابن المؤيد الطوسي
سلطان ولايات خراسان * واسفنديار الرومي وابن قرمان * ويعقوب
بن علي شاه حاكم كرمان * وحاكم منشا وطهرتن اميرا رزنجان *

وسلاطينِ فارسَ واذربيجان * وملوكِ الدشت والخطا
وتركستان * ومرازبةِ بلخشان * ومراجيحِ مازندران * وعلى الجملة
فالمطيعون من ملوكِ ايران وتوران * كانوا اذا قدموا عليه * وتقدموا
بالهدايا والتقادم اليه * يجلسون على اعتابِ العبودية والخدمة *
نحواً من مدِّ البصرِ من سوادِ قاعته قائمين بشرائطِ الادبِ والحرمة *
فاذا اراد منهم واحداً * ارسلَ اليه من القراشين ونحوهم قاصداً *
فيهيبُ ذلك القاصدُ وهو يعدو كالبريد * وينادي ذلك الواحدَ
باسمه يا فلان من مكانٍ بعيد * فينهضُ في الحالِ من مجثاه * مجيباً
بلبيكَ لبيكَ دعواه * ويعدو نحوه متعثراً في اذياله * متلقياً ما برزت
به مراسيمه بقبوله واقباله * مطرقاً راسَ التذللِ والخضوع * مصغياً
بآذانِ الخنوع والخشوع * مفتخراً على اضرابه * لكونه اهلَه
ودعاه واعتنى به * وقيل كان اناسٌ من جماعته يلعبون بالنردِ
فافترقوا فرقتين واختلفوا في نقشِ الكعبتين * فقال احدُ اللاعبين ورأسِ
الاميرِ تيمور كذا وكذا نقشُ الكعبتين * فرفع يده فلطمه *
وسبه ولعنه وشتمه * كأنه ذبي يحيى وزكريا نقش * اوكد بحمد

ارقدم موسى على ابى البشر * وقال يا ابن الفاعله * والفاعل ابن الفاسله *
بلغ من انتهاكك الحرم * ان تذكر الامير تيمور بغم * وانى لك
ان تجعل خدك موطئ مداسه * فضلا ان تحلف براسه * انه لاجل
ان يتفوه مثلي ومثلك باسمه * او يتلفظ بشئ من حدوده ورسمه *
وانه لاعظم من كيخسرو وكيكاوس وكيقباد * الذين ملكوا المشارق
والمغارب وافخم من نخت نصر وشداد * وقيل انه قصد في بعض
الاوقات الاصطياد * وارسل يمنة ويسرة على العادة طوائف الجيش
والاجناد * ورسم ان يخرج مشاة تلك الرقاع * ورجالة ماتيك القرى
والبقاع * فيمتدون في الوهد واليفاع * وحين تلتئم على الوحوش حلقة
الكيد * ويصح ان يتنازع فعلا رمى واصمى كلا من عمرو وزيد *
لا يشير احد بضربة ولا طعنة ولا رمية الى صيد * بيد انهم يردون
اوابد تلك البيداء الى بهرة ذلك البيد * فامتثل كل ما به امر *
وحين صار كالبنيان المرصوص صف تلك الاحزاب والزمر * واحاطت
صافات تلك الكواسر بالوحوش احاطة النجوم بالقمر * ماجت بحار
الوحوش في ذلك البر * ولم تجد لها من دون تلك السيول الهامور

من مخرج ولا معبر * فدارت وما رت * وخارت وحارت * وثارت
وبارت * واستجارت بعد ما جارت * واستكانت بعد ما زأرت *
وانطوت ارضها التي طال ما عليها انتشرت * وطرزت بخلع اعلامها
اعلام * واذا الوحوش حشرت * فبينما هي على تلك الحال * في
اشد ما يكون من الاهوال * اذ بان تضرب الطبول من كل الجهات *
وينفخ في بوق المزامير والبوقات * فدق الكوس وزعق النفير *
وامتلأت الدنيا من الشهيق والزفير * ورجت الارض رجا * وما رت
الاقطار مرجا ومرجا * وحين سمعت السباع صوت الطبول * ورأت
الوحوش هذا الامر المهول * سقطت قوادها * وتقطعت كلادها *
وجثت وما انبعثت ثم تقاربت وتلاصقت * وتقارنت وتضامت *
وتصورت ان القيامة قد قامت * فاخذ بعضها بعنق بعض ونامت *
فعانق النمر منها الذئبة * وضاجع الاسد فيها الظبية * واختفى
الغزلان بين الغزلان * واستجار المغلب ببنات الارنب * ولاذ
بالابرقع النعام والارنب بالعقاب * وعاذ الضب بالنون واليربوع
بالغراب * فعند ذلك امر الاطفال من اولاده * واولاد الاعداء
واحفاده *

ن يرموا ويصموا ويقنوا * فما اراد وا ولا يطنوا * وجعل ينظر اليهم *
يتفرج عليهم * ويزمزم لاحوالهم * ويقهقه على احوالهم * ويجرأهم
على الاقدام والنضال * ويشجعهم بذلك على صيد الابطال * وجعلت
حواشي الجيش تنجز ما امروا * وتجهز ما انمروا * وصار ذلك
المفيد * يترنم وينشد *

* شعر *

صيد الملوك ارانب وثعالب * واذا ركبت فصيدي الابطال *

* فصل *

كان يحمل اليه البلخش من بلخشان * والفيروزج من نيسابور *
والزرون ومعادن خراسان * والياقوت من الهند * والماس منها
من السند * واللؤلؤ من هرمز والقطيف والحسا * والعنبر والمسك
غيرة من الخطا * ومن سائر الاقطار * خالص الفضة ومصفى النضار *

* فصل *

انشأ في عمر قند بساتين عديدة * وقصورا شوامخ مشيدة * وكل له
تحت غريب * ووضع انيق عجيب * احكم اساسها * وطعم بافخر

الفواكه غراسها * سمى احدها بستان ارم والآخر زينة الدنيا *
والآخر جنة الفردوس والآخر بستان الشمال والآخر الجنة العليا *
ثم انه هدم مصرا * وبنى في كل بستان منها قصرا * وصور في بعض هذه
القصور مجالسه * واشكال صوره تارة ضاحكة واخرى عابسه *
وهيآت مواقعاته * وصور محاضراته * ومجالس صحبته مع الملوك
والامراء * والسادات والعلماء والكبراء * ومثول السلاطين بين
يديه * وورود ما بالخدمات من سائر الاقطار اليه * وحلق مصائده *
وكمائن مكائده * وقائع الهند والترك والعجم * وصورة انتصاره وكيف
انكسر عدوه وانهزم * وصورة اولاده واحفاده * وامرائه واجناده *
ومجالس عشرته * وكاسات خمرته * وسقاة كاسه * ومطربي اينانه *
وتغزلات مقاماته * ومقامات تغزلاته * وحظايا حضرته * وخوانين
عصته * الى غير ذلك مما وقع له من صورة حادثة في الممالك *
مدة عمره المتقارب المتدارك * كل ذلك كما وقع ووجد * ولم ينقص
من ذلك شيء ولم يزد * وقصد بذلك الافادة * لمن كان في عالم الغيب
من اخوانه بالشهادة * فكان اذا توجه الى مكان * في حلب سمرقند

من الظلمة وأعوان الشيطان * فتخلو تلك البساتين * ويتوجه اليها أهل المدينة الاغنياء والمساكين * فلا يوجد أعجب متنزها منها ولا أحسن * ولا أرفق مرتفقا ولا آمن * وأما ثمارها الطيبة فانها مسبلة * بحيث انه لا يباع منها قنطار بخردلة * وأنشأ في ضواحي سمرقند واطرافها قصبات * سماهن باسماء كبار البلدان والامهات * كمصر ودمشق وبغداد * وسلطانية وشيراز عروس البلاد * وانشأ بستانا في ضواحي سمرقند على طريق الكش وبنى به قصرا سماه تخت قراجا تحكى انه بعض مشيدي عمارته ضاع له فرس واستمرت ترعى في البستان ستة اشهر حتى وجدوها *

* فصل *

نساؤه الملكة الكبرى * وهي اقدم واكمل * والملكة الصغرى * وهي احسن واجمل * وهما من بنات ملوك الخطا * وتومان بنت الامير موسى امير نخشب المار ذكره في اول الكتاب * وجلبان كانت كالبدر عند الكمال * وكالشمس قبل الزوال * قتلها في حيوته لشيء بلغه عنها * وكان غير واقع وانما فعل ذلك معها * لانه قيل

ابن سيد قراابن كليك * واظنها كانت من الخطايا * واما الشواء
والخطايا * فاكثر من ان تحصين * فالمكتابين المذكورتاي سنة
شاه ملك خرقا منها على خليلها وانو مان ارسلها خليل سلطان ا
فسيح نور الدين بسغناق كما مر وبعد ما جاءت الى سمرقند وضمت ا
عزمت في كرمنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة
على الحج والله تعالى اعلم *

* فصل *

اولاده لصلبه المتخلفون من بعده اميرانشاه قتله قرايوسف كما ذكر وشاه ر
وهو المتملك في يومنا هذا وبنت تدعى سلطان بخت زوج سليما
شاه كانت مترجلة لا تحب الرجال وذلك لما فسدها النساء البغادي
في من سمرقند ولها توارنخ موه * احفاده خالهم انقرض الا اولا
شاه رخ واسمائهم اولوغ بيك حاكم سمرقند وابراهيم سلطان حاكم
شيراز وباسنغر حاكم كرمان ماتا كلاهما في سنة ثمان وثلاثين
وثمانمائة وجوكي وهو الذي مشى على اسكندر بن قرايوسف
وشتت شمله بعد موت قرايلوك وذلك في شهور سنة تسع وثلاثين

وثمانمائة ثم مات في أواخرها

* فصل *

* أمراؤه ووزراؤه ولا يحصون وإنما نذكر من ذكرني هذا الكتاب *

دواوينه الخواجا محمود بن الشهاب الهروي ومسعود السنماني

ومحمد الشاغرجي وتاج الدين السلماني وعلاء الدولة وأحمد الطوسي

وغيرهم * منشئ ديوانه ومؤرخه عن كاتب السر مولانا شمس

الدين قاضي زمانه وفاضل أبنائه فارسيا وعربيا يصرف أخبار الانشاء كيف

شاء كأن قلمه في فتح اقاليمه * انفذ من سنان مخذومه * ولما مات تيمور

احتجب * وطوى بساط الادب * فقيل له فحكيت البشرة الا تماشر * وصفت

العشرة فهلا تعاشر * فقال ذهب الذي كان يعرف قيمتي * فانا الاذهب

في خدمة الاحداث حرمتي * إمامه عبد الجبار بن النعمان المعتزلي *

صدور رمكته مولانا قطب الدين والخواجا عبد الملك وابن عمه

الخواجا عبد الاول وغيرهم * قارئ قصصه وتواريخه مولانا عبيد *

اطباؤه فضل الله وجمال الدين رئيس الطب بالشام وغيرهما وكان

دائما يستعمل معاجين الاحجار * وفي سنة ثلاث يجتنب بالكرة *

الابكار منجموده لا تخبرني اسماؤهم

فصل

حصل في ايام اشتغاله بسمرقند من الفقهاء مولانا عبد الملك و
من اولاد صاحب الهداية كان يلقي الدرس ويعلم الشطرنج والنرد
وينظم الشعر في حالة واحدة ونعمان الدين الخوارزمي ابو عبد
الجبار المذكور كان يقال له النعمان الثاني وكان اعمى والخواجه
عبد الاول ابن عم مولانا عبد الملك انتهت اليه الرياسة في ماوراء
النهر بعد ابن عمه ومولانا عصام الدين بن عبد الملك انتهت اليه
الرياسة في يومنا هذا بعد ابن عمه عبد الاول ومن المحققين مولانا
سعد الدين التفتازاني توفي في محرم الحرام سنة اثنتين وتسعين
وسبع مائة بسمرقند والسيد الشريف علي الجرجاني توفي بشيراز
ومن المحدثين الشيخ شمس الدين محمد بن الجزري كان احد من الروم
وكان قد هرب اليها من مصر بعد توجهه من بلاد الشام قبل الفتنة
توفي بشيراز والخواجا الكبير المفسر الحافظ المحدث محمد الزاهد
البخاري فسر القرآن الكريم في مائة مجلد توفي بعد سنة التسع مائة

الله عليه وسلم سنة اثنين وعشرين وثمانمائة * ومن القراء صاروملانا
فخر الدين ومن حفاظ القرآن المجودين قراءة وصوتا عبد اللطيف
الله امغاني ومولانا اسد الشريف الحافظ الحسيني ومحمود المحرق
الخوارزمي وجمال الدين احمد الخوارزمي وعبد القادر المراغي
الاستاذ في علم الادوار * ومن الوعاظ والمتكلمين مولانا احمد بن شمس
الائمة السراج كان يقال له ملك الكلام عربيا وفارسيا وتركيا وكان
اعجوبة الزمان ومولانا احمد الترمذي ومولانا منصور القاغاني *
ومن الكتاب المجودين السيد الخطاط ابن بنكير وعبد القادر
المذكور وتاج الدين السلماني وغيرهم * ومن المنجمين اناس يدعوا
لا اعرف من اسمائهم غير مولانا احمد الطبيب النجار المستخرج
قال لي استخرجت من زايجة الطالع الى مائتي سنة وكان منذ الكلام
في سنة ثمان وثمانمائة * ومن الصوافين الحاج علي الشيرازي والحاج
محمد الحافظ الشيرازي وغيرهما * ومن الحاكمين طائفة جمة وامثلهم
المتون وكان آية في بته ينقش الفصوص ويحفرها ليشم العقيق بخط
احسن من ياقوت * ومن المشطرين محمد بن عقيل الحسيني رزين

اليازدي وغيرهما وعلامة ذلك علاء الدين التبريزي الذهبي الحديث كان يحط لزين اليزدي بيذقا ويغلبه ولابن عقيل فرسا ويركه ولقد داخ تيمور الاقاليم شرقا وغربا * وتصرفي دست مصافاته كل سلطان وكل شاه مات عنده جدا ولعبا * وكان يقول له انت في ملك الشطرنج قريد * كما اني في سياسة الملك وحيد * وكل منهي ومن مولانا علي شيخ في فنه ذو كرا ما يعلم يوجد له ند يد * وله في لعب الشطرنج وعلم مناصيبه شرح * وما كان احد يقول انه ينتج ولا دفكره في لعبه معه من غير طرح * وكان فقيها شافعيا * محدثا اريحيا * حسن البهجه * صادق اللهجه * حكى لي انه رأى اميرالمؤمنين عليا كرم الله وجهه في المنام * وانه ناوله الشطرنج في كيس فلم يغلبه احد بعد ذلك من الانام * ومن اوصافه في لعبه انه كان لا يتفكر * ويجرد ما يلعب خصمه بعد التفكر والتأمل الطويل ينقل من غير ان يتدبر * وكان يلعب على الغائب مع خصمين * وينال مع الطرح ان صوني جهته على الجهتين * وكان يلعب هو والامير * بالشطرنج الكبير * ورأيت عنده شطرنجا مدورا وشطرنجا طويلا

والشطرنج الكبيرة فيه من الزوائد ما مر ذكره * وطريقة تعليمه بالعقل اقوى * وليس في شرحه بالقول كثيرا جدوى * ومن المطربين عبد القادر المراغي المذكور وولده صفي الدين وختنه نصر بن وقطب الموصلي وارد شير الجنكي وغيرهم * ومن النقاشين كثير واعلاهم عبد الحي البغدادي وكان ماهرا في فنه * ومن التجريبة شهاب الدين احمد الزردكاشي * ومن نقاشي الزجاج والنحاس وغيرهم ما لا يحصى وهؤلاء كل منهم كان علامة دهره واعجوبة عصره * ولو وضعت حلي الالفاظ بجواهر اوصاف هؤلاء الاعيان * لملأت الاكوان من فرائد الجمان قلائد العقيان * وهؤلاء من حضرني ذكره ممن اعرفه وامامن لا اعرفه او اعرفه ولا يحضرني ذكره فاكثر من ان يحصى * واعز من ان يستقصى * وحاصل الامر ان تيمور كان جنى كل حي * وجبى الى سمرقند ثمرات كل شيء * فكان بها من اهل كل فن عجيب * واسلوب من الصنائع غريب *

من هو طي جبين الفضل شامته * وبين طي اقرانا

فصار في فنه علامة *

* فصل *

وكان في سمرقند انسان يسمى بالشيخ العريان فتعرا دهبي بشكل
يهي وعزم سيي فقيل ان عمرة على ما هو فيهم شائع وبين اكابرهم
واصاغرهم ذائع ثلاث مائة وخمسون سنة مع ان قامته مستوية
وحيته حسنة وكان المشائخ المعمرون والاكابر المعمرون يقولون
لقد كنا ونحن اطفال نرى هذا الرجل على هذا الحال وكذلك
سمع آباءنا الاكرمين ومشائخنا الاقدمين نا قلين ذلك كذلك
عن آبائهم والمعمرين من كبرائهم وكان اطلس وله قوة نامية
وحدة من رآه يتصور انه لم يبلغ اشده لم يكن الكبر بوجهه
قعيد ولا اثر وكان الامراء والكبراء والاعيان والصلحاء
والفضلاء والرؤساء يترددون الى زاويته ويتبركون بطلعته
ويلتمسون بركة دعوته وفي سمرقند محل يسمى محيط الرباط
يعجبك ان تدخله لانشراح والانبساط والروح والنشاط وقيل
ان احد فعلته كان وليا يسمى الشيخ زكريا وهو معتقد تلك البلاد
ومزاره في مكان مشهور معلوم من الاطراف وقبره يستجاب عنده
الدعاء وهو من سمرقند نحو فرسخ في الجادة وهو بالكرامات

موصوف * وفي كرخ مذه المقامات معروف * وعرفي ربوة ذات قرار *
فيها جنات تجري من تحتها الانهار * مجفوف باليمن والانس * كانه
اقتطع من حظيرة القدس * لحكى انه كان * فاجلا في ذلك المكان *
وقع في جبهته نقطة من الطين * فرأى ذلك احد المباشرين * واستمر
ذلك الطين على هذه الحال * نحوا من ثلاث ليال * فلما اراد وضع
المحراب * وقع الاختلاف في الخطأ والصواب * وكثر في ذلك الصخب
والاضطراب * فقال الشيخ زكريا نحوا المحراب على هذه القبرة *
ولا تعدلوا عنها يمنة ولا يسرة * فقال ذلك المباشر * لين في ذلك المكان
حاضر * يا للعجيبة * والقضية الغريبة * رجل لم يغسل وجهه ثلثة
ايام * يرشد الناس الى معالم الاسلام * فقال ذلك العابد الزاهد * او رجل
هو من لم يتم ثلاثة ايام بوضوء واحد * ولكن تعال ايها الجاحد
قف مكانك * وتيمم جبانك * ولا تكن ممن افكر وتولى * وانظر
الى عمر ومن الكعبة كيف تجلى * فنظر ذلك النبي المكرم * فاذا الكعبة
امامه قد تبختر * ثم التفتوا الى الشيخ فقدروه * وطلبوا منه دعاه
فلم يجبهم وهرب الى الصحراء فعجبوا من ذلك الطين من جبهته

من جملتها سارية شجرة ارتفاعها * نحو من خمسة عشر ذراعا * وغلظ جسمها وبدنها * فلا يقدر الرجل يحتضنها * وباقي السواري بها قد حطن * قيل انها شجرة قطن * ولها خاصية عجيبة * طريفة غريبة * من كان به وجع الضرس * يضع عليه مقدار حبة من خشب ذلك البرس * فانه ينفعه * ويسكن في الحال وجعه * جربته فصح * ويسأل من يدعي رؤية سمرقند عما رأى فيها من العجائب * وشاهده من علامات الظرف والغرائب * فان اخبر برؤية هذه السارية الفائقة كانت رؤياه صادقة * واعتد له بصدق الكلام * والا كانت رؤيته اضغاث احلام *

* فصل *

سمرقند ليس فيها كيل ولا صاع يصان * ولا يجري على جنس المكيلات فيها بالكيل حسبان * وانما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان * ورطل سمرقند اربعون اوقية * كل اوقية بالثاقيل مائة * فيكون رطلهم اربعة آلاف مثقال * كل مثقال درهم ونصف من غير زيادة ولا اخلال * فعلى هذا رطلهم بالدمشقي عشرة ارطال * حكى لي بعولانا

محمود الحافظ المحرق الخوارزمي ولقب بالمحرق لان سهام ترجماته
كانت تصيب حبات حشا شاتٍ اذ ترمي * وتفوق رناتٍ اوتارها
نحو آذان القلوب فتصمي طائرها ولا تنمي * فان صدعت من القلوب
حجرا * تطاير من اقتله احيانا الارواح شررا * فيحرق برناته الارواح
ويشعل بنغماته الاشباح * قال استصحبني تيمور في بعض اسفاره *
فكنت ملازم خدمته في ليله ونهاره * فنزلنا عساكره على حصن
لحصاره * وضرب خيمته على مكان عال * ليشرف منه على القتال * ويتفرج
في صنع الرجال * ففي بعض الزمان * حضرت عنده انا ورجلان *
وكان قد حصل له حمى * اورثته كربا وغما * وكانت سماء النزال
ذات حبك واحتباك * ورماح القتال في التواء واشتباك * فاراد
ان يطالع احوالهم * ويشاهد افعالهم * وافرطت شهوته الى
العيشه * فقال احملوني الى باب الخيمه * فدخل ذلك الرجلان تحت
ابطيه * واوقفاه بباب الخيمة وانا بين يديه * فجعل يشاهد
حربهم * ويتميز طعنهم وضربهم * ثم اراد ان يأمرهم بشيء * فقال لي
يا محمود الي * فاسرعت الى يده * ودخلت تحت عضده * فاراد ان

الرَّجُلَيْنِ الى عَسْكَرِهِ * يأمُرُهم بما عَنَّ له من عُجْرِهِ وبُجْرِهِ * فكأنه لم يبرحْ
عليلا * ولم يُرَوِّغْ ليلا فقال لنادِ طائِفي * وعلى الأرضِ ضَعائِفي * فوضعتْهُ
فسقطَ كأنه رِمَّةٌ بالِيَه * او لُحْمَةٌ على بارِيَه * ثم ارسلَ ذلك الرَّجُلَ
الآخَرَ اليهم * وامَرَهم بما اقتضتْهُ آراؤُهُ واكَّدَ عليهم * فبقيتُ انا وهو
وَحْدَنا * لم يبقَ احدٌ عندنا * فقال لي يا مَوْلانا مَحْمودا نظرُ الى ضَعْفِ
بِنْيَتي * وقِلَّةِ حيلَتي * لا يَدَ لي تَقْبِضُ * ولا رِجْلَ تَرْكُضُ * ولو رَمَاني
النّاسُ لَمَلَكُوني * ولو تَرَكوني وحالي ارتَبَكْتُ * لا امْلِكُ لِنَفْسي نَفْعًا
ولا ضَرًّا * ولا اجْلِبُ خَيْرًا ولا ادْفَعُ شَرًّا * ثم تأمَّلْ كيف سَخَّرَ اللهُ تعالى
لي العِبادَ * ويَسَّرَ لي فَتْحَ مُغْلَقاتِ البِلادِ * وملأَ بِرُعْبي الخائفينَ *
واطارَ هَيْبَتي في المَغْرِبَيْنِ والمَشْرِقَيْنِ * واذَلَّ لي المُلُوكَ والجَبابِرَهْ *
واهانَ بينَ يَدَيَّ الاكاسِرَةَ والقَياصِرَهْ * وهل مُنِيَ الأعْمالُ الا افعالُهُ *
ومُنِيَ الاعمالُ الا اعمالُهُ * ومَنْ هَوانا غيرُ سَطيحٍ ذي فاقَهْ * لا بابَ لي
في الدُّخولِ الى هذهِ الافعالِ ولا طاقَهْ * ثم بَكَى وابْكاني * حتى ملأَتِ
بالدُّموعِ اردِيَتي * فانظُرْ الى هذا الوَبَرِ * كيف سَلَكَ بهذا القولِ مَسْلَكَ
القائِلينَ بالجَبْرِ * وانشدَ وافيه بالفارِسِيَّتَيْنِ وهما

* شعر *

* نيم تنى ملك جها نرا كرنست * چشم كشا قدرت يزدان ببين *

* پاى نى و تخت بزير قدم * دست نى و ملك بزير نگين *

ترجمته فقلت ذو بيت

* قد اظهر قدرة بخافي حكمه * من ملك شقا الدنا جا في قسمه *

* لا كف له والملك في خاتمه * لا رجل له والتخت موطي قدمه *

* فصل *

واما عساكره وطرائق سلوكهم * فانهم طي دين ملوكهم * كانوا استدرجوا من حيث لا يعلمون * ورزقوا من حيث لا يحتسبون * مسخرا لهم خفيات الدفائن * مفتوحا عليهم خبيات الخزائن * ميسرا لهم مكامن المطالب والمعادن * كل طرف منهم قد جال ومضا * وصار بطرق اللوم اعلى من القطا * قد دبروا الامور * وجربوا الجرا ل الدهور * وقاموا معاصر العصور * ركابد والمكايد * وعالجوا الشدائد * ومارسوا الاشيا * وذاقوا الناس والدنيا * وعرفوا ما يحل كل مارق ومعارجه * وادركوا مداركه ومعارجه * لا يدميهم دامية *

ولا يطفيهم طاغية * ربما يمرون بقفراء * ويجيزون بمهمة صحراء *

* شعر *

* لا يقزع الارنب اهوالها * ولا ترى الضب بها ينجحر *

فيقف بعضهم ثم تراه * ينظر الى ارض ذلك المكان وثراه * ثم يقول ليس هذا الثرى * من هذا القرى * ثم ينزل عن دابته ويأخذ من ذلك التراب ويشمه * ثم يلتفت الى جهاته الاربع فيقصد منها جانبا ويؤمه * ثم لا يزال يسير بمن معه من الاعوان * حتى يصلوا الى مكان * فيحفرون ويخرجون كمين الدفائن * وما في ذلك من المغلات والخزائن * وكذلك اذا وصلوا الى عمائر * او مروا على مقابر * يتوجهون الى الخبء كأنهم وضعوه بايديهم * او اوحت شياطينهم ذلك اليهم * وربما تجشموا الى مقام * مر على ساكنه فيه ايام * ومضى عليه فيه شهور واعوام * وفيه شيء مطمور * لم يكن لصاحبه وساكنه به شعور * فبمجرد دخولهم اليه * يفتح ذلك عليهم ويطلعون عليه * ويصير مطلع ساكنه على ذلك يا كل ندامة وحسرة يده * وكان لهم درايات في دفنهم عجيبة * وعلام آراء في عمرهم مصيبة *

وكانوا يحملون البقور بركوبها * ويسرحون الحمير ليحمولها *
ويحاذرون من ذلك أصحاب الخيل العراب الى قصاع الغالم فيسبقونها *
ويطعمون الجمل * لحم الكلب والجمل * ويتقاوتون من فجير
الفرس * بالقمح والأرز والدخن والزبيب والعدس * وربما اعوزهم
ذلك في السفر * فاطعموا دوابهم لحاء الشجر * حكى لي الخاجي
برهان الدين ابراهيم القوشة الحنفي المذكور رحمه الله تعالى أن قازان
والتتار * لما قدموا من الديار * خرج من له قوة الفرار نا ومن العبور *
كما فعلوا في قضية تيمور * ومن جملتهم تاجر بالمدينة * كان
في عيشة رخية * وله أموال وافرة وفيرة * جمع ماله من صافي المال *
ووضعه في قدرة مهال * ثم صعد الى بركة ماء فحفرها * ووضع تلك
القدرة تحتها وطمرها * ثم رد ما الى مبانيها * وأعاد مياهها الى مجاريها *
وحين اشتد الوثوب * وقل مصيب المذاهب للركوب * قال له امرأته
قد نسينا قدرنا * وأخاف أن نحتاج اليها في الطريق غدا * فانظر لنا
حكانا * وحيل لنا بذلك أمانا * فقال أما الآن * فلا مكان * ثم
اخذ مالا ووضعها في جنب منزله * على خشبة لطيفة * ثم ركبا *

وتركا الديار وذهبا * فلما حل بدمشق التتار * نزل منهم لوقة في تلك الدار * فجعلوا يأكلون ويشربون * وهم في خوف يلعبون * فبينما هم بعض الايام في النشاط * قرض الفار احد تلك الاقراط * فتدحرجت لؤلؤة وسقطت على البلاط * فتهادرت الجماعة اليها جارية * كأنهم يتسابقون الى قرطي ماريه * فسبقت الجماعه * ودخلت البلاعه * فكشفوا من وجه الارض بترخذرما * فوجدوا الاموال كما هي في قذرما * فاخذوها واللؤلؤة واخرجوها * وقصدوا باقي القرطين واقتسموها * وجماعة تبور ايضا كذا كانت * وكل معضلة من القضايا اذا وصلت اليهم فانت * وكل منهم كان على دين ملكه وفي فنه الى غايته عرج * فان كنت محدثا عن احوالهم واخبارهم فحدث من البحر ولا حرج *

* فصل *

فحكى ان واحدا منهم من اهل الذكاء والكيد * اراد في فصل الشتاء التنزه فقصد الصيد * فاخرج مركوبه وموبقره * فهش عليها مرجه وهو خشبة مكسره * هزة فصيب مدور * وجزا به حمل مبتر *

وتجمل بلبابه وهو جلد فروة منهوش * وبتاجه وهو طرطور من لبد
منفوش * وشكنانته وهي جلود ممزقة * مشدودة بحبل وعليها
خروق ملزقة * بها مها قد التوت * وحنيتها قد استوت * ومعه
بازي قد نتف القرنا ص ريشه * وقلع عن حقل بدنه زرع خوافيه
وهشيشه * ثم ركب جواده * وحمل بازيه وقصد اصطياده *
فرأى جماعة من البط * على ساحل فحط برحط * فرفع يده بالبازي
عاليه * حتى عاين تلك الجماعه * ثم وضع يده بخفض * وارسل البازي
على الارض * فصار يحجل رويدا * قد اضمر للبط كيدا * اذ
لم يكن له قوة الطيران * ولا جناح عليه به يستعان * فوصل الى البط
بسكون * وهي آمن ما يكون * لانها لا تتوقع البلاء * الا من جهة
السماء * قد خل بينها فما نفرت منه * ولا مرت عنه * فلم تشعر الا وقد
وثب على واحدة وقلفها * فادركه صاحبه واخذها * ولما رحلوا
عن دمشق * وقد مشقوا اوراق نعيمها من اغصان وجودها اي مشق *
وكان مع بعضهم بقرة نهبها * وحملها ما اخذه من الاموال التي سلبها *
واركبها اسيره * وسار بها مدة يسيره * فبعد سير ما يومين او ثلاثة

تلفت * ونادت بلسان حالها انها ما لهذا خلقت * فلما لم تجد ملجا
مما شكت * توكلت على الله وبركت * فانزلوا الراكبة عنها وصاحوا
عليها فلم تقم فحلوا احمالها وضربوها فلم تتحرك فاوجعوها ضربا *
واشبعوها لغنا وسبا * وتلك المباركة بارکة فادهلم هم يضربونها *
الى ان كادوا يقتلونها * فبين صايح يعقد فيها * ومن جاذب
بمؤخرها * ومن متعلق بقرنها * ومن متشبث باذنيها * وهي جاثمة
مشيهة فيل ابرهة * فعجزوا عنها * وايسوا منها * فبينما هم على ذلك *
وقد فاتت عليهم المسالك * واذا هم بشيخ كوهج * كانه شجرة موسج *
قد ملأ المشارق والمغارب * ومرت به انواع التجارب * وقامي برد
الامور وحرها * وذاق حلوها ومرها * وعرف خيرها وشرها * مربيهم *
وهم في كربهم * فلما رآهم اسارى * هاجزين حيارى * سكارى
وما هم بسكارى * قال تنحوا عنها اف جنه * ثم دنا منها دنو الراقي
من ذي جنه * واخذ كفا من تراب * انعم من عيش الشباب * ثم قبض
على قرنها * وصبه في اذنها * ثم مزر اسها في مناخرها * حتى وصل
التراب الى صماخها * فوثبت قائمة * وهي من ذلك البرهام راغمة *

وجعلت تنفض رأسها * وزادت اضطرابها وهناسها * وطلب المصير * وكادت تطير * فاعادوا عليها احمالها * وزادوا اثقالها * فصارت لك البليها * تعدو ولا يقدر عليها * فصل * وكان في عسكره من الترك عبدة الاصنام * وعباد النار من المجوس الاعجام * وكهنة وسحرة * وظلمة وكفرة * فالمشركون يحملون اصنامهم * والكهان يشجعونهم * ويأكلون الميتة والدم المسفوح * ولا يفرقون بين مخنوق ومذبوح * ونائم حزاون * وزواجر خراصون * ينظرون في الواح الضان * ويحكمون بما يرون فيها على احوال كل مكان * وما حدث في كل بقعة * من الاقاليم السبعة * من الامان والخوف * والعدل والحيف * والرخص والغلاء * والسقم والشفاء * وسائر ما يكون * فلا يكادون يخطئون * ولهم ايام * وشهور واعوام * كل عام منسوب الى حيوان * يحسبون بها ما مضى من السنين فلا يتأتى فيها زيادة ولا نقصان * وفي الخط الهم خط يسمى دلبرجين * رأيت حروفه احدا واربعين * وسبب زيادته انهم يعدون التاخيم والابدال * حروفا وكذلك البين بينات * فتتولد الزوائد * وكل حرف زائد *

وأما الجغتاي فلم يسمى او يغور * وهو بالقلم الغولي مشهور *
وعدته اربعة عشر حرفا وسبب نقصانه وانحصاره في هذا العدد ان
حروف الحلق يكتبونها على هيئة واحدة وكذلك تلفظهم بها مثل هذه
الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء والفاء ومثل الزاي والسين
والصاد ومثل التاء والدال والطاء وهذا الخط يكتبون به تواقيعهم
ومراسيمهم ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم ومخاتيمهم * وتواريخهم
واشعارهم * وقصصهم واخبارهم * ومجلاتيهم واسفارهم وجميع ما يتعلق
بالامور الدنيوية * والتورية الجنكيزخانية * والمامور في هذا
الخط لا يدور بينهم * لانه مفتاح الرزق عندهم * [illegible]

* فصل *

وكما كان فيهم من جميل على الفظاظة * والقسوة والغلاظة * ومن مرقليل
الرحمة بل وصفهم الاسلام * كفرة فجرة اعداء الله طغام اغتام *
قد اتخذوه من دون الله هاديا ونصيرا * واستكبروا به في انفسهم
وعتوا عتوا كبيرا * اشتجر فيهم كفرهم وحبهم اياه * الى انه لو ادعى
النبوة والالهية لصدقوه في دعواه * كل منهم يتقرب الى الله تعالى

سيوفه * ينفرد له اذا وقع في شدة ويبقى بفرده * واستمر على اعتقاده
الباطل وكفره * مدة حياته وبعد موته ينقل النار ويرى قرب القربان
الى قبره * وكان توفق معنى المصاحبة * حتى وصل الى مقام المراقبة *
قيل انه كان في السفر * فرأى واحدا من العسكر * كان الكرى غلب
رقبته * وانتشر اعمال شقته * على حال لا يتوجه عليه فيها لوم
ولا عتب * فضلا ان يترتب عليه ضرب او سب * فقال تيمور قرى ماتم
احد طابع * يقطع رأس هذا القاطع الصانع * ولم يزد على هذا الكلام *
فسمعه واحد من اولئك الكفرة اللئام * اسمه دولة تيمور * وهو
اسير كبير مشهور * فلبس البسة الله ثوب النقمة * ولم يشم شيأ من روائح
الرحمة * ففي الحال سل رأسه من بين كتفيه * وحمله الى تيمور ووضعه
بين يديه * فقال تيمور ويلك ما قلت الا مولا نقطع * فقال هذا الرأس
الذي اشرت ان يقطع * فاعجبته هذه العبارة * وابتهج بان امره
يمتثل بادنى اشارة * وكان فيهم الظرفاء والادباء * والاذكياء
والشعراء * ومن هم في الفضل اعلام وعلماء * وفيهم المحقق والباحث
في العلوم والمدقق * ومن شارك في كل العلوم * وبحث فيها بحثا شافيا

وأما الجغتاي فلهم قلم يسمى اويغور * وهو بالقلم المغولي مشهور *
وعدة حروفه اربعة عشر حرفا وسبب نقصانه وانحصاره في هذا العدد ان
حروف الحلق يكتبون نقاطها نقطة واحدة وكذلك تلفظهم بها ومثل هذه
الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء والفاء ومثل الزاي والسين
والصاد ومثل التاء والدال والطاء وبهذا الخط يكتبون تواقيعهم
ومراسيمهم ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم ومحاتيمهم * وتواريخهم
واشعارهم * وقصصهم واخبارهم * وسجلاتهم واسفارهم وجميع ما يتعلق
بالامور الدنيوية * والثورة الجنكيزخانية * والمأمور في هذا
الخط لا يدور بينهم * لانه مفتاح الرزق عندهم * انتهى

* فصل *

وكما كان فيهم من جبل على الفظاظة * والقسوة والغلاظة * ومن هو قليل
الرحمة بل وعديمها الا سلام * كفرة فجرة اوغاد انذال طغام اغتام *
قد اتخذوه من دون الله هاديا ونصيرا * واستكبروا به في انفسهم
وعتوا عتوا كبيرا * اشجرهم كفرهم وحشرهم اياه * الى انه لوادعى
النبوة او الالهية لصدقوه في دعواه * كل منهم يتقرب الى الله تعالى

يجود * ينذر له اذا وقع في شدة ويعي بذلك * واستمر على اعتقاده
الباطل وكفره * مدة حيوته وبعد موته ينقل النذور ويقرب القربان
الى قبره * وكان ترقى معتى الصاحبة * حتى وصل الى مقام المراقبة *
قيل انه كان في العسكر * فرأى واحدا من العسكر * كان الكرى عطف
رقبته * او النعاس أمال شقيقته * على حال لا يتوجه عليه فيها لوم
ولا عتب * فضلا ان يترتب عليه ضرب او سب * فقال تيمور ترى ما ثم
احد قاطع * يقطع رأس هذا القاعد الضائع * ولم يزد على هذا الكلام *
فسمعه واحد من اولئك اللئام * اسمه دولة تيمور * وهو
امير كبير مشهور * فلبس البسة الله ثوب النقمة * ولم يشم شيأ من روائح
الرحمة * فتى الحال سل رأسه من بين كتفيه * وحمله الى تيمور ووضعه
بين يديه * فقال تيمور ويلك ما هذا الامر لا تقطع * فقال هذا الرأس
الذي اشرت ان يقطع * فاعجبته هذه العبارة * وابتهج بان امره
يمتثل بادنى اشارة * وكان فيهم الظرفاء والادباء * والاذكياء
والشعراء * ومن هو في الفضل اعلام وعلماء * وفيهم المحقق والباحث
في العلوم والمدقق * ومن شارك في كل العلوم * وبحث فيها بحثا شافيا

من طريقي المنطوق والمفهوم * ويقرر مذهب الصوفية واعيان العلوم *
ومع هذا فبعضهم يمضي على مقتضى ما علمه * وكان من الذين امنوا
وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * وبعضهم كان مع رتبة الحاشية *
واللطافة الفاشية * والعلم الوافي والظرف الشافي * والجمال الفائق *
والكمال الشائق والكلام الرائق * قلبه اقسى من الحجر * وفعله
انكى من ضرب الصارم الذكر * يقولون من قول خير البرية * ويمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية * واذا وقع مسلم في مخاليبهم *
او ابتلي غريب بتعنيفهم * صنف ذلك العالم المحقق * والحبر المدقق *
في احتراج المال انواع العذاب * واصناف العقاب * واستحضر
في فنون تعنيفه كتبا ورسائل * وجرد في علوم تثريبه خطبا
ورسائل * فيصير ذلك المسكين يتكوب * ويستغيث ويتلوى *
ويستجير بالله وآياته * ويستشفع بكل ما في ارضه وسماواته *
من ملك ونبي * وصديق ووالي * وذلك المليح يضحك ويتظارف *
ويتمايل ويتلاطف * وينشد لطائف الاشعار * ويتمثل بطرائف
النوادر والاخبار * وربما تحرق وبكى * وتأوه لما يفعل بذلك

من التعذيب والنكال * وصار كبعض قضاة الاسلام * المستولي على مال
الايتام * يخطب ويبكي * ويعظ في قلوب المسلمين ينكي * ولما كانوا
في دمشق دخلوا الى البيت واخذ من الاعيان يزداد العظم *
واذا هو مملوء من النفائس والخيرات والنعم *

* شعر *

* قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام *

فقبضوا على صاحب ذلك المنزل وربطوه * وبانواع العذاب والعقاب
عذبوه * ثم احكموا في رجليه شدا وعلقوه * واستخرجوا النفائس *
واستجلوا من حسانها العرائس * واحضروا لذيذات المطاعم والمشارب *
وقضوا من التفكه والتنعم مالهم من مآرب * وجعلوا يأكلون ويشربون *
ويلهون ويطربون * واذا تحرك في واحد منهم الخبث * اوثل
واخذه في سكرة العبث * عمد الى ذلك المسكين وهو في شدة النكد *
فسقاه الماء والملح وسقفه الكلس والرماد * وكان فيهم عالم متقشف *
من تناول المسكرات متعفف *

* كما قيل *

ما خيمت من شخيل وما بين وليمة وفي عرة النار وابن الماء
لا يكرثا ان يغرب في بقة ويسرق اللقمة عن فاها
وكانوا اذا راحوا والقباح المزعفر احضروا المسكر المكرر ومعه
له في صيني الخوانق فرصوا عليه الماء الزلال فيفكرون من
بالاقداح القوادح ويسكرون الفاسق المحروم من الروائح ثم
يتوجه الى صاحب المنزل ويصلحه ومؤني الشق فيكون من العذاب
ويصير له ويسرق ثم يتمايل على صوت الغانيات والمايل ويتناولون
من تلك المآكل والمشارب ويقول بشر مال البخيل بحادث او وارث
وكان في عسكره كثير من النساء يلفين مقانع الصباح وتاج الباساء
ويخالطن الرجال ويقاتلن اشد القتال ويصنعن ابلغ ما يصنع
الفحول من الرجال في النزال من طعن بالرمح وضرب بالسيف وارشق
بالنبال وكان معهن اطفال ونساء حاملات وامهات مرضعات
تكلمت عن الطارق واعتزلت الخلق وفرلت عن ذا بتها وربعت حملها
ولفته وركبت دابتها واحتجبت واحتجبت عنها وكان في عسكره
ناس ولدوا في السفر وبلغوا وتزوجوا وجاء منهم اولاد ولم يسكنوا

المعتصر وكان في عسكره ناس من أصفهان بغداد * ويقولون زيادة الجواد
أجناد * لهم في الخيرات أوراد * وفي ورد ما يصف الزوار أوراد * وأهم
خلاص مأسور * الراجي مكسور * أو الطفاء حريق * أو افتقاد غريق *
أو اصطناع معروف * أو إغاثة ملهوف * فمنهم أخذهم * وبوصلته
اليهم يدهم * إما بقوة وأيد * وإما بنوع خديعة وكيد * وإما
بإستهاب واستشفاع * أو تعويض وانتياع * وكانوا سائرين معه
بالاضطرار * وذاهبين معه لهذه المعاني بالاختيار * حكى لي مولانا
جمال الدين * أحمد الخوارزمي أحد القراء المشهورين المجودين *
وكان إمام مجد سلطان في حيوته * وإمام مدرسته بعد وفاته *
ثم بحلب بروحا وبها أدركته المنية * سنة احدى وثلاثين وثمانمائة *
رحمه الله تعالى قال كنت في سفر قفل في مدرسة مجد سلطان *
أعلم ما يحكه وأنزل الأمر إلى القرآن * فأرسل الله جل وعلا الظلوم *
وهو متوجه الى بلاد الروم * أن يتوجه اليه * وهذا هو الأمير *
سيف الدين برقوق * فاستقل ما به أمر * وأخذ في إعداد أهبة السفر *
وقال لي سير مرافقك * واقطع علائقك * وخذ أهبة سفرك * واعمل

مصلحة رحلك وتفرك * ووافقنا في المرافقة * فان من حسن المرافقة
الموافقة * فاستغفرته من الذهاب * وفتحت له في طلب جوهرة السفر
كل باب * فقلت له يا مولاي انا رجل من اهل القرآن والفاقة *
حالي بفتح باب السفر من طاقة * لاني ضعيف البنيان * وخوالاركان *
لا جلد لي على الحركة * وان كان في صحبة مولانا الامير كل خير
وبركة * خصوصا على هذا السفر البعيد الشقة * الكثير المشقة *
ومع كوني ليس لي على ذلك من طاقة * لا جعل لي في متاع السفر
ولا ناقة * واما انتم فالسفر عليكم حتم لازم * وحق ملازم * لا يسعكم فيه
التخلف * ولا يفسح لكم فيه المطل والتسوف * فلم يعفني * وتعلل لي
بعلل علللني فيها ولم يشفني * فلم اربد من الاستعداد * وتحصيل الرفيق
والزاد * ثم سرنا حتى وافينا جدة * وقد ركب في الجادة جلة وجدة *
ورأينا من تلك العساكر * بحار الاول لها ولا آخر * ان افرط احد
من ملك جماعته * وفصل معتزلا عن سنن سنته * لا يصل اليهم
بالسرج والشمع * ولا يهتدي الى سنة جماعته الا ان كان يوم الجمع *
فبينا انا معهم اسير * وقلبي من مني العظم الكبير * واثر في التعب *

وابتدأت بي النصب والوصب * وملأت الصدر * وعدمت الكرى *
نفضت يدي من الرفيق * واخذت على فجوة من الطريق * فلما ان خلوت
بنفسي بالقرآن العظيم وتلوت * ثم استهواني الذوق والشوق *
فحلقت بمراشيء حلقي الى فوق * وكان صوته اطيب من رقيق المقطوع
على رخيم الموصول * والذ من جمع شمول على كاس شمول * بنسيم الشمال
معلول وبرضاب الحبيب مشمول * قال واذا برجلين ضعيفين *
كالعود البالي نحيفين * اشعثين اصفرين * ذري طمرين اغبرين *
بصراني عن جنب * وعلقا بي علوق الوتد بالطنب * فجعلا يراقبان احوالي *
ويستمعان اقوالي * فلما زمزمت زمزمتي * وكففت صمتي * وكتمت
في خزانة صدري جواهر كلماتي * وختمت بطابع دعائي زواهر آياتي *
بكيا لما جاءا * وامنا على دعواتي * ثم اقبلا نحوي وعلما * واهتزا
لما سمعا من تلاوتي وترنمي * وقالا احيى الله قلبك كما احييت قلوبنا *
ومحوت بما سطرت في الواح صدورنا بحسن تلاوتك ذنوبنا * ثم انهما
آنساني بالخطاب * وجاريا بي بالسؤال والجواب * واذا هما من سيم
الجنان وهما من مكرمي الرضوان * ومن كبراء التتار ومن اعيان

والشرور * ثم سألاني عن نجاري وجاري * وعن وفيتي في هذا
السفر وجاري * فاخبرتهما عن مولدي ومحتدي * ومسقط رأسي
من بلدي * وانني من اهل القرآن * وانني مع محمد سلطان * فقالا لي
يا سيدنا الشيخ انما جئنا اليك لتحبس الينا * وانا سائلوك عن شيء
فلا تجد فيه علينا * فقلت قولا وطولا * فلن تجد اني ملولا * فقالا
يا مولانا * هذا شيء يعنينا وان كان قد عنانا * وكل من اشتغل بما
لا يعنيه * فقد ترك ما يعنيه ووقع فيما يعنيه *

* شعر *

* ومن لم يعرف الخير * من الشر يقع فيه *

فبالله يا سيدنا قل * من اين تأكل * فقلت على خوان * محمد سلطان *
فقالا ما قولك هذا العسكر حلال * ام حرام ووبال * فقلت الغالب
عليه الحرام * بل كله والله مظالم وآثام * لانه من التاراج والنهب *
والغارات والغصب * والاختلاسات والسلب * فقالا والله يا امام *
لقد اسأنا الادب اذ واجهناك بهذا الكلام * ولكن انتم اهل العلم *
شيمتكم العفو عن الجاني والحلم * وانتم اولى بجبر الكسير وتلك الاجبر *

خيرا لامر العسير * فقابلني منا من الفحص بالصفع * ولا تعامل هذا
الحائف بالفتح * فقلت سلا * ولا تسلما * فقالا نسأل لك بالله
الذي اصطفاك لخزن كلامه * الذي تعبد به عباده وبين لهم فيه معالم
حلاله وحرامه * لا تؤاخذنا بما تهجمنا عليك به * فان الشيخ المرشد
للوالد الشفوق لا يؤاخذ ولده بقلة ادب به * فقلت كلا سلا ما شئتما *
سلما منهما اردتما * فقالا يا سيدنا ما كان لك منذ وحة عن
الفقه مؤلاء اللئام * والتعفف بالحلال استغناء عن الحرام * فقلت
لهم دخلت فيهم وانا مضطر * وخرجت معهم وانا كاره مجبر * واكرهني
هذا السلطان * وحمايا بما حباني من الاحسان * فصحبتهم وعيني
باتي من كحل الراحة مرضا * وحملتني فرسي في قفزي كرها ووضعتني
مرضا * فقالا ارأيتك لو امتنعت من الخروج اكانوا يريقون دمك *
ويأسرون اولادك ويسبون حرمك * فقلت لا والله * وحاشا لله *
فقالا كانوا يحبسونك ويضربونك * وفي مقام المصادرة يجلسونك *
فقلت انا معهم جنابا * ان يصوبوني خسفا وعذابا * لاني حافظ
القرآن * والقرآن حافظي من هذا الهوان * قالا نهاية تعليم

منك * او ازأوا تعززك وتمنعك * انهم كانوا يشتمونك * ويعمدون
الى معلومك فيقطعونك * ويتخطون عليك * ويمنعون برهم الواصل
اليك * قلت ولا كانوا ايضا يفعلون كذا * وتعزيزي وتمنعي ما انحط من
مكانتي عندهم الى هذا الاذى * ولكنهم حايوني فاستحييت * وخادعوني
فانخدعت وليتني ابيت * فقالا لا يصلح هذا لك هذا راوحه * ولا يسلك
بك الى صحة الاعتذار بين يدي الله تعالى سواء الحجة * فهلا جلست
في مكانك * واشتغلت بتلاوة قرآنك * ومطالعة علمك ومباحثة
اخوانك * وفرغت يدك عن الكلال * وملأت بطنك من الحلال *
واحميت في حمى دينك عن هؤلاء اللئام * واستراحت من
الاضطرار الى تناول الحرام * مع انا سمعنا من امثالكم * ما قد ضرب
في امثالكم * اهل القرآن رقاصته * اهل الله وخاصته * وانهم
متفاوتة بين خلقه * وبمركاتهم تدر سحاب رزقه * وان السلاطين
ملوك الناس اجمعين * وانكم انتم ملوك الملوك والسلاطين * واذا
عتقكم الله اعفاكم الناس * وصرتم لانسان العالم بمنزلة القلب
الكبد والرئة * ولم يبق لاحد عليكم سلطة * ثم القيتم انتم انفسكم

بايديكم الى هذه الورطة * وتهافتم على التهالك تهافت الفراش على النار *
وتشبثتم مع كونكم قادرين على التخلص باذيال العذر والاضطرار *
فكيف يصح هذا الاعتذار * وانى ينجيكم هذا العذر من عذاب الملك
الجبار * وهل صوتم الا

* كما قيل *

* معاشر القرا يا ملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد *
قلت اما اذا حررتما القضيه * فكلنا في هذه المصيبة سويه * مصراع *

بي مثل مابيك يا حمامة فاندبي

* وقيل *

* بي مثل مابك يا حمام البان * انا بالقدود وانت بالاغصان *
فبكيا وانتحبا * وتأوها والتهبا * وتنفسا تنفس الصعداء *
وتالله اين ما بين قصتنا وقصتك في المدى * فوربك الخافقين * ان بين
القصتين لبعد المشرقين * ولكن ما للمقال مجال * وما كل ما يعلم
يقال * واين البيان من الاعلان * وانى للسبطان لما آذان * فقلت
هذا ايضا ليس بحجة * فلا تعد لاعن سواء الحجة * فقال انى للمضطر

جبرا * المأمورون قهرا وقسرا * وانما مكتبون في الديوان * مضافون
الى واحد من اعيان الاعوان * اذا ورد علينا مرسوم بالبروز *
في يوم عيد مثلا او نوروز * ويكون الخروج وقت الظهر * وتأخر منا
واحد الى وقت العصر * لم يكن له جزاء فيما ارتكبه * الا الصلب او ضرب
الرقبة * فضلا عن ضرب وشتم وشناعة * او رفع عدل او تقديم
شفاعة * وايمن انسب عن قعود ما او تخلف * او امتنار الى يل توار او توقف *
فنحن مدة الدهر لمثل هذا مستوفزون * وعن مثل ما جرى على اقراننا
من هذا البلاء متحرزون * مصبحون ابدا لما اشار وما امر * عاملون
بمقتضى رحم الله من رأى العبرة في غيره فاعتبر * ويا ليتنا امكننا التحويل
عن مملكته * والرحيل عن اقليمه ولايته وسلطنته * وكيف لنا بذلك
وهي مسقط رأسنا * ومحل اناسنا ومحط ايناسنا * وايلاف رحلتنا *
ومزدرعات معيشتنا * ومدرج آبائنا ومخرج ابنائنا * ومقام قبائلنا
ومعاشرنا * ومنابت قاطبة اوغابرنا * ولو هاب من هوام قبائلنا جلد *
فضلا عن بلبل او مد * لجانف الباقين سيل الظلم والحيف * ولتحكم
في ثواب سائرنا سائل الحرب بالسيف * واما اذا برزنا وعزمنا *

في المسير معه وتجهزنا * فنسأل كم مدة نغيبه * وأي جهة يريد الذ
المريد المريب * فنأخذ أهبتنا لذلك المقدار * وكل منا ابن عم الآخر
وجار * وله جراب فيه سويقه * ومعه كنفة نفسه وفرسه وعليقه *
يصوم مدى الدهر ويفطر على ما يصد الرمق * ويلبس ما يستر العورة
من رث الثياب والخلق * كل ذلك من زرع أيدينا وكدنا *
وما بذل لنا فيه من عرق جبيننا والحلال غاية جهدنا * لا نتعرض لمال
أحد ولا لعرضه * ولا نقف في طريق ابرامه ولا نقضه * ولا لأحد
عندنا نشب * ولا بيننا وبين أحد علاقة ولا سبب * ولكن يا مولانا
البلاء العام * والمصاب العام * ثم رقصا رؤسهما يمينا وشمالا *
وارتعدت فرائصهما هيبة وجلالا * وابيضت شفاههما * واسودت
جباههما * وأخذا في البكاء والعويل * وانتحبا الانتحاب العويل
الطويل * فوالله لقد ذابت نفسي لديهما * واستصغرت كبائر
المشائخ بالنسبة إليهما * وتفكرت فيما دهاهما من شدة الأمر *
وعلمت أنهما هما الغايصان بكفيهما على الدرر * ثم تأوهت آهة بعد آهة
وقلت بالله يا أخوتاه * وما هذا البلاء العام والمصاب العام الذي

ذكرتنا * قالا خيولنا ومواشينا * وحوامل مهادنا وحواشينا *
نرفق بها في التحميل * وما نركبها الا وقت الاعياء في الترحيل *
وما مر قضيبها قصم ظهورنا * واعجز امورنا * واضطرنا الى الخوض
في دماء المسلمين واموالهم * والتجانا الى رعي زرعهم وتحمل وبالهم *
وما نذري كيف المخلص * وانى ننجو من ذا المقنص * فبالله يا سيدنا
الشيخ هل تجد لنا في هذا الامر الغالي رخصه * وهل من قطرة برود
تطفئ هذه الحرارة وتسكن شرق هذه الغصة * فقلت لا والله * الا عناية
الله * وايم الله لقد اشبعتماني شرا * وجرعتماني صبرا ومقرا *
وسعتماني نكدا وضرا * وكان هموم ما بي * من نصبي وعذابي *
يكفيني * الى يوم يكفيني * فقد زدتماني بلاء على بلائي * وعناء على
عنائي * فبالله من انتما وما اصاركما * وفي اي قطر ركما وصاركما *
ومع من انتما فخبيتما ما خبيتما * فخبراني ولا تحيراني لاجل
في كل وقت اليكما * والفوز بالسلام عليكما فقالا يا مولانا * الحمد لله
الذي وفر حيتك حياتنا * ان معرفتنا لا تجديك شيأ ولا تنفك * وعدم
المعرفة بنا لا يؤذيك ولا يضرك * والغالب على ظننا يا مولانا انك بعد اليوم

لَن تَرانا * وإن قدر اجتماع فنحن نسعى على رؤوسنا إليك * وخليفتنا

الله والسلام عليك * ثم ودعاني وما وقفا * وودعاني أليم الفراق

وانصرفا * هذا من البحر قطرة * ومن الطود ذرة * ونسأل الله سبحانه

وتعالى أن يصون عن الزلل أقوالنا * وعن الخطل والخلل أفعالنا

وأحوالنا * وحسبنا الله ونعم الوكيل *

* خاتمة الكتاب *

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله الذي أدب عبده أحمد فأحسن

تأديبه * وخصه إذ ربّاه يتيما وأنشأه غريبا بكل يتيمة غريبه * وأظهر له

في بيان بديع المعاني منهج كل فن وأسلوبه * فأعجب أهل زمانه

إذا عجزهم بما أتاهم به من كل أعجوبه * أحمده حمدا تفتقت في رياض آلائه

أنوار نصاحته * وأشكره شكرا تعبقت في رياض نعمائه أزهار بلاغته *

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة طابق خبرها الواقع

والاعتقاد * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله * أرسله بالحق بشيرا

ونذيرا * وداعيا إلى حقيقة التوحيد فصارت حقيقة الإنكار *

فتنطق الإيمان بأقوالها * وتعلق الإسلام بأفعالها * وأشهد أن سيدنا

محمد المبعوث ورسوله الذي انشأ اخبار بعثته على التوحيد * وتعهد
فصل رسالته على وصل الاخلاص بالتعبيد * صلى الله عليه صلوة
باقية بقاء اعجازه * موصولة بطنب الايمان رمز فصيح الكلام
بايجازه * وعلى آله واصحابه شموس سماء الفصاحة * وبدور
افلاك البلاغة * وسلم تسليما كثيرا * اما بعد يقول العبد المفتقر
الى مولاه * المعترف بتقصيره خطاياه * المغترف من بحار كرمه وعطاياه *
الراجي في حدائق المغفرة ثمرة العفو ومناجاه * احمد بن محمد بن
عبد الله الحنفي مذهبا * العجيمي لقبا * الانصاري نسبا * الدمشقي
مولدا * السني معتقدا * عامله الله بما كان اهله * وحفظ عليه
دينه وعقله * لما كانت الدنيا دار انقلاب * ومحل تغير واضطراب *
قد تصدى الاخوف للاكتساب * اما لتحصيل الثواب * واما لتوبيل
العقاب * وكان سير ما مر يع الاجتناب * واذا مات ابن آدم
انقطع عمله الا من ثلاث * اردت ان يخلد لي ذكر * ويحول لي
في خواص الآخرين نكر * لعل رحمة تتبعني * او دعاء صالحا ينفعني *
فنادا بي لسان الحال * ع لا خيل عندك تهديها ولا مال * واما

الا ولا قليت صالحهم كفاني شره * ووازن في حيوتي نفعه وضره *

فلم يبق الا علم ينفع * او فائدة ترفع * وقد صنف العلماء في كل فن

من العلوم ما بلغوا فيه الغاية * وقد رجوا في تقريره وتحريره من البداية

الى النهاية * وعينوا معانيه متونا وشروحا * وبينوا فحاويه حواشي

وضوحا * مع ان رؤوس العلوم قد درست * وحدائق رياضها ذبلت

ويبست * وصار الكلام فيها عيا * والمتوني في تحقيقها وتدقيقها نيا *

ولم يبق لطالب العلم به انتفاع * الا انه اذا احتاج الى الفوت عرض

كتبه لتباع * غير ان بعض كبراء العصر * ورؤساء الدهر *

وبقايا الاكياس * متشوقون لتواريخ الناس * ومتطلعون لمعرفة

احوال من ساس * من ذئب وراس * ومستشرفون لسالف

الاخبار * كيف كان امر الناس وصار * ولم يكن فيما مضى *

من مدة الامة وانقضى * من متغلبيها وبغاتها * ومتمردي وطغاتها *

مسليها وكافرها * مقسطها وجائرها * هاتيها وموائيها * مصادقيها

ومعاديها * صالحيها وطالحيها * مانحيها وبارحيها * غابرها وداثرها *

غابرها وخارجها * مثل تيمور الاعوج * ولا امر منه في العتو

ولا أخرج * سيرة كلها عبر * وكل عبرة منها فيها عبر * أمورا أظهر من أن تخفى * وما أضرمه من فتائل الفتن شرقا وغربا أعظم من أن يطفا * فقصدت ما ذكرته * وذكرت ما قصدته * وتوخيته الافادة والاعتبار * لا التفاخر والاشتهار * فاعترضتني نوائب الخطوب * وكشرت دون مرامي أنياب القلوب * وجبهتني يد الردع * وصدمتني قارعة المنع * بأن اكبر الكبائر * في هذا الدهر الدثر * أدب أديب * أو فضل أريب * أو عالم لاسيما غريب * لقد كره الاديب والفقيه * كراهية التحريم لا التنزيه * وقد تقرر هذا في الاذهان ورسخ * ولهم الذنب إذ يدا هم أو كتا وفوهم نفخ * ثم ذكرتني شانبي * وخاطبتني بلساني *

* شعر *

* اتصرف عمر العمر في طلب العلى * فتظمئ أكبادا وتسهر أعينا *
* تقاسي صروف الدهر فقرا وغربة * وبعدا عن الأوطان للقلب موهنا *
* وعيلة أطفال ضعاف كأنهم * جوازل زغب أنهكتها يد الضنا *
* فمن مثل تلك الحال ما كنت صانعا * وكنت بنفس تقرع الهام واسع الغنى *

* الى ان حماك الله فضلا ورفعة * وحزت فنونا من علوم لها سعا *
* فصرت عزيزا في المرا يا مكرما * وطار الى الآفاق من هيبتك الثنا *
* وقد سل فوق الراس سيف مشيبه * وهل بعد ذا غير معترك الغنا *
* اتخشى ضياعا بعد ذاك وعيلة * فترهب من فقر وترغب في الغنا *
* فتبذل وجها طالما صنت ماءه * لك الله لا تفعل وكن متمكنا *
* وقل في الورى من يرتجي لمة * وان قيل من للمكرمات يقل انا *
* فصن عن جميع الخلق نفسك واتكل * على الله مولى لم يزل بك محسنا *
قفا ثم ذر وفضل بصدر منشرح * فحط عنك واسترح * فتضاعف الحال
تشتيتا * وزاد الكبد تفتيتا * وارتبكت في عزمين * واشتبكت بين
همين * بين ان اسكت فاضيع * او ان اقول فلا يسمع * فقدمت
رجلا واخرت اخرى * واستنهضت جواد فكري فرا وفيا * فتواني
صدق النية فيما همت * وخلوص الطوية على ما عزمت * وجمعت
من بال متفرق * والفت من فكر متمزق * من قضايا تيمورا لطويلة
العريضة نبذة * وجبذت بكف الافكار من حكاياته جبذة * نثلث
في بيانها من بديع المعاني الجعبة * وسللت وقد صرفت لحوه متفرق

المنطق مبانى الكلام معظمه وشحذ سفر بشفاعة تحد الله تعالى

طريقة المعانى كاملتها * لطيفة المبانى بهاتها *

قلت فى مرآة الأدب *

* بالفاظ الغاظ تشير الى النهى * تعلم فن السحر كيف يكون *

حوت دقة الجزل ورقته * ورياقة الغزل ورقته * ولطافة الادباء *

وظرافة الشعراء * وفصاحة الفقهاء * وبلاغة الفصحاء * وحقائق

الحكماء * ودقائق العلماء * مع الامثال الفائقه * والاستشهادات

اللائقه * والاستطرادات الرائقه * والتشبيهات الغريبه * والاستعارات

العجيبه * ونوافح السحرة من علماء البيان * ونوادر المهرة

من ارباب الديوان * ومزجت جليل التحمس فيها برقيق التغزل *

ونسجت جديد الجد بمعتق التهزل * وطرزت طلع ذلك كله باعلام

الآيات الشريفه * ونقوش الاحاديث الكريمة المنيفه * اصبحت

* بكل ذلك محز القصد * وطبقت بحسامه مفصل الضرب *

* قلت فى مرآة الأدب *

* كأن النهى قد كان عنى ناعما * فمر على اذنيه ما تلفظ *

* فذاق لهذا الشهد صدق حلاوة * فتح عينيه ورنق يتلفت *

فمن اراد التنزه في التواريخ فعليه بها ومة تكرارها * ومن قصد

التفكه في رياض الانشاء فليقتطف من بديع ازهارها * ومن طلب

طرائق الادب فليجن من حدائقها جناثمارها * ومن رام التسلق

الى ذروة العلوم فليتشبث باذيال امثالها * ومن طلب الاعتبار

بتقلبات الزمان فليتأمل حقائق اخبارها * ومن اعتنى بسياسة

الملك فليتدبر دقائق اسرارها * مع اني لم اوفها حقها في التهذيب *

ولم تبلغ استحقاقها في حسن الترتيب والتشذيب * لان الكلام كالدر

المنتظم * والدر المنسجم * لابد ان يتعانق لفظه ومعناه اولا وآخرا *

ويتطابق عبارته وفحواه باطنا وظاهرا * والا اختل نظمه * واعتل

فهمه * وانحطت منزلته * وسقطت من سلم الفصاحة درجته *

ومن احتاج الى بحر ذهن صاف * ومعدن علم بكفالة ما يتم به عقود

جواهره واف * وذوق احلى من العسل * وفكر امضى من الاسل *

ويحتاج كما قيل الى حاضر من التوفيق ومعاون صالح من البيئة * غاب

غروب الالسنة ربما جاوزت الى ما يثبط عن القائلين الجهة * ومن

بتلك * وانى ليتيسر لي سلوك مثل هذه المسالك * وكنت طالما أفوق
سهم النظر فى بيداء التأمل نحو قنص معنى دقيق * وأصوب قوارص
الفكر فى دأماء التدبر الى جوهر فصل رقيق * حتى اذا قلت غائر
القناص * وحاز القوانص * واذا بقاطع الشواغل قطع بترس الشواغل
والحوادث على سهم خاطر الطريق * وبتهجاع الهموم التهم قوانص
بكرى فاذا امرئ فى بحر الغموم غريق * فتمتد فى وجه قصد المسالك *

واصبر من نهار ازهر الى ليل حالك *

* قلت *

* فانى انتقي للنظم درا * ولم تظفر يدى منه بودعه *
لكن لما كان الشروع ملزما * واتمام ما شرعت فيه متحتما * لم اردا
من اتمام ما اسديته * واضاء ما انميته * فصرت فى وعورة اقع
واقوم * وفى بحوره اغطس واعوم * ان راق راكد الخاطر *
او سمى الفكر الفاتر * تذكرت من الكلام اوائله * والتقطت بكل منه
ما شاكله * واذا ازعجه من الزمان البغا * تكدر زمنه ما صفا *
وقلقت الافكار * وتولت الاخطار * وتساوى عنده بعير

البصيرة الليل والنهار

* قلت *

* اكمل كل معطر بعد شهر * وابني كل بيت بعد عام

فلا اضع المحمول الا وقد حمل الموضوع * ولا اذكر الخبر الا وقد نسي

المبتدا *

* قلت مضمنا شعرا *

* والفكر كالبحر يبدي لي جواهره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر *

فتنخرم القاعدة * ويختلط رأس المال والفائدة * فقل لي انى ينتظم قار *

وقد انفرط نظام الحال * هذا وان الكلام له مقام * يجل

من الفصاحة والبلاغة درجات *

* قلت قديما مترجما *

* ما امتروا في موقف افصاح منطيق ولو *

* قد عجبا عجب عجبان واسمى الاعجبي *

* فاتكر حبا لو رأى في منزل اعمى الوزغ *

* هل تود تثبت تاخذ قيل يا ارض ابلعي *

واين من يولي ما يحقها * ويعطي كل مستحق منها مستحقها *

ولقد سلكت في هذا الكتاب مسلك ابناء العصر * وطريقة اولاد الدهر * فان الناس بزمانهم * اشبه منهم بآبائهم * ولو اخذت فيه اخذ العرجي العرباء * والبسته في الفاظه ومعانيه ثوب الاستعصاء والاباء * فابرزت ما قصدته من المعاني العزلة العجيبة * في قوالب فخلة غريبة * لما التفت اليه * ولا عول لقصور * والافهام عليه * ولما كانت المجازات المشهورة * خيرا من الحقائق المهجورة * والغلط المستعمل * اولى من الصواب المهمل * ابرزتها في اشارات رشيقة * عما استهر رقيقة * وعملت في بعض المواضع بقوله *

* شعر *

* عمدا كسوت مريبا مغشما * ولو اشاء حكته محبرا *

* وقد قيل *

اذا احسنت في لفظي قصورا * وخطي والبراعة والبيان *

* فلا تحسبي ان رقصي * على مقدار ايقاع الزمان *

ان بين فن الكتاب * وبين ما صنعه قبله ذوو الالباب * لونا

مديدا * وأمدا بعيدا * بوجوه منها ان زمانهم مطبق بالرزايا
يباعد * وأنافي عصر لا ساعد لي فيه ولا مساعد * ومنها ان
وقتهم كان فيه من يربي الفضل وأهله * ويحل كلا منهم محله *
من الملوك والاكابر * وذوي الفضائل والمآثر * وارباب المناصب
والمفاخر * واقل من فيهم كان يحب السماع * ويميل الى الفضل
والادب باطباع * فكان الفضل فضيلة * والادب خصلة جميلة *
واما الآن * فقد انقلب بأهله الزمان * فصار حامل الفضل والادب
من رمطه * والمنتظم من العلم في سلكه وسمطه * كأنه سارق عملته
تحت لبطه * ومنها ان الافهام كانت مذركه * وكان يحذ لها
قريحة المتكلم متحركه * ولقد صارت الافهام جامدة * والقرائح خامدة * ونارها
هامدة * ومنها ان غالب ما صنف اخباره كاذبة * وسهام اغراضه غير صائبة *
لانه لا واقع يطابقه * ولا خارج يوافقه * فعمد مصنفه الى ما عقلته
تخيلته * وتوهمته مفكرته * فالف حسبما اراد * واسس على مقتضى
اختياره ما شاء واراد * واما قائل الكتاب فاخباره صادقة * وكلماته
بالصدق ناطقة * اذ هي في الواقع خارج مطابقه * فابدا ما ينبغي

الخاطر وأحملها على طبق ما أريد منه ووفق ما أراد * وليتني في هذا وهذ كفافا * من خيرها وشرها معافى * وليس ساعد الزمان بترفيه الحال * وخلا من سكان الهموم ربع البال * لا تبعث آثاره * ولا ستترن بتعذر الامكان عواره * ولا بذلن الجهد في ترقيعه * واصلاحه وتنقيحه * وإلا فالصفح مأمول * والعذر عند خيار الناس مقبول * والمسئول من صدقات ذوي الا[illegible] البالغين في البلاغة اعلى الرتب * ان يسبلوا ذيل الاغضاء عليه * وينظروا بعين الافادة والاستفادة اليه * ويقيلوا العثار * ويقبلوا الاعذار * ويشدوا الاسرة * يجبروا كسره * ويرقعوا خلله * ويحققوا املة * راجين من لطف الله ما ارجوه منهم * لعل الله سبحانه ان يعفو عني وعنهم * مع انا كلنا في الهوى سوا * وانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى * الحمد لله حمدا يملأ اركان الامكنة * ويعطر خيا شيم الازمنة * وصلى الله على سيدنا محمد صلوة تبلغنا بها ما منه * وتحله بشفاعته في جنة الفردوس من الاعلى مسكنه * وعلى آله واصحابه الذين استمعوا القول فاتبعوا احسنه * ونستغفر الله من حصائد الالسنة *

وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل * ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *

قد اعتنى بطبع هذا الكتاب المستطاب بعون الله الملك الوهاب

في دار الامارة كلكتة نيارتا ليف شهر ذي الحجة سنة الف

وماتين وسبعة وخمسين من هجرة النبي سيد الانام عليه

الوف التحية والسلام * والحمد لله اولا وآخرا *

صفحة	سطر	غلط	صحيح
٣	١٥	همه	اهمه
٤	٥	حدا	جدا
٩	٢	تكزت به	تكثرت به
١٦	١٠	مضونه	مصونه
٣٨	١٣	احوز	احوزُ
٥٣	٣	غير المرد	الغير المرد
٥٥	١٤	علي	علّي
٧١	٥	اُخا	أخا
٨٦	١	وُزعوا	وزّعوا
٣٢٠	٦	فاجز	فاخر
٣٢١	٢	الرءس	الرُّؤس